يحدث في الجحيم

قصص

عمل مشترك

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الوهاب

الكتاب : الجحيم
تأليف : عمل مشترك
تصنيف الكتاب : قصص
مصمم الغلاف : محمد على
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٣ × ١٩
رقم الإيداع : ٢٣٩٠١ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 16 - 8

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

المواهب كالزهور

إن لم تجد من يرعاها ويمد لها

يد العون، ذبلت وماتت.

علاء إسماعيل

الكابوس

مـكان مخيـف شـديد الظلمـة لا أسـتطيع رؤيـة أي شيء أمامـي، رائحـة العفـن تسيطر عـلى المـكان، جسـدي يتألـم بشـدة، عضـلات جسـدي تتمـزق .

أصـوات همهمـات وصرخـات قادمـة مـن العـدم، حاولـت بقـدر الإمـكان أن أسـتعيد تركـيزي وأتحـرك، ولكـن جسـدي يـأبى ذلـك، بعـد عـدة محـاولات بـاءت بالفشـل أخـيرًا نجحـت، اسـتطعت أن أضـع يـدي عـلى الأرض واسـتندت عـلى حائـط كان بجانـبي حـتى اسـتطعت أخـيرًا الوقـوف عـلى قدمـي ..

الألـم مـازال مسـتمر لكـني تحملـت الألـم بصعوبـة بالغـة حـتى أن أخـرج مـن ذلـك المـكان المخيـف ..

خطـوت خطـواتي ببـطء مـن شـدة الألـم بينمـا وأنـا أتحـرك سـمعت صـوت أشـياءَ تتكـسر تحـت قدمـي لا أعلـم مـا هـو هـذا الـشيء !

مازلـت أتحـرك بنفـس خطـواتي البطيئـة ونفـس أصـوات التكسـير الغريـب تحـت قدمـي مـازال مسـتمرًا ..

تحركـت حـتى ظهـرت فتحـة جانبيـة يشـع منهـا نـورًا أحمـرَ غريبًـا تقدمـت مـن هـذه الفتحـة حيـث رأيـت شـيئاً غريبًـا !!

ساحة واسعة يتناثر على الأرضية عظام آدمية وفي منتصف الساحة يوجد تابوتًا ضخمًا منقوش عليه عبارات غريبة تشبه العبارات الفرعونية ..

تحركت أكثر لأتأمل منظر التابوت عن قرب، لكنني فوجئت بصوت أنين قوي انتشر في كل أركان الساحة ... فجأة انفتح غطاء التابوت لتخرج منه امرأة شكلها مفزع، جسد محترق عن آخره واليد اليسرى منفصلة عن الجسد، كانت تتحرك بشكل مفزع ويتدلى من فمها مادة سوداء لزجة، وكل جزء من جسدها يخرج منه حشرات غريبة !!!

أقف عاجزًا عن النطق والحركة حيال هذا المشهد الذي أرى ...

تحركت المرأة بخطوات ثابتة تجاهي

وقدمي كانت مثبتة على الأرض تأبى الحركة من شدة فظاعة المنظر ..

وإذ فجأةً تتحرك الحشرات حتى اقتربت مني !!!

وفي هذه اللحظة

أسمع هذا الصوت يخترق أذني :

-أنت يا أستاذ فوق

فتحت عيني ببطيء، ولكن كانت الرؤية ضبابية، بعد عدة دقائق استطعت أن أرى ذلك الشخص ...كان رجل خمسيني يرتدي جلبابًا أبيض وعمامة على الرأس بشرته كانت سمراء ووجه مليء بالتجاعيد من عامل السن ...

بعد لحظات استعدت الوعي وعلمت بعدها أنني في قطار كان قادماً من الأقصر متجهًا إلى القاهرة ..

وكل ما رأيته مجرد كابوس !

كابوس راودني عندما استقليت القطار من محطة قطارات الأقصر ..

بعد أن توفي والدي سافرت إلى الأقصر على الفور لحضور مراسم الدفن وأكون متواجدًا في مقدمة من سيحضرون للعزاء ....

بعد أسبوعين اضطررت للعودة إلى القاهرة للدراسة، لأنه أصبح لا يفصلني سوى ثلاثة أشهر عن امتحانات آخر العام الدراسي بكلية طب جامعة القاهرة ...

***

مر عدة أيام بعد هذا الكابوس الغريب بشكل طبيعي، حتى ذلك اليوم الذي كنت أراجع فيه بعض محاضراتي، فوجئت بصداع قوي اخترق رأسي، وتحوّل بعدها الصداع إلى دوار قوي، ثم إذا بالرؤية تحتجب تماماً ولم أعد أرى أي شيء!

نفس المشهد بكل تفاصيله مجددًا، جسدي ملقى على الأرض في هذا الظلام المخيف، ثم حاولت تحريك جسدي، حتى نجحت بعد محاولات باءت بدايتها بالفشل .

تحركت وجسدي يتألم بشدة وتحت قدمي نفس صوت التكسير الغامض أسمعه بكل وضوح .

مازلت مستمر في التحرك حتى ظهرت نفس الفتحة الجانبية، دخلت إلى هذه الفتحة حتى رأيت نفس الساحة الكبيرة ويتوسط الساحة تابوت ضخم .

المشهد المختلف الذي لم أره في كابوسي السابق هو مشهد أربعة كائنات أشكالهم تشبه الأقزام، وجسدهم مليء بالشعر وأعينهم حمراء تماماً، وعلى رأسهم قرنان مثل الشياطين كانوا يقفون بشكل دائري

وتتوسطهم المرأة المحترق جسدها عن آخره، والكائنات تقوم بحركات غريبة تسجد وترتفع للمرأة كأنهم يعبدونها .

استمروا على ذلك الحال، ولكنهم توقفوا فجأة عندما لاحظوا وجودي وسطهم نظروا لي بنظره مخيفة تأكدت بعدها بأن ثمة كارثة ستحدث الآن لا محال .

حاولت بقدر الإمكان الهروب منهم، ولكن رد فعلهم كان أقوى وأسرع مني بكثير .

وفي ثواني وبحركة سريعة تحركت الكائنات تجاهي حيث أنهم أمسكوا بجسدي للأعلى لينفتح التابوت وفي لحظه أرى جسدي داخل التابوت .

من صعوبة التنفس داخل التابوت أُغشى عليَّ ليحدث بعدها مثلما يحدث كل مرة أفتح عيني لأرى أنني على فراشي وكل شيء طبيعي .

إلى متى سيستمر هذا الجحيم ؟!

لكن تلك المرة رأيت ورقة كانت بجانبي على الفراش وهي نفس الورقة التي رأيتها في الكابوس من قبل.

وأخيراً شيء مادي أمام عيني رأيته في الواقع ولم يكن في كابوسي هذا، ومن هذه الورقة سأحاول أن أفسر كل شيء يحدث لي .

عندما فتحت الورقة لم أفهم منها أي شيء؛ لأنها كانت مكتوبة بحروف غريبة يصعب قراءتها هل هي حروف فرعونية أم ماذا ؟ لا أستطيع تفسير المكتوب بها .

-نعم لا يوجد أمامي غير « ممدوح « هو من سيفسر لي هذه الورقة .

ممـدوح هـو صديـق لي طالـب بكليـة آثـار ويقيـم معـي بنفـس الغرفـة، لكنـه الآن في زيـارة لـلأسرة في المنصـورة وسـيعود غـداً، وعندمـا يعـود سـأخبره بـكل شيء حـدث ليفـسره لي

فإذا استمر الحال على هذا النحو حتما سأجن .

***

قبل الكابوس بأيام

حينهـا كنـت في الأقـصر بعـد أن تلقيـت مكالمـة مـن والـدتي لتخـبرني بـأن والـدي مريـض ويريـد أن يـراني فـورًا .

بمجـرد وصـولي إلى البيـت دخلـت لغرفـة والـدي وبعـد أن اطمئنيـت عـلى صحتـة، أعطـاني صندوقـاً قديمًـا جـدًا وأوصـاني بعـدم فتحـه الآن .

بالطبـع بحـر مـن الأسـئلة انهـال عـليَّ والفضـول كاد يقتلـني، كنـت أريـد أن أعلـم مـا هـو الـشيء الـذي يوجـد في الصنـدوق، ومـا هـو الداعـي بوصيـة والـدي بعـدم فتـح الصنـدوق الآن .

أخـذت الصنـدوق وخرجـت مـن الغرفـة وتحركـت بعدهـا إلى غرفـتي وبمجـرد دخـولي سـمعت صـوت صريـخ والـدتي يخـرج مـن غرفـة والـدي .

لقـد تُـوفي والـدي بعـد مقابلـتي بدقائـق معـدودة وآخـر مقابلـة معـه كانـت بمثابـة وداع ليـس إلا، لكنـه وداع أضـاف لي كـم هائـل مـن الأسـئلة لا يوجـد إجابـة لهـا غـير عنـد والـدي وهـا هـو تُـوفي الآن .

تناسـيت أمـر الصنـدوق بانشـغالي في مراسـم الدفـن والعـزاء الـذي استمرلأسـبوعين متواصلـين .

***

 # كف الملعونة

عـاد «ممـدوح» مـن المنصـورة وبمجـرد عودتـه حكيـت لـه كل شيء حـدث معـي مـن أول سـفري إلى الأقـصر حـتى بـدأت أحلـم بالكوابيـس الغريبـة .

لـم يصـدق حرفـاً وهـذا مـن حقـه فـلا يوجـد شـخص عاقـل يصـدق هـذه الأشـياء الغريبـة الـتي تحـدث معـي .

أعطيـت لممـدوح الورقـة ليفـسر لي مـا فيهـا ويخـبرني هـل أيضـا أمـر الورقـة ليـس حقيقـي ووهـم أيضـاً مـن أوهامـي .

بعـد أن رأى الورقـة ارتسـم عـلى وجـه ممـدوح الدهشـة ناظـرًا لي، ثـم للورقـة مـرة أخـرى لهـذا تسـاءلت :

- ممدوح.. لماذا تنظر لي هكذا؟

رفع ممدوح وجهه لي وبعدها قال لي بلغة استفسار :

- مـن أيـن جئـت بهـذه الورقـة، لا تقـل لي بأنـك جئـت بهـا مـن عالـم الكوابيـس الخـاص بـك كان يقـول آخـر جملة بـكل تهكم لهـذا جاوبتـه في إصرار :

- كمـا قلـتَ، أنـا جئـت بهـا مـن عالـم الكوابيـس الخـاص بي، إذا أردت أن تصـدق أو لا تصـدق هـذا شيء لا يخـص شـخص سـواك، ولكـن أقسـم لـك بأنـني أقـول لـك الحقيقـة . لكـن الأهـم الآن أريـد منـك بـأن تخـبرني مـا هـو المكتـوب بهـذه الورقـة.

ممـدوح قـال لي كلامًـا غريبًـا لـم أسـتطع أن أصـدق حرفـاً منـه، ولا أعلـم مـا هـو الـشيء المشـترك في قصـة هـذه الورقـة وبيـني أنـا .

فلقـد أخـبرني أن في فـترة العـصر الفرعـوني كانـت الملكـة نفرتيتي زوجـة الملك إخناتـون قـد كفـرت بعبـادة إخناتـون زوجهـا إلـه الشـمس، ولهـذا السـبب أمـر

بقتلها وأيضًا أمر كهنة المعبد بأن يتم تشويه جسدها، وتم قطع يد الملكة ودفنها في مكان آخر بعيد عن جسدها .

لأن الفراعنة كانو يؤمنون بأن الجسد السليم فقط هوالذى يدخل الجنة ولهذا السبب تم تشويه جسدها، وعندما تبعث الملكة من مماتها لا يمس جسدها الجنة وتخلد في النار .

لا أفهم شيء! ما دخلى أنا وهذه الملكة ولماذا تطاردني؟ كلها أسئلة لا يوجد لها أية إجابة .

***

اليوم التالي :

استيقظت في منتصف الليل على صوت شخص أعرفه يتحدث في أذني، كان مجرد صوت فقط لا يوجد أحد في غرفتي، ولكن عندما ترجلت من فراشي وجدت باب غرفتي ينفتح ببطء، حتى انفتح الباب عن اخره فرأيت شخصًا يقف عند الباب يرتدي جلبابًا أبيض ويستند على عصا .

اقترب لي حتى استطعت أن أرى ذلك الشخص كان والدي يقف الآن أمام فراشي ويحدثني بجملة واحدة { كل ما تريد معرفته بالصندوق }

كان يكرر الجملة كثيرًا وفجأة يختفي من أمام عيني لاستيقظ عند استيقاظي تذكرت الصندوق الذي تناسيت أمره بسبب انشغالي بعزاء والدي لهذا قررت السفر إلى الأقصر ..

قبل السفر أخبرت ممدوح بأن يسافر معي إلى الأقصر ليساعدني فيما أنا مقبل عليه، وبالفعل ممدوح وافق ولم يعترض .

***

 # بداية اللعنة كف نفرتيتي

لقد وصلنا إلى الأقصر من عدة دقائق، بمجرد دخولنا البيت وبعد أن سلمت على والدتي واطمئنيت على حالتها، اتجهت ومعي ممدوح إلى غرفتي لغرض ذلك الصندوق الذي تناسيت أمره، بحثت عن الصندوق ووجدته كما هو بنفس المكان الذي وضعته قبل سفري إلى القاهرة، ولم يمسه أحد طوال غيابي، أمسكت بالصندوق وفتحته، وعندما فتحته لم نصدق ما رأيناه بالصندوق !!

يد آدمية ملفوفة بشيء غريب لم نعلم ما هو هذا الشيء، وأيضا موجود بالصندوق ورقة، في هذه اللحظة أمسك ممدوح بالورقة وبدأ في قراءة ما بها ...

منذ خمسة عشر عاماً جاءني شخص يدعي « لوي هامون « باحث وتاجر أيضاً في الآثار المصرية القديمة من فرنسا ..

قال لي إنه يريد دخول مقبرة توت عنخ آمون سراً وأنا الشخص الوحيد الذى بإماكنه مساعدته، وسيكون لي مبلغاً كبيرًا من المال، وعندما سألته لماذا يريد الدخول سراً وهو شخص من ضمن فريق العمل في التنقيب والبحث بمقبرة توت عنخ آمون ..

كان رده أنه لا يريد أن يعرف أحد بهذا الشيء، ولا يوجد أحد يعرف المكان السري بقبر الملك آمون غيره هو، ويريد هو فقط من يكتشف هذا المكان السري ..

وافقت على مضض، وبالفعل دخلنا إلى المقبرة، وأكثر من ساعة نتوغل بداخل دهاليز المقبرة حتى رأينا فتحة جانبية بآخر المقبرة، دلفنا إلى داخل الفتحة لنرى ساحة واسعة وفي منتصفها تابوت فرعوني ضخم .

اقترب « لوي هامون « إلى التابوت، حينها قال لي: ساعدني لنفتح هذا التابوت بالفعل ساعدته وانفتح التابوت، كان التابوت يضم شيئاً ملفوفًا بطريقة غريبة، أهذا شيء من تحنيط الفراعنة أم ماذا لا أعلم ما هو الملفوف .

بعدها أمسك بذلك الشئ وأخذ يفكه حتى انكشفت وعندها علمت بأن هذا الشيء عبارة عن يد آدمية !!! الأغرب ليست اليد، الأغرب هو أن اليد كأنها يد حية، يوجد بها حياة، من ملمسها الساخن والعروق التي تدق أحس بها بين أنامل يدي، في هذه اللحظة أعطيت له اليد بخوف بعد أن أخذتها منه وتأملتها ...

هي دقائق معدودة اليد تتحرك من بين يد « لوي هامون « وتقبض على رقبته وراحت تخنقه حتى انفجرت رأسه لأشلاء أمام عيني !!!

رأيت المشهد متوجساً من شدة الرعب، ولكن سيطر على عقلي شيء واحد وهو ما فعلته، أخذت اليد وخرجت من المقبرة بأقصى سرعة !!

ومن هذا الوقت اليد تطاردني في كل مكان، تطاردني بأحلامي، تطاردني في العمل، في كل مكان متواجد به، تطاردني وتتوعدني بالهلاك !!!

أتذكر يومها، أنني رأيت سيدة وجهها محترق ويدها منفصلة عن جسدها، دخلت إلى غرفتي في منتصف الليل، واقتربت من فراشي، وراحت تتوعدني بالهلاك وأنها ستنتقم ولكن قالت لي لن أنتقم منك أنت سأنتقم من أعز شيء تمتلكه ..

ومن هذا الوقت لم تظهر لي ولم أشاهد أي شيء غريب حدث خلال هذه الفترة، ولكن قبل أيام بسيطة جاءت لي وأخبرتني أنه جاء وقت الانتقام، ولهذا طلبتك يا بني لأنها ستنتقم ولابد من إرجاع هذه اليد

وإلا ستلقى مصيرًا كارثيًا، وأنا لا أريد أن يحدث لك أي مكروه بسببي أنا في شيء لم تفعله أنت ...

بعدما انتهي ممدوح من القراءة اتضح كل شيء أمامي، والدي هو سبب كل ما يحدث لي، وشبح الملكة نفرتيتي يطاردني أنا حتى أدفع ثمن ما فعله والدي ...

والأدهى هو شرط قبول شبح الملكة نفرتيتي لليد، علينا أن نقوم بطقوس معينة حتى تقبل اليد وتفك لعنتها، ولو لم نفعل هذا سألقى مصيري ..

***

داخل مقبرة توت عنخ آمون

عند حلول منتصف الليل دلفنا إلى مقبرة توت عنخ آمون، بعد اتصالي بأحد أصدقاء والدي في العمل لكي نتمكن من الدخول بدون مشاكل، وفي تمام الساعة الواحدة دخلت المقبرة وبعدي ممدوح، وأخذنا نتوغل في ممر طويل وضيق جدًا، لا يسع شخصين، حتى وصلنا لغرفة واسعة تحيطها من الأربع جهات نقوشات فرعونية كثيرة، وبعض المصابيح تبدو كرأس آدمية، يخرج منها لهيباً أحمر.. إضاءته تضيف لساحة الغرفة منظراً أكثر رعباً ...

أخذنا نتأمل المكان بتوجس، بينما نظرت إلى ممدوح الذي يقف أمامي مرعوبًا من هذا المنظر، كنا نتبادل مع بعضنا البعض النظرات، وكل نظرة منها تحمل سؤالاً واحدًا، وهو من أي جهه سندخل، حينها لفت انتباهي فتحة صغيرة أمامي نظرت إليها قليلا، ثم قطعت هذا الصمت قائلاً:

_ سأدخل أنا وستنتظرني هنا وعندما أكتشف المكان من الداخل سأنادي عليك .

بالفعل توجهت ناحية الفتحة، أحمل معي الصندوق الذي يوجد به كف الملكة نفرتيتي وكلما زاد توغلي لداخل الممر زاد معه انقطاع الأكسجين وأصبح التنفس منعدم تمامًا، ومع إصراري وضيق تنفسي، استمريت في السير، حتى وصلت لنهايتها، وهالني ما رأيت ... . عظام آدمية متناثرة على الأرض !! بشكل لا يستوعبه عقل !!! تحركت ببطء حول المكان وصوت تكسير العظام أسمعهُ، ناهيك عن أصوات الهمهمات والصرخات من حولي لا أقدر على تحملها، كأنها تخرج من أعماق الجحيم، تغولت أكثر إلى الداخل، حتي ظهر دخان كثيف وجد من العدم، حجب الرؤية عني تماماً وبعد لحظات تشكل الدخان على هيئة جسم ضخم، ثم ظهر أمام عيني بملامح سوداء، عينيه كأنها جمر من النار، وعلي رأسه قرنان مثل الشياطين !! أخذ الكائن الضخم يضرب بحوافر أقدامهِ على الأرض، حتى خرجت أربع كائنات، تشبه الكائن في كل شيء ولكنها صغيرة الحجم عنه، بنفس هيئته، الحوافر والبشرة السمراء والشعر المنتشر بأجسادهم وأعينهم الحمراء ونظراتهم التي كانت تضيف لي رعشة قوية بجسدي المثبت على الأرض .

وأكثر ما هالني من هذه الكائنات، أنها كانت تفعل أشياء غريبة، تحركت حركة واحدة، ثم بدأت ترسم دائرة على الأرض، في لحظتها خرجت من الدائرة امرأة شكلها مخيف جدًا، بوجه وجسد محترق ويد منفصلة عن الجسد. وقفت المرأة عدة دقائق في الدائرة، والكائنات الأربعة تحيطها ومعهم الكائن الضخم، أخذوا يسجدون ويركعون لها كأنهم يعبدونها، كنت أشاهد هذا المنظر بجسد ثقيل لا يتحرك وفم لا ينطق بحرف من شدة فظاعة المشهد، لكنني حاولت السيطرة على نفسي وأخذت بعدها الصندوق ووضعته تحت أقدام الملكة نفرتيتي، لكنها فعلت شيئًا لم أفهمه، تحركت تجاهي وأخرجت ضحكة قوية أحدثت هزه قوية بالمكان، ومن ثمّ بدأت تتكلم موجهة حديثها لي:

_ الموضوع ليس بهذه البساطة، حتى تنفك اللعنة وأقبل تدنيس جسدي، عليك بتقديم أضحيه لي، وبعدها ستنتهي اللعنة .

لم أفهم ما تقصده بكلامها، لهذا قلت لها:

_ عن أي أضحيه تتحدثين ؟ ...

بادلتني قائلة :

_ دم ...أريد دم بشري لفك اللعنة

بعد كلمتها الأخيرة اختفى كل شيء، الكائنات والملكة نفرتيتي وحتى الصندوق..

لم أقدر على استيعاب شيء مما حدث، هل كل شيء كابوس أراه أم هو حقيقي ....أسئلة لم أجد لها أي إجابة .

قطع تفكيري صوت صرخة قوية تصدر من خارج الفتحة، حينها سيطر بعقلي هاجس، أن هذا الصوت هو صوت ممدوح، لم أحتمل فكرة حدوث مكروه له، إن حدث له شيء سأعيش باقي حياتي بتأنيب الضمير .

ذهبت مسرعًا إلى مكان الصوت، وعندما وصلت لخارج الفتحة، رأيت جسد ممدوح ملقى على الأرض، بلا رأس، وكل جزء من جسده ممزق، وبقعة دم دائرية بجانبه !!!! اسودت الرؤية بعدها ولم أشعر بأي شيء حولي ...

***

استعدت الوعي لأجد نفسي مستلقي بفراشي ووالدتي بجانبي وعندما رأت أني أفقت... انتفضت صارخةً من مكانها ..

لتقول لي:

_ أحمد الله على سلامتك يا ابني ..أخيرًا أفقت ...

بعدما اطمأن عليّ حكت لي ما حصل منذ أن وجدوني، أشياء لا يصدقها بشر، أنني فقدت الوعي منذ أسبوع وصديق والدي، رآني أخرج من المقبرة أصرخ من الرعب والفزع...

وعندما سألتها ماذا عن ممدوح ؟!...

قالت لي وجدوا جثته داخل المقبرة ممزقة !!! توفي ممدوح بسببي أنا، لأنني من قدمته أضحية لهم، بغير وعي مني، أو إدراك

بعد عدة أيام استيقظت على صوت همهمات داخل غرفتي، اهتز جسدي بذعر، أصابتني قشعريرة قوية من ذلك الصوت، بينما اليد على الأرض تتحرك بسرعة متجهة إليَّ ! حتى اقتربت لرقبتي لتخنقني بكل قوة، سقطتُ بعد ذلك على الفراش بعد صراع دام لدقائق لأصبح بعد ذلك جسدًا بلا روح ! هنا يعم الصمت في كل أرجاء الغرفة لينتهي كل شيء.

تمت

محمد مهني

جميلة

لا يعلـم لمـاذا أنجـذب إليهـا!! ولكـن كان لديـه ذلـك الإحسـاس الملـح برغبتـه فيها!،تضـع الكثـير مـن زينـة الوجـه ربمـا بشـكل مبالـغ قليـلا، عندمـا كان يحـاول التحـدث إليهـا كانـت دائمـة النظـر إلى الأرض، نـادرًا مـا كانـت تنظـر إليـه وهـذا جذبـه إليهـا أكـثر، فكـم هـى أنثويـة تلـك المـرأة الغامضـة الخجـول!!

ولكنـه كان دائـم الشـعور أن هنـاك سر خفـى بحياتهـا!، كانـت جديـدة بالبلـدة، قالـوا إنهـا جـاءت ومعهـا ابنتهـا، ولكنـه لـم يصـادف أن رأى تلـك الفتـاة الأخـرى بـأى مـرة، دائمًـا كانـت وحدهـا ممـا آثـار فضولـه بحاسـته البوليسـية !!

امراءتـان جـاءا إلى البلـدة مؤخـرًا، لا تظهـر منهمـا سـوى واحـدة قليلـة الـكلام، غامضـة والأخـرى حبيسـة المـنزل!! مـا هـو الـسر الـذى يجمعهمـا ويحـاولان إخفـاءه!!

حـاول التقـرب إليهـا بحكـم عملـه كشرطـي بمخفـر البلـدة، وبنفـس الوقـت كان الفضـول يـكاد يقتلـة ليعـرف قصتهـا، ولكنهـا لـم تكـن تعطيـه الفرصـة لذلـك، كلمـا حـاول فتـح مواضيـع معهـا أو الالتفـاف عليهـا لتدعـوه إلى منزلهـا يجـد سـدًا منيعًـا بينـه وبينهـا، حـتى ذلـك اليـوم الـذى قـرر دعوتهـا عـلى العشـاء بشـكل مبـاشر، وافقـت عـلى مضـض بعـد أن حـاول تهديدهـا بلطـف

أنه سيحول حياتها الى جحيم بحكم عمله ! لقد اضطر إلى ذلك حتى يجبرها على الموافقة، يريد التحدث معها، هناك الكثير من الأسئلة التى يريد أن يعرف إجاباتها ليروي فضوله.

جلسا بذلك المطعم الصغير ذو الإضاءة الخافتة بعد أن أصرت عليه كشرط للموافقة على دعوة العشاء، لا يبالى، المهم أنها وافقت.

- انتى تثيرين جنون البلدة بأكملها، هل تعلمين ذلك؟؟

- أنا!! لماذا؟؟ تساءلت وهى تتفادى النظر إليه.

- بسبب ذلك الغموض الذى يحاوطك أنتى وابنتك.

- ابنتى!! آه، أنت تقصد أختى.

- إذًا إنهم يخمنون، فلا أحد يعلم عنكى شيئا! من أين جئتى؟ ماذا تعملين؟ ولماذا أختك لا تخرج من المنزل منذ أن جئتما إلى هنا ؟؟ بدا مندفعًا بأسئلته، أما هي فقد بدى عليها التوتر وأخذت فى وضع يدها على صدغها، وتقوم بالضغط علية بشكل غريب قبل أن تقول ببطء: اعذرنى، عليَّ أن أذهب إلى الحمام.

رفع حاجباه مندهشًا قبل أن يحرك كتفاة بلا مبالاة : حسنًا..

تحركت ببطء شديد كما لو كان هناك شيئًا ما يكبلها واتجهت إلى الحمام لتختفى بالداخل، أشعل سيجارة وأخذ يراقب الدخان فى شرود منتظرًا عودتها، ولم تعد إلا فى منتصف السيجارة الثانية!! كانت بكامل رونقها ولقد زادت من زينة وجهها ورسمت ابتسامة على شفاها، وهى تعود لتجلس قبالته:

- آسفة على التأخير.

- لا عليكى، ماذا تريدين على العشاء

- فقط حساء.

- ألا تريدين أي شيئ آخر!!

- لا، لست جائعة.

عقد يداه أمامه بعد أن أبلغ طلبه للنادل وأخذ ينظر إلى وجهها متمعنًا بشكل جعلها تتوتر وتعود للخلف محاولة الاختفاء بالظل بعيدًا عن الإضاءة.

كان يراها جميلة، فقط لو تتركة يمسح عنها كل تلك الزينة السخيفة التى تلون بها وجهها!

- قاطعت أفكارة فجأة : أنا أعمل طبيبة، ولكنى تركت المهنة منذ فترة بسبب ..، توقفت قليلا كما لو كان هناك ذكرى تداعب خيالها قبل أن تكمل : بسبب حادث تعرضت له جعلنى أتوقف عن مزاولة المهنة، أنا اسمى جميلة، الناس هنا ينادونى باسم عائلتى ولا أحد يعلم اسمى، أما أختى فهى مريضة، لذلك لا أقوم بإخراجها من المنزل، لقد انتقلنا للبلدة هنا توفيرًا للمال، كنا نبحث عن منزل صغير ومكان يمكننا الحياة به فى حدود تكاليف أقل، لا يوجد شيئ غامض، فقط أنا لا أحب الاختلاط بالناس؛ لذلك أبدو بالنسبة لهم غامضة. توقفت عن الكلام فجأة كما بدأت فجأة. كان كلامها يبدو منطقيًا ومقبولاً، ولكنه كان منطقيًا زيادة عن اللزوم بشكل أثار ريبتة، لا يعلم لماذا يشعر أنها تخبئ شيئًا لم تفصح عنه وسط حكايتها البسيطة، لا يمكن أن يكذب حدسه كضابط شرطة حتى لو كان منجذبًا إليها.

- لم تخبرينى ما هو الحادث الذى أبعدك عن مزاولتك مهنتك؟؟

- لا أريد التحدث بذلك الأمر، لقد كان الأمر مؤلمًا ولا أريد الخوض فى الحديث عنه.

جاء النادل ليضع الطعام أمامهم، كان الحساء ساخنًا تتصاعد منة الأبخرة فابتعدت بوجهها عنه بحدة.

- ماذا حدث!! تساءل بدهشة، هو متأكد أنها لم تلمس الحساء!!

- بعتذر منك، سأذهب إلى الحمام. قالتها وهى تتحرك فى سرعة مبتعدة ليراقبها وهى تختفى عن نظره المندهش، هو يعلم أن النساء لديهنَّ هوس بزينتهم، ولكن ليس لدرجة الذهاب للحمام بمعدل كل عشر دقائق ليختفوا بالداخل ضعف الوقت!!

بدأ فى تناول طعامه بنهم، فهو لم يتناول شيئًا منذ الصباح.

فجأة لاحظ شيئاً غريبًا بطبق الحساء خاصتها، كما لو كان شيئا يطوف على سطحها، أشار إلى النادل فأتى سريعًا ليخبره أن يبدل ذلك الحساء وأن يحافظوا على نظافة الطعام أو سيضطر للتصرف معهم بطريقته الخاصة! بدى الشاب مندهشًا وهو يحمل طبق الحساء مبتعدًا وهو يعتذر.

جاءت أخيرًا وقد أخذت وقتاً أطول تلك المرة!

- آسفة.

- لا عليكى، ولكن هل تتخذين الحمام حماية منى مثلا؟ أو تريدين تضييع الوقت دون الجلوس معى؟؟ سألها بلؤم

لم تنظر إليه ولم تجبة ولكنه استرسل قائلاً بلطف مصطنع: أنا لم أكن أريد إجبارك على الخروج معى، ولكن رفضك المستمر جعلنى أفعل

ذلك حتى توافقى، أنا لست سيئاً كما تعتقدين، أرجو أن تعطينى فرصة للتقرب إليكي ولا تحاولين الهروب منى.

- أنا.. اااا، يجب ان أعود إلى المنزل الآن، لا يمكننى ترك أختى وحدها كل هذا الوقت.

- حسنًا.. كما تريدين، ولكن عدينى أولاً أنك ستعوضيننى بموعد آخر.

- آ آ حسنا. هل نذهب الآن؟

أشار للنادل ليحضر له الحساب ولكنه أخبره أن مدير المحل قد اعتبر العشاء هدية كاعتذار عن الحساء. بدا راضيًا وخرج خلفها وقد سبقتة للخارج .

- لماذا تضعين يدك على وجنتك هكذا؟ تساءل متعجبًا

- إنها حركة لا إرادية عندما يصيبنى ألم الأسنان، اعذرنى، يجب أن أذهب الآن، إنها المرة الأولى التى أترك بها أختى وحيدة كل هذا الوقت.

- سأسير معكى حتى المنزل.

- ولكن...

- لا يوجد لكن، أنا مصر، إذا كنتى لا تريدين التأخير فعليكى بالموافقة لأنى لن أتراجع.

سارت بجانبة وهى تنظر للأرض، ملفحة رأسها بذلك الوشاح الأسود كملابسها ويظهر شعرها الأسود لامعًا من تحته محاوطًا وجهها، شاحبة، ترسم عيناها بكحل أسود يعطيها طلة مثيرة، إذا لم يكن عصر الساحرات انتهى لشك أنها ساحرة!! مازال لديه الكثير من الأسئلة ولكنه سينتظر الوقت المناسب عندما يستطيع اختراق ذلك السور الذى تحاوط به نفسها.

كان المنزل قريبًا من المطعم؛ لذلك لم يتخذ الطريق أكثر من عشر دقائق تبادلوا بها كلمات قليلة، بل كان يتحدث وهى تكاد تجيب بكلمة واحدة، ولكنه أرجح ذلك بما تعانية من ألم بأسنانها!

وصلا إلى باب المنزل فالتفتت لتوديعه، ولكنه أصر على الدخول معها!!

- لكن... قالتها وقد بدا عليها التوتر

- فقط دقائق قليلة، سأطمئن عليكى ثم أذهب.

كان يعلم أنه يضغط عليها، وربما يبدو لزجًا، ولكنه لم يستطع كبح فضوله من فرصة رؤية المنزل والتعرف الى أختها.

سمحت له بالدخول واعتذرت للذهاب إلى الحمام! تركتة ليجلس منتظرًا، عندما اختفت بالداخل وقف متجولا لينظر حوله، كانت الإضاءة خافتة جدًا بالمنزل، أثاث بسيط ولكنه جميل، كان هناك صورة وحيدة صغيرة ببرواز على المنضدة الركنية، اقترب لينظر إلى الصورة بوضوح أكثر، كانت هي بالصورة، نفس ملامحها ولكن العينان مختلفتان، عينان زرقاوتان وشعر كستنائي، تبدو أصغر سنًا وبجوارها فتاة فارعة ليست بنفس القدر من الجمال بشعر أسود حالك ونفس الجسد تقريبًا!! أمسك بالصورة ليقربها منه عاقدًا حاجبيه، شعر بحركة خلفه ليلتفت قبل أن يجفل !! كانت هناك فتاة تقف عند باب الغرفة ينسدل شعرها الكستنائي على كتفاها مشعثا وترتدى على وجهها قناعًا يداريه، بالكاد تظهر عيناها الزرقاوتان من خلفه، كانت نحيفة ترتدى رداءً واسعًا وترتمى يداها بجانبها وقد مالت برأسها قليلاً محدقة به.

لجمتة المفاجأة وهو ينظر إليها مصدومًا قبل أن تقترب منه ببطء جعلة يتوجس وبحركة لا إرادية أخرج مسدسه!!

- من أنت؟؟ قالتها الفتاة من خلف القناع ببراءة

- قـلَّ توتـره ليبعـد يـده عـن المسـدس واضعًـا إيـاه عـلى الأريكـة بجـواره قائـلاً : هـل أنـتى أخـت جميلـة!!

- أنا أختها الجميلة. قالتها قبل أن ترددها مرارًا وتكرارًا!

- يبـدو أنهـا تعـانى مـن مـرض عقـلي. قالهـا محدثـا نفسـه، ولكـن مـا لفـت نظـره تشـابهها بتلـك الـتى بالصـورة، ولكـن بالصـورة ملامـح جميلـة!!

- أراك قـد تعرفـتَ بأخـتى، مـي. قالتهـا جميلـة بهـدوء، كانـت قـد أزالـت الوشـاح عـن رأسـها لينسـاب شـعرها الأسـود محاوطًـا وجههـا ورقبتهـا بنعومـة زادتهـا بريقًـا وشـحوبًا.

- لم أكن أعلم أنها...

أشـارت لـه كي لا يكمـل قبـل أن تربـت عـلى كتفهـا بلطـف قائلـة : اذهـبى إلى غرفتـك يـا حبيبـتى.

- هل أحضرتي لي وجهًا كما وعدتيننى؟؟

- هششششش، اذهبى إلى حجرتك الآن فهناك غريب بيننا.

وجهت الفتاة نظرها إليه قبل أن تتحرك فى استسلام مبتعدة.

- أنـا آسـف حقًـا، أقـدر الآن مـدى الألـم الـذى تشـعرين بـه والمسـؤولية الـتى تتحملينهـا وحـدك. قالهـا وهـو يقـترب منهـا ليلمـس يدهـا فى لطـف، ولكنهـا ابتعـدت بتوتـر قائلـة : أعتقـد أنـه عليـك الذهـاب الآن.

- لمـاذا تصريـن عـلى التهـرب مـنى!! أنـا أريد مسـاعدتك، أسـتطيع مشـاركتك تلـك المسـؤولية، لسـت مضطـرة أن تظـلى وحيدة.

أغمضت عيناها فى تأثر ونزلت دمعة منها غصبًا، مد يده ليمسحها عنها فإذا بها تبتعد عنه كالملسوعة عندما لمسها قبل أن تقول بتوتر : بعتذر منك، يجب أن أذهب إلى الحمام.

- لن أسمح لكي بالهرب مني. قالها وهو يمسكها من ذراعها قبل أن تبتعد .

- أنا أعلم أنكى تتخذين الحمام حجة للهروب من أسئلتى أو من تأثيري عليكي، لماذا تحاولين صدي بهذا الشكل!!

- أرجوك، اتركنى لأذهب .

- لن أتركك تهربين من بين يدى، أنا أريدك منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناي عليكى، أنتى جميلة، بل تملكين جمالاً مميزًا هل تعلمين ذلك؟؟ قالها وهو يقربها إليه أكثر ناظرًا بعمق فى عيناها السوداوين. بلعت لعابها بصعوبة وهى تشعر بالضعف تحت ضغط كلماتة المعسولة ولمسته لها، لم يلمسها أحدا بهذا الشكل من قبل!! غصبًا عنها شعرت بالوهن، أغمضت عيناها وتركتة يلثم شفاها وهى تستمتع بذلك الشعور الغريب عليها!!

شعر بطعمًا غريبًا فى فمه، هناك شيئ ما خطأ!! فتح عيناه ليصعق مما رأى!! لقد كان لحم وجهها ظاهرًا من جانب فمها وقد انزاح الجلد عنها كما لو كان قناعا بشريًا!! ابتعد عنها مصعوقا وهو يحدق بها وهى مغمضة العينين كما لو كانت قد ذهبت فى حلم بعيد، قبل أن تتنبة لابتعاده عنها، لمست وجهها بيد مرتعشة قبل أن تصرخ فجأة ليزداد الأمر سوءًا وتركض لتختفى بالداخل!!

بـدأ عقلـه كشرطـي يعـود إليـه وهـو يفكـر سريعًـا، كيـف هـذا ؟!! مـا هـذا الـشئ؟!! أمسـك بالصـورة مجـددًا محملقًـا بهـا قبـل أن تبـدأ الخيـوط تترابـط برأسـه، إصرارهـا عـلى الابتعـاد، الأضـواء الخافتـة، أختهـا ذات القنـاع، الصـورة ! ركـض باحثًـا عـن مـي، ليفتـح بـاب غرفـة مغلقـة فيجدهـا بالداخـل تجلـس عـلى الفـراش وتنظـر إلى صـورة بيدهـا!!

رفعت رأسها إليه قائلة : أنا أختها الجميلة، انظر.

كانـت الصـورة بيدهـا هـى نفـس الصـورة الـتى بالخـارج، أشـارت إلى الفتـاة ذات ملامـح جميلـة قائلـة : انظـر، إنهـا أنـا..

رفـع نظـره إليهـا قبـل أن يقـترب مـن القنـاع الـذى تضعـه ليرفعـه عنهـا بـتردد، وقـد هالـه مـا رأى!! كانـت دون وجـه !!!!!!!

انتفض مبتعدًا وقد وقع القناع على الأرض

- تملـك وجهًـا جميـلاً. قالتهـا وهـى تقـترب منـة ببـطء وتلمـس وجهـه بيدهـا فى رقـة

-ابتعـدى عـنى. قالهـا صارخًـا قبـل أن يضـع يـده باحثًـا عـن مسدسـه، ولكنـه تذكـر أنه تركـه بالخـارج!!

- لـم أكـن أريـد لذلـك أن يحـدث، الآن بعـد أن علمـت بالـسر لا يجـب أن تخـرج مـن هنـا لتخـبر بـه النـاس.

التفـت ليجـد جميلـة واقفـة عنـد بـاب الغرفـة وقـد تمالكـت نفسـها وأصلحـت وجههـا وتحمـل مسدسًـا بيدهـا وتصوبـه إليـه !!

- مـا الـذى سـتفعلينه!! قالهـا متسـائلاً بخـوف وهـو يتراجـع خطـوة لا إراديـةً وهـو ينظـر حولـه فى محاولـة للتفكـير فى مخـرج مـن بـين براثـن تلـك المعتوهـة.

- إنـتَ كنـت تريـد أن تعـرف كل شئ، سـأخبرك بمـا أثـار فضولـك كل تلـك المـدة، أنـا ومـي أختـان شـاء القـدر أن يفـرق بينهمـا، فمـي كانـت جميلـةً جـدًا، ولكنهـا كمـا تـرى مريضـة عقليًـا، أمـا أنـا فاسـمى جميلـة، ولكـن لـم يكـن لى نصيبًـا مـن اسـمي! لقـد افتقـرت للجمـال الـذى تمتلكـه أخـتى، كان جميـع الشـبان يتقدمـون لهـا وعندمـا يعلمـوا بمصابهـا لا يفكـرون فى تلـك القبيحـة أختهـا، حـتى جـاء ذلـك اليـوم الـذى زادنى بشـاعة عندمـا قامـت مـي بإشـعال حريـق بمنزلنـا، لـم يصيـب جمالهـا شـيئًا، ولكـن تُـوفيّ أبى وأمـى وتشـوه وجهـي، لـم يكـن ينقصـنى سـوى ذلـك! كنـت أحقـد عليهـا قبـل الحريـق بسـبب جمالهـا وحقـدت عليهـا أكـثر بعـده بسـبب مـا حـدث لي! كان يجـب أن تدفـع الثمـن، بحكـم مهنـتى بحثـت ودرسـت كثـيرًا حـتى توصلـت لطريقـه أسـتطيع بهـا نقـل وجههـا لى دون أن يصيبـه التعفـن، أمـور طبيـة معقـدة سـأحلك مـن الاسـتماع إليهـا، ولكنـه كان حـل مـرضي بالنسـبة لى لأسـتمتع قليـلا بمـا حرمـت منـه طـوال حيـاتى، نظـرة الإعجـاب، ولكـني ما زلـت أعـاني الحرمـان لأني لا أسـتطيع أن أجعل أحدهـم يقـترب مـني، كلمـا شـعرت أنى سـأضعف بعلاقـة مـا انتقـل لبلـدة أخرى لا يعرفنـا بهـا أحـد . لقـد كتـب علينـا أن نظـل أنـا وهـي مرتبطـان الى الأبـد.

شـعر بالصدمـة مـن كلامهـا ولكنـة حـاول التغلـب عـلى ذلـك وهـو يقـترب منهـا ببـطء قائـلاً : إنـتى مخطئـة، عندمـا لمسـتك كنـت أشـعر بالسـعادة، أنـا أريـدك، وعـلى اسـتعداد لإكمـال القصـة معـك لنصـل بهـا الى نهايـة سـعيدة.

- توقـف . قالتهـا وهـى تشـير لـه بالمسـدس بيـد مرتعشـه، وقـف لثانيـة ولكنـه شـعر بتأثـير كلامـه عليهـا فأكمـل بخطـوات واثقـة مقتربًـا منهـا : أنـتى تريدينـنى كمـا أريـدك، لقـد شـعرت بذلـك عندمـا كنـت أقبلـك، أنـتى تعلمـين جيـدًا أنى مختلـف عـن أي مـن هـؤلاء الذيـن قابلتيهـم مـن قبـل، أنـتى تشـعرين بذلـك بداخلـك.

كان قد وصل إليها الأن ليمسك بيدها بلطف ساحبًا منها المسدس، وقد خارت قواها ودمعت عيناها التى امتلأت بالأمل أثر كلامه.

صوّب المسدس إليها لتفيق من أحلامها على أرض الواقع فجأة وهو يبتعد خطوتين إلى الخلف بعصبية : أنتى مكانك بالمصحة النفسية مع أختك، أعدك أنكما لن تفترقا هناك أبدًا حتى الموت.....قبل أن ينهي جملته كانت قد أصابته ضربة قوية على رأسه من الخلف، تلاها أخرى، ثم أخرى حتى اندفعت الدماء غزيرة من رأسة واسودت الدنيا بعيناه.

- كفى. قالتها جميلة صارخة فابتعدت أختها عنه جافله وأوقعت من يدها ذلك التمثال الثقيل الذى ضربته به!!

اقتربت جميلة منه ببطء لتجده قد فارق الحياة نظرت إلى أختها التى ركضت فى خوف وجلست على الأرض وتقوقعت على نفسها بجانب الفراش تراقبها بعيون ذاهلة.

اقتربت منها بعيون دامعة وأخذت القناع الواقع على الأرض بجوارها لتعيده إلى وجهها بلطف قائلة : شكرًا لكى يا عزيزتى، لقد أنقذتى حياتى.

- هل ستجلبين لي وجهًا الآن!! تساءلت الفتاة ببراءة

- نظرت جميلة إلى جسد الشرطي نظرة ذات مغزى وهى تجيب سارحة : حسنًا، ولكن يجب أن تعيدينى أن تلعبى بالوجه الجديد بداخل حجرتك فقط، لا يجب أن يراه أحدًا حتى لا يأخذه منك، فلتخبأينة كما كنتى تفعلين دائمًا مع الوجوه التى أجلبها إليكى، حتى أبحث عن منزل جديد لنا.

- ووجه جديد. قالتها الفتاة ضاحكة وهى تصفق بيدها فى سعادة طفولية.

- ووجـه جديـد. قالتهـا جميلـة مؤكـدة وهـى تبتسـم قبـل أن تلثـم رأسـها بحـب وتتحـرك لتجـر جثـة الشرطـى خارجًـا بصعوبـة بسـبب ثقـل جسـدة تاركـة آثـار الدمـاء عـلى الأرض مـكان السـحب!

أخرجـت مـي ذلـك الصنـدوق مـن تحـت الفـراش وفتحتـة ببـطء ليظهـر أمامهـا عـدة وجـوه مسـلوخة تـم صنعهـا بعنايـة مـن جلـود بشريـة، أخرجتهـم لتربـت عليهـم قائلـة : هنـاك وجـة جديـد قـادم إليكـم بالطريـق، هديـة مـن أخـتى لأختهـا الجميلـة.- أنـا أختهـا الجميلـة، أنـا أختهـا الجميلـة، وأخـذت ترددهـا مـرارًا وتكـرارًا !!!!!!

تمت

ديانا حسام الدين

الجن العاشق

« إن أروع ما يحدث لنا عادة ما يحدث مصادفة، وتكمن روعته فى أنه يغير حياتنا جذريًا إلى ما لم نكن نتوقعه» .

لذا كنت أنتظر تلك الصدفة التى من المفترض أنها ستغير حياتى إلى ما لم أتوقعه، ولم أضع فى حسبانى حينها أنها قد تغير حياتى للأسوأ .....

لست تلك الفتاة الملفتة للنظر، فلم أحظى بقسط كبير من الجمال، كما أن ثقافتى محدودة إلى حد ما، علاوة على أننى من أسرة متوسطة الحال فلسنا أثرياء حتى إلينا الخاطبون، لذا طالت عنوستى أكثر مما ينبغى؛ فظننت أننى لن أتزوج مطلقًا، وكلما تزوجت فتاة فى شارعنا المتشعب الدروب، أختلى بنفسي فوق سطوح منزلنا البسيط لأبكى حظى العثر، وبعدما أسكب قطرات دمعى أستريح قليلًا .

كم كنت أتمنى أن أكون فتاة جريئة تختلط بالشباب لأحظى بذاك الفارس الذى تحلم به كل الفتيات، لكن خجلى وإحساسى بعدم الثقة كانا يمنعانى مما تبرع فيه فتيات شارعنا، كنت أسير فى خط مستقيم، إنطوائية وهادئة بدرجة غريبة .

وذات ليلة بينما تدوى أصوات الموسيقى الصاخبة فى شارعنا، صعدت للسطوح أرى أكثر مشهد يبكينى، وقد كان عرس ابنة جارتنا، يقابل منزلهم

منزلنـا، رغـم إرادتى بكيـت عندمـا نظـرت لوجههـا المصبـوغ بتلـك الألـوان الزاهيـة، وعندمـا تأملـت فسـتانها الأبيـض، وعريسـها الـذى يداعبهـا أمـام المدعويـن، وتلـك الفرحـة الـتى تغمـر الوجـوه، وذاك الحبـور الـذى يلاقيانـه مـن الجميـع، وعندمـا وقفـا يتراقصـان عـلى أنغـام الموسـيقى وسـط حشـد مـن أقاربهـم لا أدرى مـا الـذى دهـانى؛ إذ جلسـت القرفصـاء خلـف الجـدار كى لا يـرانى أحـد وبكيـت كمـا لـم أبـكى مـن قبـل، وفجـأة شـعرت بيـد تربـت عـلى كتفـى، وسـمعت صوتًـا يهمـس فى أذنى قائـلًا : لا تبـكى، أنـا أحبـك .

نهضـت مفزوعـة، وقـد اختلـج قلـبى وارتفعـت نبضاتـه، وأخـذت أتلفـت يمينًـا ويسـارًا، فلـم أرى أحـدًا، كان السـطوح خاويًـا بخـلافى وحظائـر الطيـور، وذاك الظـلام الـذى يلـف الخـلاء حـولى، اتجهـت للحظائـر أتفقدهـا، ظنًـا مـنى أن صاحـب ذاك الصـوت يختبـأ داخـل إحداهـا، إلا أننـى لـم أرَ سـوى البـط والدجـاج يغفـو متلاصقـين تحـت ضـوء القمـر، فتعجبـت وازداد ارتجـافى، وأسرعـت بالـنزول لأسـفل .

فوجئـت برؤيـة أمـى تجلـس عـلى أريكـة تتوسـط البهـو تشـاهد التلفـاز، وقـد كان اضطـرابى وخـوفى جليًـا؛ إذ سـألتنى : مـاذا بـكِ ؟ أهنـاك خطـب مـا ؟

فهززت رأسى نافية وقلت : لا شئ، أنا بخير .

ثم دلفت إلى حجرتى قبل تكرار سؤالها ذاته بصيغة مختلفة .

تلـك الليلـة لـم أنـم، وأنى لى أن أنـام رغـم كل محـاولاتى التى باءت بالفشـل، فكلمـا غفـوت شـعرت بيـد تربـت عـلى كتفى وسـمعت همسًـا يقـول: لا تبكى .

وبعـد منتصـف الليـل سـمعت كركبـة فى المطبـخ، فظننـت أن أحـد أخـوتى يعـد لنفسـه قدحًـا مـن الشـاى، فقلـت لنفسـى : لمـا لا أنضـم إليـه ؟

لاسيما وقد جفانى النوم، كان المنزل يغرق فى الظلام ماعدا المطبخ، كان الصوت يرتفع كلما اقتربت منه، وعندما ولجته سكتت الكركبة ولم أجد به أحدًا؛ كان خاويًا تمامًا، وكل شئ فى موضعه، شعرت بالخوف، وعجزتا قدمى عن حملى، فكدت أقع على الأرض، ولا أدرى من أين وانتنى الجرأة للجرى إلى غرفتى، وأغلقت الباب، ثم اتجهت لفراشى أتدثر بالغطاء .

حاولت النوم مرارًا وتكرارًا، فلم أستطع ولا أدرى ما تلك اللعنة التى أصابتنى ؟!

عقلى لا يكف عن التفكير، وقلبى يدق كقرع الطبول، وأتوق لبزوغ شمس النهار، ولولا خجلى لأسرعت إلى غرفة والدىَّ أخبرهما بما حدث .

وبعد مدة لا أدرى كمها، سمعت طرقًا على الباب، نظرت لذاك الغطاء الذى يلف جسدى فعلمت أننى غفوت، سمعت نداءات أمى المتكررة من خلف الباب المغلق، فأدركت أن الوقت قد تأخر كثيرًا، تململت فى فراشى، وكل ذرة بجسدى منهكة، ولديَّ رغبة عارمة فى النوم مجددًا، لكن نداءات أمى الصاخبة حالت دون ذلك .

نظرت لى أمى مشدوهة حينما فتحت الباب، وقالت : هل أنتِ مريضة ؟

أدهشنى سؤالها فقلت : لماذا ؟

- لأنك تأخرت عن موعد استيقاظك بكثير، علاوة على شحوب وجهك، وذبول عينيكِ .

- نعم أشعر بالإعياء، ربما لأننى لم أنم جيدًا ليلة أمس .

- وما الذى منعكِ النوم ؟!

- حـدث شئ غريـب البارحـة؛ لقـد سـمعت صـوت كركبـة الأوانى فى المطبـخ أمـس، وعندمـا توجهـت إليـه لـم أجـد أحـدًا مطلقًـا .

- ماذا ؟! ومتى حدث هذا ؟

- بعد منتصف الليل بفترة وجيزة .

- شردت أمى قليلًا ثم قالت : ربما تتوهمين ...

فى مسـاء ذاك النهـار رغـم رغبـتى فى النـوم كنـت خائفـة، كنـت أشـعر بـأن هنـاك شـيئًا مـا يلاحقـنى، وعندمـا دلفـت لغرفـتى بعـد منتصـف الليـل، توسـدت فـراشى بعدمـا قـرأت أذكار النـوم الـتى جلبتهـا مـن الإنترنـت، وأخـذت أقـرأ القـرآن حـتى غفـوت، فرأيـت كأنـنى أقـف فى محطـة القطـار، أنتظـر أحـدًا، وفجـأة مـر أمامـى شـابٌ وسـيم، وبعدمـا ابتعـد عـنى خطـوات معـدودة، توقـف وأخـذ ينظـر إلىَّ متفرسًـا ملامحـى بتمعـن، ثـم أقبـل عـلىَّ وحدثـنى حديـث لـم أفهمـه، ومـد يـده إلىَّ فمنحتـه يـدى وقـد شـعرت بالانسـجام معـه وكأنـنى كنـت أنتظـره منـذ أمـدٍ بعيـدٍ، وسرنـا متقاربـين، وفجـأة تلاشـت محطـة القطـار مـن حولنـا وظهـر مـكان آخـر، لـم أر مثلـه مـن قبـل؛ كنـا نسـير عـلى أرض بسـط عليهـا بسـاط أخـضر اللـون، وتحيـط بنـا عـلى كلا الجانبـين أشـجار ذات أشـكال وألـوان شـتى، يتـدلى منهـا ثمـار لـم أراهـا فى حيـاتى السـابقة ذات ألـوان متغايـرة: حمـراء وصفـراء وبرتقاليـة وخـضراء .

كانـت الشـمس ترتـدى ثوبهـا الأحمـر القـانى، والنهـار عـلى وشـك الأفـول، مد يـده لإحـدى الأشـجار وقطـف لى ثمـرة تفـاح كبـيرة الحجـم حمـراء، أعطاهـا لى بينمـا يقـول بصـوت رخيـم : هذه الشـجرة غرسـتها لأجلـكِ منذ أن كنـتِ صغيرة .

قطمت منها قطمة فبهرنى طعمها الجميل، وسألته :

-كيف غرستها لى منذ كنت صغيرة ؟ أكنت تعرفنى؟

-أعرفك منذ يوم مولدك؛ فلقد جئتى إلى الدنيا لأجلى .

ضحكنا سويًا فقد ظننت أنها مزحة، كان حلمًا جميلاً، كم تمنيت ألا أستفيق منه، إلا أنها الرياح عادة ما تأتى بما لا تشتهى السفن، فلقد انتزعتنى منه نداءات أمى المتكررة .

وعندما فتحت باب غرفتى، نهرتنى أمى وأخذت تتذمر من كسلى وفجأة قالت :

-ما هذه الهالات قاتمة اللون تحت عينيكَ، هل تشعرين بالمرض ؟

قلت : لا بالعكس، أنا اليوم سعيدة وأشعر بالهمة والنشاط .

وبعد تناول الإفطار، بدأت فى تنظيف المنزل، وإعداد طعام الغداء، وأنا لا أنفك أفكر فيه وفى الليلة الماضية، وبينما أقف أمام البوتجاز أطهو بعض الطعام، شعرت بأحد يحتضننى من الخلف، فزعت واستدرت أرى الفاعل، فلم أجد أحدًا، فاستعذت بالله من الشيطان وقلت لنفسي : ربما أتوهم .

وعندما حلّ المساء ذهبت إلى غرفتى للنوم مبكرًا، عساي أراه مرة أخرى ...

وما إن وضعت رأسي على وسادتى غرقت فى نوم عميق، ورأيته يقف أمام بحر لم أرَ مثله من قبل؛ مياهه صافية رائقة، تنساب كصفحة من الجليد الملساء إلا من بعض التموجات الخفيفة، اقتربت منه وقد كنت أشتاق إليه، فقال لى : تأخرتى كثيرًا، لما لا تظلين معى هنا .

وأشار بيده لما حوله فظننت أننا نقف فى جنة الفردوس، جمالًا لم تشاهده عيناى من قبل؛ أشجار وحشائش خضراء تتخللها ورود حمراء وصفراء ووردية اللون، وطيورٌ جميلة تحلق فى الفضاء حولنا، وتغنى

بصوت عذب يختلط مع هدير الماء الصادر من شلال صغير يصب مياهه فى البحيرة الهادئة، فيضفى على المشهد جمالًا خلاب، مد يده لى فمنحته يدى فاحتواها فى كفه وسرنا متلاصقين حتى ظهر أمامنا من عدم بيت صغير تحيط به أشجار الورد والرياحين تتسلقه من أسفله إلى أعلاه، فأشار له وقال : هذا منزلى .

صمت برهة ثم أردف :

-ما رأيك ببعض الراحة ؟

سبقنى لبابه وفتحه لى فدخلته وأخذت أتجول بعينى فيه، ورغم كل هذا الجمال الذى يحيط به، إلا أنه معتم من الداخل لولا تلك الشموع المنتشرة بداخله مضاءة فى شمعدانات معلقة على جدرانه، ما كنت سأرى شيئًا مطلقًا، لم أرَ سوى بهو فسيح وفى أحد أركانه غرفة موارب بابها، رأيت من تلك الفتحة الضيقة فراشًا، أمسك بيدى وقال :

- تعالى .

- لا لا أريد .

- لا تخافى هذا قدر .

- لست متأكدة ! لما لا تكون حقيقة ؟!

-أنا حقيقة .

اقترب منى وأحاطنى بذراعيه ودخلنا تلك الغرفة معًا .

صباح ذلك اليوم كنت أشعر بالإعياء الشديد والخوف مما حدث، ومما ينتظرنى.

لا أعرف حقًا طبيعة ما حدث فى ذاك الحلم، إلا أنه انتابنى شعور سيئ حيال ما حدث، وعندما نهضت من فراشى متثاقلة وقفت أمام مرآتى أتفحص انعكاس صورتى، فرأيت تلك الهالة القاتمة التى بدت كأكياس سوداء تحوى بداخلها أمارات الإعياء والمرض، وفى الوقت الذى كنت أفكر فيه بإخبار أمى بكل ما حدث، شعرت رياح ساخنة تحيط بى كأنها تحتضننى، فصرخت وانكمشت على نفسي فوق فراشى قائلة :

-ابتعد عنى

وأخذت أردد الاستعاذة، فتحت أمى الباب وقد أفزعتها صرخاتى، وزادت مخاوفها عندما رأتنى على تلك الحالة، فاقتربت منى وسألتنى :

-ماذا حدث ؟ لماذا تصرخين ؟!

لم أجد بدًا من مصارحتها بكل شئ، فجلست بجوارى على حافة الفراش مذهولة، لا تصدق ما أقول، وبعدما انتهيت قالت :

-سأخذك اليوم لأحد الشيوخ، ربما يكون مس أو سحر .

وما إن لفظت أمى كلماتها تلك حتى سمعنا دوى انفجار شيئ ما فى المطبخ، فأسرعنا له فوجدناه يحترق، النيران تلتهم كل شئ حتى الثلاجة، أسرع أخوتى يسكبون الماء على النيران، بينما وقعت أنا جالسة بجوار الحائط المواجه للمطبخ، وبعدما خمدت النيران تبادلنا أنا وأمى نظرات الفزع.

وعند مغيب شمس هذا اليوم كنا نسلك دروبًا متداخلة فى طريقنا لأحد الشيوخ، التى دلتنا عليه إحدى صديقات أمى، وأخذت تسرد لنا بركاته وقدرته على العلاج بسرعة، وقد يشفى العليل من الجلسة الأولى .

وصلنا لباب خشبى مزدوج كبير الحجم فى نهاية أحد الدروب، دقت صديقة أمى الباب ففتح لنا رجل يرتدى جلبابًا أبيض وعمامة على رأسه، ولما رأى صديقة أمى رحب بها، كأنه يعرفها جيدًا، وسمح لنا بالدخول، فوجدنا أنفسنا فى ساحة واسعة يجلس بها الناس جماعات يتحدثون، فاتخذنا موضعًا حتى يحين دورنا، تبادر لسمعى أحاديث وثرثرات شتى عن عالم السحر والجان، وكانت أكثر القصص إثارة قصة الفتاة التى يسكنها قبيلة من الجان!

وبعد ساعتين أو أكثر حان دور دخولنا للشيخ، فأقبل علينا رجل آخر يرتدى جلبابًا أبيض كذلك، وقال لنا :

- تفضلوا بالدخول .

اصطحبنا للغرفة التى سوف نلتقى فيها بالشيخ، كانت غرفة فسيحة تعبقها رائحة البخور، ويضيؤها ثلاثة مصابيح متفرقة فى سقفها، وعلى أريكة خشبية كبيرة يجلس رجل خمسينى معمم، يرتدى جلبابًا ذا أكمام واسعة، أو ربما تبدو واسعة لنحافته الشديدة، أمامه طاولة عليها مبخرة وبضع قارورات بها مواد سائلة، قال :

-تقدّموا .

أقبلنا عليه فأشار لنا بالجلوس، جلسنا على الأريكة الأخرى المجاورة لأريكته، وقالت صديقة أمى مشيرة لى :

-هذه هى الفتاة التى أخبرتك عنها صبيحة اليوم .

هز رأسه وقال :

-أعرف وقد طلبت منك إحضارها اليوم لخطورة الأمر

صمت برهة بينما يتفحصنى بنظراته النافذة التى كانت ترعبنى أكثر من هذا المكان، ثم أردف موجهًا كلامه لى:

-تعالى هنا يا ابنتى.

قال هذا مشيرًا إلى موضع بجواره، نظرت لأمى بريب فهزت رأسها بواجب طاعته، فانتقلت إلى جواره .

رفع غطاء مبخرته بعدما جلست وألقى فيها بعض البخور، فاختنقت من الدخان المتصاعد وسعلت بشدة، فلما رأى هذا قرّب منى المبخرة حتى وضعها أمامى مباشرة، وقال:

-ما اسمك ؟ وما اسم والدتك ؟

لم أستطع الرد، فقد كنت أختنق، أجابت أمى بالنيابة عنى، فقال :

-عرفتهما من صديقتك صباح اليوم، جل ما أريده أن تتحدث هى إذا استطاعت، ابنتك يخاويها مارد، يعشقها منذ أن كانت صغيرة، كان ينفر منها الخاطبين، ولما صار جسدها مهيأ للإنجاب ...

كانت تلك هى آخر الكلمات التى وعيتها قبل أن أختنق، نعم أختنق .

شعرت بيدين قويتين تحيطان بعنقى وتضغطتا بكل قوتهما، حتى سقطت على الأرض أصارع الموت، بينما أرى أمام عينى وجهًا مرعبًا، كأنما فر للتو من الجحيم يقول لى بصوت كالرعد :

-أنتِ ملكى وسوف تظلين ملكى .

سمعت نداءات وأيدٍ تهزنى وماء يسكب فى وجهى، كانت النداءات تتزايد ميزت من بينها صرخات أمى :

- ابنتى ضاعت منى ... دعاء ... دعاء .

بعد قليل ميزت الأصوات كلها وأضاءت أمامى الظلمة التى كانت تغرقنى منذ قليل، رأيت حينما فتحت عينى نظرات الشيخ الفزعة لى، بينما احتضنتى أمى وبكت بشدة، فقالت لها صديقتها :

-لا تقلقى يا عزيزتى، ابنتك ستكون بخير، اطمئنى .

سألنى الشيخ عما حدث فأخبرته، فقال :

-سوف أعطيكِ مياه مقروء عليها قرآن تشربى منها وتستحمى بها، ولا تنامى فى الغرفة بمفردك، ولابد أن تأتى للجلسة الثانية بعد يومين .

وفى أثناء عودتنا سألت أمى عن بقية كلام الشيخ فقالت :

-قال أن هذا المارد اختارك لتكون أمًا لابنه، وقد كنت أنا السبب؛ فقد كنت منذ صغرك أهتم بتزينك وتعطيرك، وعودتك على هذا، وقد كان هذا سبب عشق هذا الجنى لكِ، منذ أن كنت فى المرحلة الإعدادية وهو يتبعك كالظل، وكلما نضجت زاد افتتانه بكِ، وكان ينفر الخاطبين منك لأنه يريدك له، وكلما بكيت حين زواج فتاة كان يزداد تعلقًا، إلى أن قرر الظهور فى حياتك لينجب منك .

كانت تقول هذا وعينيها تقطران الدمع كالسيول الموسمية، بينما أنا يتمزق قلبى بسهام الخوف وسياط العار، أردفت :

-ولقد نجح فى وضع بذرته بداخلك

رمقت بطنى بنظراتها وقالت :

-إنك تحملين ابنه الآن، ولن يسمح لأحد بأذيته .

شعرت برأسى تدور وغبت عن الوعى .

أشعر أننى غارقة فى محيط من الظلمة، أين أمى ؟ لماذا لم تنم بجوارى كما أمرنا ؟!

سمعت صوت اصتكاك الباب، لابد أن أحدهم دخل غرفتى، ثم سمعته يغلق، من هذا الذى يرقد بجوارى يتنفس بصوت عالٍ، يعلو صدره ويهبط باضطراب، لابد وأنه يعانى ضيقًا فى التنفس، أشعر به وأسمع لهثاته، كأنه يركض فى صحراء جرداء، أرغب فى استطلاع الأمر، كلما كدت أفتح عيناى أغلقهما كارهة، وعندما نجحت فى فتحهما مرة واحدة رأيت كلبًا ضخمًا أسود اللون يقف بجوار فراشى يرمقنى بعنين حمراوتين يتطاير منهما الشرر، أحاول الصراخ فلا أستطيع؛ شئ ما قيدنى بالفراش وشل حركتى، فلا أستطيع التفوه بكلمة أو التحرك للجهة الأخرى، فجأة تبدّل الكلب لكائن غير بشرى مخلوق ذا ذراعين ورجلين له هيئة البشر لكن وجهه مخيف، أزرق اللون، أصفر العينين، شكله مرعب، يرمقنى بنظرات غاضبة، ثم بدأ يتضاخم ويتضاخم حتى أصبح هائل الحجم، اقترب منى حتى كاد يتلاصق بى، وقال بصوت أجش كالرعد :

-لا تحاولى الفكاك منى، وحافظى على ولدى فحياتك وحياة أهلك مرهونة بسلامته.

-دعاء ... دعاء

أسمع نداءات آتية من بعيد،

-دعاء ... استفيقى يا ابنتى.

أعلم هذا الصوت جيدًا، إنه صوت أمى .

مـازال الكائـن المخيـف يرمقـنى بنظراتـه، وأشـار بغتـة ناحيـة البـاب قائـلًا بصـوت مرعـب :

-لن ينجدك أحد منى، وكل ما حدث كان برضاكِ .

أردت الـصراخ، وأردت تكذيبـه لأنـه هـو مـن خدعـنى، إلا أنـنى كنـت مكبلـة فلـم أسـتطع .

ارتفـع صـوت المنـادى، فاختفـى مـن أمامـى وفُـك قيـدى، واسـتيقظت لأجـدنى أتوسـد صـدر أمـى فى السـيارة الأجـرة الـتى تقطـع الشـوارع لبيتنـا .

تلـك الليلـة نامـت أمـى بجـوارى، ولا أذكـر أن أجفـانى غفلـت ولـو لوهلـة، وبينمـا أقلـب بـصرى فى سـقف الغرفـة تـارة، وأغمـض عينـاى كارهـة تـارة أخـرى، شـعرت بأنفـاس حـارة تلفحـنى حـتى كادت تخنقـنى، فقلـت بصـوت خفيـض حـتى لا تسـتيقظ أمـى :

-ابتعد عنى، أنا أكرهك، لعنك الله .

ظهـر أمامـى مـن عـدم شـاب الأحـلام الوسـيم، اقـترب مـن فـراشى، حـاول مسـك يـدى فأبعدتهـا وحاولـت النهـوض جالسـة، فلـم أسـتطع؛ إذ شـعرت بأنـنى مقيـدة بـلا قيـد، قـال هامسًـا بصـوت عـذب :

-مـا الـذى حـدث يـا عزيـزتى؟ كيـف تـلاشى عشـقنا؟! لابـد أن تـأتى معـى فهـؤلاء البـشر خطـيرون للغايـة .

ثـم وضـع يـده عـلى رأسى، حاولـت الـصراخ فلـم أسـتطع، وفجـأة وجدتـنى فى مـكان آخـر .

أرى انـدلاع النـيران في مـنزل الشـيخ، أراه يحـترق حـتى تفحـم، والشـيخ بداخلـه يـصرخ ويسـتغيث، لكـن لا معـين لـه فقـد هـرب أتباعـه، جذبـني حـتى قربـني منـه وقـال :

-هـذا سـيكون مصـير مـن يقـف بوجهـي، لمـا لا تتصاعـين لأوامـري؟! سـأجعلك ملكـة، سـوف أجعلـك أفضـل مـن بـني جنسـك أجمعـين .

صرخت بأعلى صوت لي :

-لا أريد أن أكون أفضل منهم، بل كل ما أتمناه أن أكون مثلهم .

قبـض عـلى فـكي بـين إصبعيـه، فسـمعت طقطقـة أَضراسي، وقـال بعدمـا تبـدل لـذاك الكائـن الأزرق :

-إذن سوف تذوقين العذاب الأليم .

ونطق اسم بصوت عالٍ، فظهرت أمامنا فتاة، دفعني باتجاهها قائلًا :

-خذيها لمحبسها .

قالت بعدما انحنت له :

-سمعًا وطاعةً .

هنـا لـم أفـرق بـين نهـار وليـل، فالظلمـة دائمـة، والخـوف بـات رفيقـي والحـزن جليـسي، كـم تمنيـت المـوت، رغـم أنـني كنـت أعـرف أنـه قـادم لا محالـة؛ فقـد بـدأت بطـني بالانتفـاخ، أعلـم أنهـا أيـام قاسـية سـوف أسـتريح بعدهـا، أو ربمـا أسـتريح بعدهـا !

بـين تـارة وأخـرى كنـت أرغـب بالتقيـؤ، فرائحـة تلـك الحجـرة الحجريـة بشـعة، حـتى الهـواء يـأتي محمـلًا بريـاح حـارة جافـة، وذات عتمـة فتـح بـاب

الزنزانة ودخلت امرأة بشعة الخلقة، فكت قيدى ودفعتنى أمامها حتى أدخلتنى قصر كبير، رأيته يجلس على كرسى كبير بجوار امرأة عندما رأتنى نظرت لى باشمئزاز رغم دمامتها، ثم نظرت له باحتقار، وقالت :

-سوف نعيدك لأهلك .

لم أعى ما تقول فقلد تمكن منى الإعياء كثيرًا فسقطت مكانى لا أعى شيئًا سوى أننى أتمنى أن تكون هذه النهاية .

أسمع كلمات مبهمة، وهمهمات صادرة من أصوات كثيرة متضاربة، وفجأة أفتح عيناى لأجدنى على فراشى وفى غرفتى، ويقف على جانبى رجلان وعند قدمى آخر، يهمهمون بكلمات مبهمة، وددت حينها لو استطعت قطع أعناقهم ، فلقد كانت همهماتهم تلك تلهبنى وتحرق أحشائى، حاولت النهوض لتلقينهم درسًا فلم أستطع، فقد كنت مقيدة بحبال للفراش، تلك الأيام التى أمضيتها فى الظلام علمتنى الكراهية، أشعر بداخلى مظلم كقبر .

كنت أحترق وهم يرددون كلماتهم ، تبينت ملابسهم بعد برهة، كانون يرتدون زياً أسود طويلاً ويضعون قلنسوة سوداء مرسوم عليها صليب على رؤسهم ، ما أشهى منظرهم مقطعى الرؤس الآن وفجأة شعرت بقوة لا حدود لها تتمكن منى، فرفعت جسدى مرة واحدة فانفكت القيود وتحررت، أرى عيونهم حمراء تتقاطر منها الشرور، كم أبغضكم بنو البشر، فزعوا عندما فكت قيودى وارتفعت أصواتهم بالابتهالات، نهضت واقفة وأمسكت يد الذى يقف عند قدمى يرش مياه حارقة على جسدى، حاولوا تخليصه منى فلم يستطيعوا، فأنا أقوى وأعتى جذبته بشدة ناحيتى وأمسكته من عنقه ورفعته حتى كاد يلمس مروحة السقف ثم قبضت على قمة رأسه بيدى الأخرى ولففت رأسه للخلف، ثم ألقيته عليهما، صرخا مما حدث وأسرعا خارج الغرفة.

الظلمة تغرقنى بداخلها وتغرق داخلى، لا أعرف لما أصبح أهلى يعاملوننى بقسوة؟ لما صاروا يخافون منى؟!

إلا أننى أصبحت لا أبالى، فأنا الأن أقوى وأعتى .

أشعر بذاك الصغير يتحرك فى أحشائى، كم حاولت الانتحار وكنت أفشل كل مرة، آخر تلك المرات عندما حاولت حرق جسدى، بعدما فشلت فى إلقاء نفسى من فوق السطوح، سأحاول تارة أخرى فلقد خبأت سكينًا حادًا بين ثيابى دون ملاحظة أمى التى قاطعتنى ولم تعد تهتم بى، فقط تفتح الباب تضع لى الطعام ثم تغلقه، أستطيع لو شئت الخروج إلا أننى لا أريد الحياة، فصحوى كنومى بات مؤلمًا، ولا أجد لى معينًا ينتشلنى من هذا الجحيم، آه لو أستطيع حرق الكوكب الأرضى بمن يعيش على ظهره، كيف أتخلص من عنائى وأخلصهم ؟ كيف ؟

أشعر بتعب لا قبل لى به، الليلة سأستريح، أخذت السكين من بين ثيابى ووضعت حده على يدى وكدت أقطع لولا صوته : - إياكِ أن تفعلى، ستقتلين طفلى يا حمقاء .

حاول نزع السكين منى إلا أننى كنت أسرع منه عندما وجهته لبطنى ودفعته بكامل قوتى فتناثرت الدماء.

تمت

سهير ربيع

رفات مظلوم

صدق من قال أن الحياة لا تعطي كل شيء، بل قل إنها أصدق مقولة سمعتها في حياتي، كيف لا وأنا من تفطر قلبه وتمزق بين ضلوعه، كنت أعيش في وهم، أظن أن الحياة قد أعطتني كل شيء، ولد في غاية الجمال يشبه والدته التي كانت هدية من السماء، المال متوفر وبكثرة ولله الحمد ...

حدثت الفاجعة حينما اكتشفت أن زوجتي مصابة بالمرض الخبيث، المرض الذي نخشى حتى أن نذكر اسمه وكأنه يأتي حينما نذكر تردد اسمه في الفراغ، يذكرني بملوك الجان الذين يحضرون حينما تنطق بأسمائهم ..

كانت صدمة ما بعدها صدمة، كيف لا وهي قد أعطتني كل شيء في تلك الحياة، جعلتني أسخر ممن يقولون أن الزواج تنتهي حلاوته بعد شهر واحد، فأنا متزوج منذ عشرة سنوات ولازلت أشعر أنني متزوج منذ يومين، لا أذكر أننا تشاجرنا يومًا، لا أذكر أنها أغضبتني ولو مرة واحدة ..

ماتت زوجتي هكذا بدون مقدمات، شعرت بخنجر حاد يخترق نياط قلبي، بكيت يومها أكثر من ابني الصغير، أشفق الناس عليَّ أكثر من اشفاقهم على الصغير، وقفت يومها أمام القبر لساعات غير مصدق أن هذا القبر قد أخذها مني، ولكنه أمر الله ولا نملك إلا الصبر ...

مـر الأسـبوع الأول وأنـا في عالـم آخـر مـن التيـه والضيـاع، ابـني الصغـير أصبـح يهتـم بي حـتى لا أمـوت مـن الحـزن، قـررت أن أذهـب لهـا لزيارتهـا في قبرهـا ومـن هنـا بـدأت الأحـداث تأخـذ منحـنى آخـر ...

أسـتقل السـيارة وبجـواري ابـني الصغـير، كنـت أتمـنى أن أمـوت قريبًـا كمـا يحـدث مـع المحبـين فـإذا مـات شـخصًا أحببتـه بشـدة فإنـك تذهـب إليـه بعـد أيـام هكـذا قالـوا، وهكـذا تمنيـت أن يحـدث ..

وصلنـا إلى منطقـة المقابـر وأنـا لا أشـعر برهبـة المـكان عـلى عكـس الصغـير الـذي شـعرت بـه يرتجـف مـن الخـوف، نسـير بـين شـواهد القبـور الـتي أشـعر أنهـا تمتلـك أعـين وتراقبنـا بهـا ولكنـني لا أهتـم بهـا، وصلنـا إلى قـبر زوجـتي ووقفـت أمامـه، أرى بعـين الخيـال ضحكتهـا، أراهـا تبتسـم لي وهـي تحـضر لنـا الطعـام، أراهـا نائمـة بجـواري كالقمـر في ليلـة تمامـه، وقفـت أدعـو الله لهـا، وأن يجعـل قبرهـا روضـة مـن ريـاض الجنـة كمـا كانـت تجعـل حيـاتي مـن قبـل جنـة، لـم أشـعر بدموعـي الـتي بـدأت تنسـاب بهـدوء عـلى وجنـتي، الذكريـات تـأبى أن تفارقـني، أتذكـر كل لحظـة رأيتهـا فيهـا تبتسـم، أتذكـر يـوم زفافنـا بكافة تفاصيلـه، انتابـني إحسـاس غريـب وكأن هنـاك مـن يحـذرني مـن التواجـد والبكاء هنـا، الخـوف بـدأ يطـرق أبـواب قلـبي بـكل هـدوء، قـررت أن أذهـب مـن هـذا المـكان، نظـرت بجـواري فلـم أجـد الصغـير ..

يـا للمصيبـة، انطلقـت أهـرول كالمجنـون بـين حـارات المقابـر، أسـمع ضحـكات شـواهد القبـور عـلى فزعـي، أصـوات تخـترق رأسي بقـوة، الفـزع يتجـلى في ملامحـي، أيـن ذهبـت يـا زيـاد ؟؟

وقفـت أصيـح بأعـلى صـوتي عـلى الصغـير ولكـن مـا مـن مجيـب، سـقطت عـلى ركبـتي وأنـا في حالـة يـرثى لهـا، لقـد فقـدت الصغـير هكـذا قلـت في نفسـي، لحظـات وتناهـى إلى مسـامعي صـوت أنـين وبـكاء، أرهفـت السـمع حـتى أتيقـن

مما أسمع، أنا لست واهمًا، هناك أنين قادم من مكان ما، ربما يكون زياد، عاودني الأمل سريعًا وانطلقت نحو الصوت، ارتفع الصوت قليلا حينما وصلت إليه، وقفت بين أبواب القبور لا أدري من أين يأتي هذا الصوت، أرهفت السمع قليلا حتى فوجئت بأن الصوت يأتي من داخل أحد القبور، اقتربت برأسي من الباب، وسمعت الأنين قادماً من القبر، دفعت الباب بيدين ترتجف من الخوف فانفتح بكل سهولة، نظرت للداخل وأنا أرتجف وعلى ضوء الشمس الذي تسلل خجلا إلى القبر رأيت زياد يجلس في ركن من أركان القبر واضعًا رأسه بين يديه ويبكي، انفطر قلبي من المشهد وهبطت بكل هدوء نحو القبر حتى وقفت على أرضه الرملية، اقتربت من الصغير وأنا أقول بصوت خافت « زياد ما بك «

ولكنه يستمر في البكاء، اقتربت منه أكثر وأنا أتمنى ألا يغلق باب القبر كما نقرأ في قصص الرعب، وضعت يدي على جسده فانتفض من مكانه وتعلق بيدي بقوة، صرخت فزعًا خاصة حينما رأيت وجهه كان مشوها تمامًا، صرخ بصوت من ينازع الموت وقال « أرجوك أخرجني من هنا «

ما إن انتهى حتى سمعت صوتًا من خلفي يقول :

- أبي ماذا تفعل بالداخل

نظرت بفزع لزياد الذي كان يقف أمام باب القبر ونظرت للخلف ببطء شديد فلم أجد أحدًا، هرولت نحو الخارج واحتضنت الصغير وانطلق راكضًا إلى خارج هذا المكان ..

بعد دقائق كنت أنطلق بالسيارة على أقصى سرعة تسمح بها محركاتها، لازالت الكلمات تتردد في ذهني

«أرجوك أخرجني من هنا»

ما هذا الذي رأيته ؟؟

هل كان وهماً ؟

ولكن هل جننت لتلك الدرجة ؟

أفقت على صيحة الصغير وهو يصرخ فانتبهت لتلك السيارة المقابلة فانحرفت في جزء من الثانية نحو اليمين، لحظات وكنا سنصطدم بتلك السيارة، أبطأت من سرعة السيارة ونظرت إلى زياد بغضب وقلت :

-لماذا تركتني وذهبت ونحن نقف أمام القبر

تكلم الصغير بخوف وقال :

-أبي أنا لم أتركك لقد كنت أقف خلفك تمامًا، وفجأة نظرت يمينك وانطلقت تركض وتنادي باسمي وأنا أركض خلفك وأناديك وأنت لا تسمعني، ثم رأيتك تدخل لهذا القبر فجئت إليك

نظرت له بدهشة وقلت :

وهل كان هناك أحدًا داخل القبر غيري ..

-لا لم يكن هناك أحدا

قالها وهو يرتجف ثم تابع:

-أبي أنا خائف بشدة

احتضنته وهدأت من روعه حتى وصلنا إلى المنزل، وصلنا المنزل وكان الليل قد هبط بثقله في كل مكان، ذهبت بالصغير لغرفته وتركته ينام ثم عدت لغرفتي ..قررت أن أنام حتى تهدأ أعصابي قليلا، دقائق قليلة وسقطت بين براثن النوم ..

رأيت نفسي أسير بين القبور وأنادي على زياد، رأيت الفتى مشوه الوجه يسير أمامي وهو يبكي، شعرت بالشفقة تجاهه، ركضت نحوه، ولكنه كان يركض أيضا وكلما توقفت وقف وكلما سرت سار، ناديت عليه فلم ينظر لي، تبعته حتى توقف أمام القبر الذي دخلته اليوم وأشار عليه وجلس أرضًا يبكي، لحظات وظهر رجلا يرتدي السواد بالكامل، شعرت بالخوف وابتعدت، وقفت خلف أحد الشواهد أراقب ما يحدث فرأيت ذو السواد يحمل الصغير الذي ظل يصيح ويطلب المساعدة مني وهو ينظر تجاهي، لم يشفق عليه ذو السواد وألقي به في القبر، انتفضت من نومي وأنا أرتجف خوفا مما رأيت، نظرت للأمام فوجدت طفلا يقف وسط الظلام صرخت من الرعب وأنرت الغرفة فوجدته زياد يقف ثابتًا أمام الفراش، اقتربت منه بهدوء، كان يقف ثابتًا وتلك النظرة المخيفة تطل من عينيه، وضعت يدي على كتفه فالتفت لي بسرعة وقال بصوت مخيف

-أبي حازم يطلب مساعدتك لا تخذله

ثم سقط بين يدي، وضعت الصغير على الفراش واطمأننت أنه يتنفس، قررت في نفسي أن أذهب غدًا لنفس القبر لمعرفة ما حدث خاصةً أن الأمر قد لحق بالصغير وقد يمسه أذى ... أمسكت الهاتف وأنا أعبث به بشرود شديد .. ماذا يحدث لي ؟؟

أي شيئ فعلته في حياتي لأخسر زوجتي بتلك السهولة ثم يأت الدور على ابني ..

أحيانًا ما تضعنا الظروف في أماكن كنا نظن أننا أبعد ما نكون عنها، ولكن نكتشف في النهاية أن الله هو المتحكم في كل شيء وليس هناك شيئا يسمى الظروف، وفي النهاية نرى أن هناك حكمة وخيرًا مما رأيناه قبلا وكنا نظن أنه شرًا خالصًا ...

هكذا قرأت تلك الكلمات وأنا أتصفح موقع التواصل الاجتماعي الشهير، شعرت بتلك الكلمات تنزل على قلبي الهدوء والسكينة وتنزع عني خوفي وقلقي .. استغفرت ربي كثيرًا ..

جاء الصباح وتركت ابني الصغير عند خالته، فليس من الجيد أن آخذه معي في تلك الرحلة وانطلقت أشق الطريق شقاً.. نحو القبور، وما أدراك ما القبور ؟؟

كانت آلاف السيناريوهات تُرسم في ذهني حول قصة الفتى الذي وجدته في القبر والذي طلب المساعدة قبلا، ما إن وصلت إلى المقابر حتى حاولت تصفية ذهني ليكون كل تركيزي على الأمر ..

عدت للمرة الثانية أسير بين القبور وفي خلال يومين فقط، وصلت إلى القبر الذي كنت عنده بالأمس، وقفت أنظر له برهبة شديدة، رهبة من يتيقن أنه سينزل لمكان مثله عندما يموت ولن يخرج منه أبدًا ..

لقد نسيت أمرًا في غاية الأهمية، ماذا بعد ؟؟

لم أخطط ماذا سأفعل بعد أن أقف أمام القبر وكأنني كنت أظن أنه بمجرد وقوفي أمامه سأعرف كل شيء، جلست أمام القبر أتلو بعض الآيات بصوت مرتفع نسبيًا حتى شعرت بالهدوء والسكينة، تناسيت نفسي طويلا وأنا أتلو حتى أوشكت الشمس على المغيب، يا للمصيبة يجب أن أخرج من هذا المكان حالاً ..

ولكني لم أفعل شيئًا ولم أستفد شيئًا من الأمر، تذكرت أمرًا مهماً

ألم يكن باب القبر مفتوحاً من قبل ؟؟

اقتربت منه وقد عاودني خوفي، دفعته بهدوء فلم يفتح، دفعت بقوة أكبر فانفتح على مصراعيه، ولكن ماذا بعد ؟ لا لا سأذهب من هنا، التفت

بهدوء لأصرخ صرخة المصروع، الفتى مشوه الوجه كان يقف خلفي مباشرة، وقفت أشهق من هول الصدمة، قلبي سيتوقف عن العمل عاجلا أم آجلا، نظرت لعينيه البيضاء وارتجفت من قمة رأسي وحتى أخمص قدماي، رفع يده بهدوء شديد وأشار نحو القبر، ما هذا ؟

هل يقصد أن أدخل إلى القبر ؟ هذا مستحيل ..

وقفت أرتجف أمامه وقد رفضت قدمي أن تنصاع لأي أمر مني، رأيت دموعًا سوداء تنساب من عينيه وصوت نحيب يأتي منه، انهمرت الدموع بعدها بلا توقف وهو لازال يشير للداخل، صوت النحيب يعلو وتكونت أسفل منه بحيرة من الدموع، شعرت بالرعب الشديد وقفزت للداخل، ما إن لامست قدمي أرضية القبر حتى توقف النحيب تمامًا، وقف ثابتًا كما هو يشير للداخل، اقتربت من الركن وجثوت على ركبتي أتحسس الرمال، اتسعت عيني ذهولاً حينما رأيت بعض العظام الصغيرة، فزعت من مكاني، يبدو أن هذا هو رفات الصغير، لفت نظري تلك القلادة المُضيئة، التقطها بيدين أوشكا على التيبس، ما إن التقطها حتى اختفى الطفل كأن لم يكن ..

خرجت أركض من المكان كمن فقد عقله حتى وصلت للسيارة وانطلقت بها على غير هُدى حتى وصلت إلى مقهى صغير، طلبت كوبًا من الشاي وجلست بجواره أتحسس الدفء منه ..

أخرجت القلادة الصغيرة، فوجدتها من الذهب الخالص، ما لفت انتباهي هو الاسم المكتوب عليها،» حازم الخليل محمد الخليل « إذا هذا هو طرف الخيط يجب أن أعرف من قتل هذا الصغير، تلك البلدة هي بلدة زوجتي وأنا أعرف أقاربها ومن هناك سأبدأ بالبحث ..

بعـد سـاعتين كنـت أجلـس مـع أعمـام زوجـتي الذيـن بالغـوا في كرمـي الشـديد، بعـد الأكل والـشرب وخلافـه، فكـرت أن أسـأل عـن الخليـل محمـد الخليـل، ولكـن بحنكـة حـتى لا يشـك أحـدا في أمـري فقلـت :

-هل يعرف أحدكم الخليل محمد الخليل ؟

وجمت الوجوه بشدة وقال أكبرهم سنا :

نعم نعرفه ولكن لماذا تسأل ؟

زوجتي رحمها الله كانت مُدانة له بمبلغ من المال وأريد أن أعطيه له

كيـف هـذا والخليـل قـد مـات منـذ سـنتين كاملتـين وزوجتـك ماتـت منـذ أيـام لمـاذا لـم تسـد دينهـا طـوال تلـك المـدة

تلعثمت قليلا وقلت :

ربما كانت تقصد زوجة الخليل فأنا أريد مقابلتها لأعطيها المبلغ

تحدث أحدهم بعصبية وقال :

إيـاك أن تذكـر هـذا الحديـث أمـام أحـد مـن البلـدة وإلا فلـن ينالـك سـوى العقـاب

شعرت بدهشة لحديثه، ولكني غيرت الموضوع وتركتهم وذهبت ...

بعد أن تركتهم رأيت أحدهم يركض خلفي ويقول :

-انتظر فأنا أريدك

جلسنا على أحد المقاهي وبعد أن شربنا الشاي قال :

-الأمر ليس ديناً إذا قل لي لماذا تسأل عن الخليل ؟

-صدقني الأمر في غاية الأهمية وأنا أحتاج مساعدتك أريد أن أقابل زوجة الخليل

لا يمكنك هذا أبدا، فبعد أن مات الخليل تزوجها رجلاً ظالماً يخشاه أهل البلدة جميعاً يسمى الطحاوي وهو رجل لا يتوقف عن الظلم وإيذاء الناس ولو علم أن هناك من سأل أو قابل زوجته فسيقتله في الحال

نظرت بحزن للأسفل فقال لي :

-هل الأمر مهم لتلك الدرجة ؟

-نعم مهم لأبعد مدى

- حسنًا فلتبيت معي وأنا سأجعلك تقابلها وهذا لأجل زوجتك رحمها الله

في الصباح طلب الرجل من زوجته أن تتصل بزوجة الخليل سابقًا والطحاوي حاليًا وتطلب منها المجيء لأمرٍ ما

نفذت الزوجة الأمر والتي كانت صديقة لها، ساعة وحضرت زوجة الطحاوي وجلست في المنزل، خرجت عليها فنظرت لي بخوف فطمأنها قريب زوجتي وقال لها :

-سيخبرك أمراً ما فقط وسيذهب فهو ضيفنا وزوج قريبتي رحمها الله

خرج الرجل وتركني مع زوجة الطحاوي فقلت لها :

-هل تعرفين فتى اسمه حازم

نظرت لي بلهفة وقالت :

-نعم هو ابني هل وجدته ؟

قبل أن أخبرك بالأمر يجب أن تخبريني قصتك كاملة وهذا شرطي .. نظرت لي بلهفة شديدة وبدأت تقص ..

لقد تزوجت ابن عمي الخليل منذ سنوات وانجبت منه حازم، تُوفي الخليل بعدها وبقيت أنا على حالي أرملة، بدأ الطحاوي يتقدم لي وأنا أرفضه؛ لأنه كان ظالماً ولكنه ومع تسلطه وظلمه قبلت به في النهاية وتزوجني ..

كان لا يطيق الصغير بل ويضربه كل يوم على أتفه الأسباب، حتى إنه كاد أن يقتله يومًا ما لولا أن دافعت عنه، وكانت النتيجة أن شجت رأسي من ضربته بالعصا ..

كان يقول لي دائما أن حازم يفسد جلسته معي وهو يريدني أنا فقط ودون أي شريك هكذا قال ..

وفي يوم اختفى الصغير ولم يعود أبدًا، بكيت يومها كثيرًا، ولكن الطحاوي كان في غاية السعادة وها أنا أبحث عن ابني من يومها ولم أجده، والآن أخبرني :

-هل وجدت ابني ؟

أخرجت لها القلادة فتلقفتها بلهفة وقالت :

- إنها قلادته التي أخذها هدية من والده أين وجدتها أخبرني ؟

-البقاء لله لقد مات ابنك

انتفضت في مكانها وراحت في نوبة بكاء هستيرية، حاولت تهدئتها وبعد محاولات كثيرة قالت :

-كيف مات ؟

-هل تريدين ثأرًا ؟

-هل مات مقتولا

-نعم ولكن أخبريني عن ملابس الطحاوي

-لا يرتدي سوى الأسود في كل شيء

تذكرت حينما رأيت ذو السواد وهو يلقي الصغير في القبر فقلت :

-لقد قتله زوجك

صرخت من المفاجأة وقالت :

-سأقتله

-لا لا انتظري حتى لا تفسدي الأمر

ثارت المرأة وكادت أن تفضحنا لولا أن حاولت تهدئتها بكل السُبل وبعد نصف ساعة كانت هادئة وبدأت تسمع مني :

-هل الطحاوي يحب المال

-كثيراً

-حسنا ستخبرينه أن هناك رجلاً غريباً يحفر في القبور بحثاً عن مقبرة مليئة بالكنوز وأنكِ سمعتي الأمر من بعض النسوة حينما كن يزورن الموتى واتركي الباقي لي ...

بعد منتصف الليل، كنت أنتظر على أول المقابر، اتمنى ان تؤدي الزوجة دورها ببراعة، ما لبثت قليلا حتى رأيت رجل ضخم الجثة يرتدي السواد وبجواره رجلين يقتربان من المقابر ظهرت لهم وكأنني لم أقصد ووقفت أرتعد، اقتربوا مني وقال الطحاوي :

-من أنت ؟ ولماذا جئت إلى هنا ؟

-سأخبرك ولكن لا تؤذيني

-حسنا أخبرني

لقد وجدت مقبرة مليئة بالذهب وابحث عن من يحمل معي الذهب ولا أجد، لمعت عينيه ببريق مخيف وقال :

-حقا ؟

-نعم فهل ستساعدني لاستخراج الكنوز ولك نصف الكنز

قال لي:

-لا لي ثلاثة أرباع وإلا سأقتلك هنا

مثلت الرعب ببراعة وقلت :

-لك ذلك

طلبت من الرجلين أن يسرعا ويحضرا له حفر فذهب أحدهم وبقي الآخر فقلت للطحاوي :

-أنا لا ائتمن أحداً سواك ولن أدلك على الطريق إلا حينما يذهب هذا الرجل

نظر لي بشك، ولكنه طلب من الرجل الآخر أن يتعجل زميله

انطلقنا وأنا أحاول إبهاره بتلك المقربة التي وجدتها وأننا نحتاج فقط لأداة حفر لنجتاز صخرة بسيطة لنصل إلى الكنز، وصلنا إلى القبر، قبر الصغير حازم، تعثرت أمامه وأنا أمثل أنني ملهوف على الكنز، دعوت الله ألا يلاحظ أن هذا القبر هو قبر الصغير والذي قتله ودفنه فيه من قبل ..

وقف على الباب وكاد أن يدلف، ولكنه توقف مكانه ونظر لي وقال :

-قبر من هذا ؟ وكأنه يتذكر

لـم أمهلـه لحظـة وضربتـه بقدمـي فسـقط داخـل القـبر أغلقـت البـاب في لمـح البـصر ووضعـت عليـه قفـل مـن الخـارج، في تلـك اللحظـة ظهـر الصغـير مشـوه الوجـه نظـر لي وابتسـم ثـم اخـترق البـاب كالشـفاف ودخـل إلى القـبر ..

سـمعت صـوت صراخ رهيـب قادمـاً مـن الداخـل وكأن أحدهـم قـد سـقط في قلـب الجحيـم ، طرقـات وصيحـات وعـشرات الأصـوات المفزعـة تـأتي مـن القـبر، بالطبـع لـم أنتظـر لأسـمع كل هـذا وإنمـا انطلقـت كالصـاروخ نحـو سـيارتي الـتي ركنتهـا مسـبقًا في منطقـة نائيـة غـير ظاهـرة للأعـين وركبتهـا وانطلقـت كالصـاروخ في طريقـي قابلـت رجـلا يحمـل معـول، إنـه نفـس الرجـل الـذي كان مـع الطحـاوي ابتسـمت وقلـت في نفـسي ..

ليس هناك كنزاً أيها الأحمق ...

وصلـت للبيـت وأنـا في غايـة التعـب فنمـت عـلى الفـور .. وهنـاك في عالـم النـوم رأيـت الطحـاوي مقيـد بسلاسـل مـن نـار وبجـواره الطفـل يضربـه بسـوط مـن الجحيـم .. صرخـات الطحـاوي تمـزق القلـب .. وقفـت خلـف الصغـير وأنـا أرتعـد فالتفـت لي في لمـح الـبرق فانتفضـت في مـكاني ولكنـه غمـز بعينيـه فقـط وابتسـم ففتحـت عيـني واسـتيقظت ..

تمت

أحمد محمد شرقاوي

غابات إيبنج

(١)

إنجلترا، لندن، غابات إيبنج . ١٩٧٩

«Strumming my pain with her fingers,

singing my life with his words,

killing me softly with his song»

أخـذ (هيـو) يـردد كلمـات هـذه الأغنيـة مـع صـوت (فرانـك سيناترا) الـذي كان يخـرج مـن المذيـاع ولكـن مذيـاع السـيارة توقـف فجـأة

نتشششش تشششش

-تبا، تبا، يا لك من سيارة لعينة»»

قالهـا (هيـو) متأففًـا، ثـم أخـذ يـضرب المذيـاع بقبضتـه بعنـف حـتى توقفـت السـيارة تمامًـا عـن السـير..

حـاول مـرارًا إعـادة تشـغيل السـيارة ولكـن دون جـدوى، أمـا المذيـاع فلقـد كان مـازال يعمـل ممـا زاد مـن حيرتـه وكان يخـرج منـه أصـوات غريبـة كصـوت الطقطقـة.

سـكت للحظـات وهـو يسـتمع ويحـاول أن يفهـم مـا يحـدث حوله، ولمـا بدأ الخـوف يطـرق أبـواب قلبـه قـرر الـنزول مـن سـيارته ربما يجـد من يسـاعده.

نـزل منهـا وأشـعل سـيجارًا وهـو ينظـر حولـه في ضيـق.. كانـت مسـاحات شاسـعة مـن الأشـجار تقـف عـلى جانـبي الطريـق غـير عابئـة بغضبـه.

انتظـر قرابـة النصـف سـاعة مـرور أي سـيارة مـن هـذا الطريـق لتسـاعده في إصـلاح سـيارته ولكنـه فقـد الأمـل.. أشـعل سـيجارة أخـرى، وأخـذ يـركل السـيارة بعنـف ويسـب ويلعـن وهـو ينظـر لسـاعته ويقـول غاضبًـا

«سـأتأخر عـن مقابلـة العمـل، سـأقوم باسـتبادلك أيتهـا الخـردة اللعينـة عنـد أول راتـب»

ركلها مرة أخرى وهو يردد في يأس

«هذا إذا حصلت على وظيفة من الأساس»

«اللعنة، اللعنة، اللعنة على الجميع»

قالهـا صارخًـا حـتى تـرددت صـدى تلـك الكلمـات أنحـاء المـكان، دهـس سـيجارته في غضـب وهـو يـركل الأرض بعنـف حـتى كادت الأرض أن تنفجـر مـن تحـت قدميـه، ثـم تحركـت السـيارة وحدهـا وانحـدرت إلى تـل داخـل الغابـة، أخـذ يركـض خلفهـا ويناديهـا قائـلا :

«انتظـري أيتهـا اللعينـة .. أتظنـين أنـك هاربـة مـني بفعلتـك هـذه؟! سأوسـعك ضربًـا أيتهـا اللعينـة»

اصطدمت سيارته بشجرة داخل الغابة وتوقفت عن السير. فوقف بعيدا عنها قليلا لكي يلتقط أنفاسه، أحنى ظهره وأسند يده على ركبتيه في محاولة لجمع أنفاسه التي تبعثرت داخل الغابة وهو يركض خلف سيارته.

ابتسم مستهزئًا وقال :

«يا لحظي العثر، اللعنة» ثم بصق على الأرض.

بخطوات واسعة اتجه ناحية سيارته حتى وصل إليها، ربت عليها وقال بصوت حان :

«لا تخذليني يا صغيرتي، فأنا بحاجة إليك، لا تكوني مثل صاحب العمل الذي طردني منذ يومين ولا مثل (ماري) التي خانتني مع صديقي، أرجوك فأنا بحاجة إليك»

كان يتحدث مع سيارته بشيء من الجنون ولكنه توقف عن الكلام حينما سمع صوت خلفه، فأجفل ونظر حوله ولكنه لم يرَ شيئا.. كانت الرؤية قاتمة بعض الشيء فعلى الرغم من أن الوقت لا زال بعد الظهيرة، ولكن ضخامة الأشجار بالغابة وتفرعها حجب نور الشمس الساطع للدخول إلى هذه المنطقة فكان الظلام يغلق أبوابه أمام أي نور قادم من السماء.

سرت قشعريرة غير مبررة داخل جسده وانتشرت حتى انتصب شعر رأسه فلقد أحس بالخوف ينتشر ويسيطر على قلبه، خوف لا يعرف له سبب، وكأن هناك طاقة في ذلك المكان تقذف الرعب داخل القلوب.

سمع صوت حفيف الاشجار يصدر من المذياع ومازالت تلك الطقطقة مستمرة فقرر الابتعاد والعودة حيث كان، فلربما إذا انتظر أكثر ستمر المساعدة من ذلك الطريق.

بـدأ بالتحـرك ولكنـه شـعر بخطـوات ثقيلـة تتحـرك خلفـه، لـم ينظـر ولكنـه أسرع خطـاه فتسـارعت الخطـوات مـن ورائـه..

ركـض بسرعـة دون وجهـة محـددة، اتجـه يمينًـا ويسـارًا. ثـم يمينًـا مـرة أخـرى، أخـذ يجـري ويلهـث، كان كل تفكـيره أن يبتعـد مـن هـذا المـكان، كان يريـد الفـرار وكأن المـوت يطـارده فـأسرع خطـاه أكـثر حـتى وجـد نفسـه في نفـس النقطـة الـتي هـرب منهـا.. وجـد نفسـه وقـد عـاد مـرة ثانيـة إلى سـيارته وكأنـه كان يـدور حـول نفسـه.

وقـف قليـلا ينظـر حولـه، تمـنى لـو أن لـه ألـف عـين حـول رأسـه لـكي يسـتطيع أن يـرى مـن يتربـص بـه، فلقـد سـمع صوتـاً بـين الأشـجار، صـوت حشـائش تتهشـم تحـت أقـدام شيء مـا، وكلمـا تعالـت تلـك الأصـوات تأكـد أن الخطـر قـد اقـترب، ربمـا كان قـاب قوسـين أو أدنى منـه، نفـس ذلـك الصـوت كان يصـدر مـن مذيـاع السـيارة.

«ربمـا هـذا حيـوان مفـترس يتجـول هنـا» تـرددت تلـك العبـارات داخـل عقلـه، كان يحـاول أن يطمـئن نفسـه، ولكنـه قـد سـلب الطمأنينـة مـن داخلـه عندمـا فكـر أن هـذا الحيـوان سـيلتهمه عمـا قريـب دون تـردد.

ولكنـه وجدهـا تخـرج مـن بـين الأشـجار، تمـشي ببطـئ بخطـوات تشـبه خطـوات المـوتى، شـعرها منسـدل عـلى وجههـا، ولكنـه يظهـر ملامحهـا أكـثر ممـا يخفيهـا، بشرتهـا شـاحبة شـحوب غريـب يثـير الذعـر في النفـس، شـعور بعـدم الراحـة، حـتى أنـه تمـنى لـو قفـز ذلـك الحيـوان المفـترس الـذي كان يختـبيء في مخيلتـه ليصبـح حقيقـة بـدلاً مـن تلـك الفتـاة المريبـة.

كان متسـمرًا في مكانـه لسـبب يجهله،ولـم يسـتطع الحـراك وكأن قدميـه قـد لصقـت في الأرض.

اقتربت منه أكثر ثم وقفت أمامه،، تنظر له بعينين خضراوتين، عينين لم يكن للبياض مكان فيهما فالخضار كان يستحوذ عليهما بالكامل،، لونه يشبه أوراق الشجر التي تحيط بهما.

ابتلع لعابه في صعوبة بالغة وهو ينظر إليها وقال بصوت متحشرج

«هل .. هلل ..هل أنت تائهة؟!»

لم ترد عليه، ولكنها كانت تقترب منه أكثر بخطوات مريبة.. حاول الصراخ، ولكنه لم يستطع .. حاول الهرب لكنه عجز أن يخطو خطوة واحدة، فقد كان كمن سُلبت إرادته..

وكلما اقتربت كانت رائحة الموت تنتشر في المكان حتى كاد أن يغشى عليه..

كانت قد اقتربت منه تمامًا وجهها ملاصقاً لوجهه، استطاع أن يرى لون وجهها وجسدها الذي أصبح يشبه لون سيقان الأشجار ويديها مثل فروعه..

ثم فتحت فمها على مصراعيه وأطلقت صرخة مدوية مؤلمة كادت أن تهشم عظامه.. شعر بقلبه يعتصر داخل صدره.. الموت يقترب منه يشعر به يجري مجرى الدم في عروقه..

حاول تلاوة بعد الصلوات، ولكن لسانه رفض أن يتحرك حتى قلبه لم يكن يحفظ شيئًا من تلك الصلوات فقد كانت آخر مرة زار فيها الكنيسة كان عمره ٧ سنوات..

كانت لاتزال تصرخ .. شعر بصراخها يلتف حول عنقه كالأفعى ويخنقه..

اهتزت الأشجار رغم عدم وجود رياح وتحركت أغصان الشجرة التي كان يقف بجوارها بعنف، نظر في رعب لأعلى حتى وجدهم..

***

(٢)

منذ أسبوعين

«افتحي يا ماري قلت لك افتحي»

كانت ماري مذعورة بفعل طرقات (هيو) العنيفة على باب شقتها، كانت مترددة وحاولت إخفاء وجودها، لكنه قال بصوت عال :

«أعرف أنك هنا.. افتحي وإلا كسرت الباب»

فتحت (ماري) الباب، ولكنها كانت تقف أمامه لكي لا يدخل وقالت وهي خائفة

«ماذا تريد مني؟!»

دفعها داخل المنزل وأغلق الباب بقوة بقدمه، وقال لها وعيناه يتطاير منهما الشرار:

«أتخونيني يا (ماري) ؟! لماذا تخونيني يا (ماري) لماذا ؟! ومع من؟! مع أعز صديق لي؟!»

كان (هيو) يصرخ في وجه ماري بتلك الكلمات ويتقدم نحوها وكانت تبتعد عنه في خوف شديد وقالت :

«مالذي تقوله يا (هيو)؟ هل جُننت؟!!»

«لقد رأيتكما بعيناي تلك وهو يحتضنك في قارعة الطريق ..هل ستنكرين؟!» قالها وهو يشير تجاه عينيه بعنف

استجمعت (ماري) قوتها ووقفت وصاحت في وجهه قائلةً

«أنت مجنون بالفعل .. لقد قلت لك مرارًا أنني لا أريد البقاء معك واتفقنا على الانفصال.. لقد انفصلت عنك منذ شهرين أيها المجنون .. أما عن صديقك (دايفيد) فلقد كان يواسيني بعدما علم بخبر انفصالنا ولم أتحدث معه منذ ذلك الحين»

دفع (هيو) (ماري) بقوة حتى كادت أن تسقط أرضًا وقال في غضب واضح

« وأنا لا أريد الانفصال.. قرار الانفصال في يدي أنا وحدي»

«أنا أكرهك، أكرهك» قالتها باكية

صفعها على وجهها مرارًا ولم تملك سوى الصراخ ألمًا، فلطالما كان يضربها ويؤذيها جسديًا ولم تملك سوى الصراخ فقط، كانت تضعف أمام غضبه، فالضعف هو إرثها الوحيد في الحياة، ومن حسن الحظ أنه لا يوجد وريث بعدها.

وضع يده على فمها في محاولة لمنع صراخها.. حاولت الاعتراض كانت تركل بقدميها كالطير الذي تم ذبحه في محاولة بائسة للتنفس.

شخصت عيناها فلمعت عيناه في شغف غريب، ثم أوقعها أرضًا وضغط بكف يده على رقبتها حتى لفظت أنفاسها الأخيرة.

جلس بجوارها وأشعل سيجارًا وقال بصوت منخفض وهو يملس على شعرها المتموج

«أنا أحبك يا (ماري)، لماذا جرحت قلبي يا ماري، لماذا؟!!»

طبع قبلة حانية على جبينها، ثم قام وفتح زجاجة جعة وتجرع منها، ثم سكب الباقي على جثتها الملقاة على الأرض وركلها في صدرها وصرخ

«ولكنك خائنة، خائنة»

***

اهتزت الأشجار رغم عدم وجود رياح وتحركت أغصان الشجرة التي كان يقف بجوارها بعنف، نظر في رعب لأعلى حتى وجدهم.

كانت أغصان الشجر تتدلى منها رؤوس بشرية مثل الثمار الذي حان وقت حصاده، ثم ابتسمت تلك الرؤوس لتكشف عن أسنان مدببة كأسنان المنشار، تدلت الأغصان حتى لامست الأرض ووقفوا جميعًا أمامه، جسدهم يشبه سيقان الأشجار تمامًا مثل الفتاة التي تقف أمامه.

سمع ضحكات هيستيرية تملأ المكان حوله فارتجت جدران قلبه حتى كادت أن تتساقط.

كانوا يقتربون منه ويلتفوا حوله، وصوت الحفيف يعلو من بين أوراقهم رغم عدم وجود رياح تحركها، صوت مخيف كملامحهم، فازداد الرعب في قلبه أكثر ..

لاحظ (هيو) أن هناك جرحًا في قدمه ربما أصيب به أثناء عدوه خلف سيارته ولاحظ أن الدماء التي تسيل تمتصها جذوع هذه المخلوقات التي أمامه وكأنهم كانوا متعطشين لدمائه..

قاموا بضربه بأيديهم التي تشبه فروع الأشجار فنزلت الضربات على جسده كالسوط .

..تفتّح جرح تلو الآخر فلمعت أعينهم الخضراء فانقضوا عليه بأسنانهم جميعًا فخر مغشيًا عليه..

***

أفاق (هيو)، أخذ شهيقًا عميقًا كمن عاد من الموت لتوه، نظر حوله في جنون، وجد نفسه ملقيًا على سريره في حجرته المعتادة.. تنفس الصعداء قال بصوت خافت :

«إنه كابوس، حمدًا لله إنه كابوس»

كان يتحسس جسده كالمجنون يريد التأكد أنه فعلا بخير خاصة أن جسده بالفعل يؤلمه، قام من على سريره ونظر في المرآة ليتأكد أنه لا توجد أي جروح تملأ جسده، خلع ملابسه وأخذ ينظر للمرآة ويدير ظهره حتى تأكد أن جسده خال من الجروح تمامًا.

نظر عبر النافذة وجد سيارته تقبع مكانها منتظرة إياه أن يديرها، ثم نظر في ساعته ووجدها التاسعة صباحًا

«سأتأخر على مقابلة العمل» قالها وهو يرتدي ملابسه

قرر أن يسلك طريقًا آخر غير الذي كان سيسلكه اليوم فربما الكابوس الذي حلم به كان نذير شؤم له

فأدار سيارته وأدار المذياع فسمع أغنيته المفضلة مرة ثانية

«Strumming my pain with his fingers,

singing my life with his words,

killing me softly with his song»

كان يغني بصوت عالٍ ويسقف بيديه في سعادة بالغة، نظر للمرآة لكي يكشف الطريق خلفه، ولكنه لمح شيئًا غريبًا.

لمح أن عيناه البنيتين قد تحولتا إلى اللون الأخضر، توقف عن الغناء وأطفأ المذياع، وظل ينظر إلى المرآة متعجبًا حتى كاد أن يصطدم بسيارة كانت أمامه

فقرر أن لا ينظر للمرآة وكأنه بذلك القرار سيمنعهما من التحول إلى اللون الأخضر

مرة أخرى واصل قيادة السيارة، ولكن يداه كانت ترتجفان خلف عجلة القيادة من الخوف، نظر عبر النافذة فلاحظ أن الأشجار تميل تجاهه عندما تمر سيارته بجانبها ويسمع حفيف أوراقها المخيف، وكأن الأشجار تتحدث معه وتناديه، حتى أنه ظن أنه يسمع أنين وصراخ بعضها والبعض الآخر يهتف باسمه بشكل مخيف.

توتر (هيو) قليلا، ولكنه ظل يردد كلمة : «أنا أتخيل هذا، أنا أتخيل هذا» مرارًا وتكرارًا في عقله حتى توقفت السيارة فجأة عن العمل.

نظر حوله.. إنه يحفظ هذا المكان عن ظهر قلب .. هذا المكان قد دفن فيه (ماري) بعدما قتلها

حاول أن يدير السيارة مرارًا، ولكنها أبت أن تستجيب. «الحلم يتكرر وسيصبح حقيقة» هكذا فكر

نزل من السيارة وقلبه يرتعش خوفا.. حاول إصلاحها وعندما فشل ركلها بقدمه مرارًا حتى جرحت قدمه.. رفع سرواله قليلا وكشف عن جرحه، لقد جُرح في نفس المكان!!

«هل كان كابوسًا حقًا أم ماذا ؟!!» فكر في هذا السؤال حتى استوقفه شيء غريب، فقد لاحظ أن جلده ينكمش ولونه يتغير وصار يشبه لون جذع الشجر

مشى بصعوبة تجاه المكان الذي دفن فيه (ماري) فقد كان يشعر بأن جسده يتصلب ليصبح مثل الخشب.

وقف أمام قبرها، ثم نطق بصعوبة وقال بصوت متحشرج :

«لقد دعوت الرب أن يسامحك يا (ماري)، فليسامحك أيتها اللعينة الخائنة»

سالت دماؤه من جرح قدمه على قبر ماري فشعر بشيء يلتف حولها نظر لأسفل فوجد غصنا يتلوى ويتسلق جسده، حاول بصعوبة إبعاده، صرخ ولكن الغصن التف حول فمه فأخرسه.. كان يتلوى بكل ما أوتي من قوة، ثم رفعه الغصن ولطمه على الأرض بقوة، ثم جذبه غصن الشجرة لباطن الأرض، وصار (هيو) جذرًا لشجرة في غابات إيبنج الملعونة*

-تمت-

ملحوظة:

*غابات إيبنج الملعونة: هناك العديد من الغابات حول العالم التي كثرت عنها الأقاويل، ومن ضمنها غابات إيبنج فبعض من الذين دخلوا تلك الغابات قالوا إنهم سمعوا صوت صراخ يصدر من بين أشجارها، والبعض الآخر يقول إنهم كانوا يروا بعض الأشباح تتجول هناك وأن سيارتهم كانت تتوقف فجأة في منحدراتها

هبه عبد الواجد لبيب

العاشق

اسمي مرح امرأة وحيدة في الأربعين من العمر ما زلت أملك مسحة من جمالي الذاوي أعيش وحيدة لأن لا أحد يجرؤ أن يقترب مني بعدما حدث عندما أعود بذاكرتي للخلف أرى كم كنت فتاة سطحية ومستهترة.

عندما ولدتُ وكما أخبرتني جدتي كنت أجمل من رأته عيناها وليس لأنني حفيدتها، جدتي كانت سيدة في أواخر الستين عندما ولدت، وكانت موجودة مع أمي وهي أول من رآني قالت كنتي شقراء كأشعة الشمس الذهبية، زرقاء العينان بلون البحر، بيضاء كبياض الثلج برموش كثيفة وحاجبان بالكاد يظهران من شدة الشقار وكم كنتي صغيرة.

ربتني جدتي بحكم عمل أمي، وقد كانت معظم وقتها في الدوام وأنا مع جدتي تدللني وتستمر في إخباري بجمالي الباهر والأسوأ ليس فقط جدتي لأمي، بل جميع من في العائلتين عندما كان يراني كان ينبهر بجمالي، كل هذا أدى إلى نشوء فتاة مغرورة بنفسها ترى جميع الناس دونها في الجمال وجعلني متكبرة.

أذكر أنني عندما كنت أرافق جدتي إلى أحد الأعراس كانت مصورة الزفاف تترك العروس وتتبعني حيث أذهب لالتقاط صورًا لي، وعندما أرقص كان الجميع يفغر فاهه دهشة من جمال تكويني ومن دقة حركتي

وروعة تمايلي مع الأنغام .....أيام وذهبت إلى حال سبيلها، يا لها من ذكريات ليتني لم أكن جميلة لهذا الحد، ليتني لم أكن مغرورة لهذه الدرجة ربما لما حدث ما حدث.....

ما زلت أذكر ذلك اليوم المشؤوم بكل تفاصيله وأذكر جميع ما حلّ بي تباعاً بعده، كنت عائدة من خطبة صديقتي والتي حزنت لوجودي في الخطبة أكثر من فرحها بمجيئي؛ لأنني كما تقول غطيت عليها بجمالي مع إنني حاولت ألا أرتدي ما يلفت النظر، ولكن كما يقولون(القالب غالب) عُدت إلى غرفتي وما زلت أشعر بنشوة عارمة من أثر نظرات الناس، وقفت أمام مرآتي أنظر بغنج ودلال إلى نفسي وأقول لها فعلا إنك جميلة جداً غمزت لنفسي بعيني وأرسلت لنفسي قبلة، شغلت الأغاني في جهازي المحمول وذهبت إلى الحمام وأنا أدندن معه لأزيل عني بقايا الحفل.

فتحت المياه الساخنة لأقصى درجة حتى ملأ البخار الحمام خلعت ثيابي ووقفت أمام مرآتي التي أصررت على أهلي أن تكون بطول الحائط وعرضه، وما زلت أتأمل نفسي وإذا بي أرى خيالاً في المرآة يكتب لي وسط البخار ما أجملك.....

تراجعت للخلف فزعة ونظرت مرة أخرى، ولكن لم يكن على المرآة شيء فظننت أنني أتوهم أكملت استحمامي على عجل وخرجت.

في الليل ولأول مرة أصحو فزعة فقد حلمت بشيء غريب، رأيت ما يشبه القزم بعينين كبيرتين مخيفتين يرتدي ألوانًا نارية فاقعة وله أنف يشبه الخنزير ويقف في مكان مهدم، ينظر لي نظرة مرعبة صحوت وأنا أتصبب عرقًا، وأصبحت حادثة المرآة تتكرر معي كل مرة أستحم فيها وأجد عبارات تتغزل بي ...يا لجمال عيونك، ما أبدع خلقك، أعشق تكوينك .....إلخ.

وكلما نظرت إلى المرآة أرى شخصًا غيري ينظر إليَّ وإذا ركزت النظر في عيوني أرى عينا القزم تطل عليَّ، وفي أحد الأيام جاءت والدتي لتوقظني صحوت على صوت صراخها ماذا حدث لوجهك رأيتها تلطم على وجهها فذهبت فورًا إلى المرآة وعرفت ما أفزعها كان على وجهي آثار أصابع كأنها كانت تخمش وجهي.

أصبحت انطوائية أحب البقاء لوحدي بعد إن كنت لا أستطيع البقاء وحيدة لخمس دقائق أعشق النوم ودائماً أشعر بأنفاس حارة تلفح وجهي مع إنني لا أرى أحدا كنت غالبًا أعرف ماذا سيحدث معي في الأيام القادمة فقد كنت أحلم بكل شيء وبكل شخص سأقابله حتى لو لم أقابله في حياتي سابقًا، دائمًا أستيقظ على صوت يدعوني باسمي ولا أعرف من يناديني، أشعر برغبة متأججة بداخلي للجنس مع إنني سابقًا لم أكن أهتم بهذا الشيء وأكثر ما كان يضايقني وأشعر أن رأسي سينفجر حينها هو سماع القرآن الكريم خاصة آية الكرسي.

أصبحت تحدث معي أشياء تزداد غرابة أكثر فأكثر ما دفعني للبحث عن الموضوع على الانترنت وتوصلت إلى أنني ربما أكون مصابة بمس شيطاني في إحدى المرات تحادثت مع شيخ وطلب رؤية وجهي وعندما رآه جفل خوفا، وقال إن هناك جنا عاشقا يلبسني ويجعل الذكور يعجبون بي في البداية، ثم يتحول إعجابهم إلى رعب إذ أنهم يرونني بشكل مرعب، وطلب مبلغًا كبيرًا من المال ليخلصني منه، عندها عرفت أنني أتحدث مع دجال وتركت الأمر لله ليخلصني منه.

كبرت وأنهيت الثانوية العامة بمعدل فاق توقعات الجميع، مساءً ذهبت إلى صالون التجميل استعدادًا لحفل نجاحي، وهناك اضطررت لخلع ثيابي لارتداء الفستان، فجأة صاحت صاحبة الصالون ما هذا!!؟

لقد رأت ما أخفيته عن عائلتي منذ فترة طويلة آثار أصابع على جسدي، قالت لي إن ابنتها حدث معها سابقًا، وإن أحد الشيوخ أخبرها أن تستحم بماء مقروء عليه لمدة أربعين يومًا في غرفتها وترش هذا الماء خارج البيت في مكان طاهر وسيذهب عنها فقلت في نفسي لن أخسر شيئًا سأجرب علني أرتاح منه، ولكن للأسف لم تفدني التجربة بشيء.

بدأت حياة جديدة في السكن الجامعي، قلت ربما سيتركني بحالي بعد أن ابتعدت عن منزلي ولكن هيهات.....

(لمى) كانت زميلتي ورفيقتي في غربتي سكنا سويًا في نفس الغرفة وأصبحنا متلازمتين دائماً، أحبها كأختي وربما أكثر في إحدى المرات التي عادت فيها إلى السكن بعد زيارة أهلها كانت متعبة بشكل غريب، ألححت عليها بالسؤال لتخبرني ما بها قالت : لن تصدقيني حتى لو أخبرتك، قلت لها جربيني

قالت لي إنها أصبحت ترى وجودًا غريبًا يلاحقها دائمًا، أسود اللون وكأنه ظل أحد ما تراه خلف من يحادثها يظهر ويختفي، عندما أخبرت ذلك لعائلتها لم يصدقوها، بل سخروا منها وأخبرتني عن أحلام غريبة كانت تراودها وتفاجأت أنني حلمت بنفس الحلم سابقا فسألتها عن اليوم تحديداً وعلى ما يبدو أننا نحلم بنفس الحلم عندما ننام سوية في نفس الغرفة يبدو أنه لن يتركني أحيا بسلام لا بد أنه يغار عليَّ حتى من صديقاتي، كان لا بد لي أن أبتعد عن لمى حتى لا يؤذيها.

لم يتوقف عند هذا الحد، بل أصبح يضايقني بطرق شتى، أحيانا يمزق الكتب حيث أعمل في مكتبة الجامعة، اتخذتها طريقة لتسمح لي للبحث عن الموضوع أكثر حيث إن قسم السحر والشعوذة ممنوع دخوله سوى للعاملين في المكتبة، ودائمًا أجد نفس الكتاب مفتوح على نفس الصفحة عند دخولي القسم، وكأنه يريد أن يخبرني شيئاً ما، هذه الصفحة تتحدث

عـن الجـن العاشـق.....قرأت الكثـير مـن الكتـب وحاولـت التواصـل مـع عـدد مـن الشـيوخ والمشـعوذين علـني أجـد حـلاً لمـا يصيبـني، ولكنهـم جميعهـم طلبـوا مبالـغ كبـيرة مـن المـال وهـذا مـا لا أسـتطيع توفـيره فمـا زلـت طالبـة وعمـلي في المكتبـة هـو عمـل تطوعـي.

في مـرة مـن المـرات دخلـت قسـم الشـعوذة ووجـدت معظـم الكتـب ممزقـة وطبعًـا بمـا أنـني الوحيـدة تقريبًـا الـتي ترتـاد القسـم بانتظـام اتهمـوني بذلـك، دافعـت عـن نفـسي كثـيرًا، وبمـا أنـه لا يوجـد أي تفسـير لمـن قـام بذلـك تـم طـردي مـن المكتبـة وانتهـت رحلـتي في البحـث عـن حـل.

اسـتمرت معانـاتي معـه ومـا زلـت أبعـد الجميـع أو بالأحـرى هـو مـن يبعدهـم وأي شـخص يحـاول الاقـتراب مـني يقـوم بإيذائـه بطريقـة مـا.

واسـتمرت هـذه الأحـداث لفـترة طويلـة حـتى جـاء ذلـك اليـوم كنـت في الجامعـة كالعـادة وبعـد آخـر محـاضرة رأيتـه (يمـان) ذلـك الشـاب الأنيـق الوسـيم، وعـلى مـا يبـدو كان يراقبـني مـن فـترة جـاء إليَّ وطلـب مـني أن نجلـس سـويًا ونـشرب كوبًـا مـن الشـاي الأخـضر لا أعـرف مـن أين عرف أنـني أحبه جلسـنا سـويًا وتحدثنـا، وكـم أعجبـني حديثـه واتفقنـا أن نتقابـل في اليـوم التـالي، عندما عُـدت إلى السـكن عـلى مـرآتي كُتـب باللـون الأحمـر ابتعـدي عنـه وإلا. .....

لا أنكر خفت قليلاً، ولكنني لم ألق بالاً للتهديد، ويا ليتني أبعدته....

اسـتمرت مواعيدنـا وتكـررت بكـثرة وأصبحنـا نتحـدث دائمًـا بجميـع الوسـائل وازدادت التهديـدات عنفًـا، إذا لـم تبتعـدي عنـه سـوف أؤذيـه، أصبحـت أسـمع صراخًـا وأنـا نائمـة، صرخـات مرعبـة تقـول ابتعـدي عنـه، ولكـن ليـس بيـدي حيلـة كنـت أعشـقه ولا أسـتطيع الابتعـاد عنـه فجـأة بـدأ يمـان بالابتعـاد عـني ودائمًـا يخلـق مشـاكل مـن لا شيء

أما أنا فقد كنت دائمًا أشعر أن هناك من ينام بجانبي ليلا ويحاول الاعتداء عليَّ، ودائما استيقاظي يجعله يتوقف مع إنني لا أرى أحدا، كنت أشم روائح عطرية في غرفتي مع إنني لا أستخدم العطور؛ لأنني أعاني حساسية منها، أصبحت الاعتداءات ليلا أكثر، دائمًا استيقظ متألمة، وهناك علامات على يدي وساقاي كأن أحد ما كان يحاول تثبيتي، دائمًا أشعر بحضور غريب كالهواء الثقيل يحيط بي

فقدت عيناي حيويتهما وأصبحتا محاطتان بهالات سوداء متعبة على الدوام لا أقوى على الدراسة، وتزداد حالتي سوءًا كل مرة نتقابل.

أصر يمان على معرفة حقيقة ما يحدث لي، وبعد مناقشات حادة وخوفي أن أخسره قررت إخباره بما أعانيه، قرر حينها أن يسأل شيخًا عن الموضوع، ذهبنا سوياً إلى الشيخ عبدالله وضع يده على رأسي وبدأ يتلو آية الكرسي وبدأ جسدي ينتفض، وكلما قرأ أكثر كنت أصرخ ألمًا وفجأة سمعنا صوتاً مخيفًا يتحدث بلساني، ولكنه ليس صوتي يصرخ في الشيخ توقف توقف وإلا سأحرقها.

توقف الشيخ وجاءت الحقيقة المؤلمة المفزعة لتؤكد ما شككت به سابقًا إنه جن عاشق لا سبيل لطرده سوى بالقرآن وإن عليَّ ارتداء حجاب صنعه خصيصًا لي دائما، لكي أمنعه من الاقتراب.

استمرت لقاءاتنا وأصبح ما بيننا كبيرًا جميلاً بحجم السماء، وفي أحد الأيام طلب مني أن نلتقي في كافتيريا الجامعة، ذهبت إليه وشوقي يسبقني، وجدت طريق الكافتيريا مغطى بالورد وهو في آخر الممر ينتظرني مرتديًا حلة سوداء رائعة الجمال، ربما لأنه يرتديها وحينما وصلت كانت سماعات الكافتيريا تضج بصوته وهو يلقي قصيدة شعرية تقول:

#جئتك،

و القلبُ يلهثُ غربةً ..

خفتك،

فالذّنبُ أهلك حيلتي ..

وجهك،

ما دُمتُ حيا مقصدِي ..

مهما يدَيك،

أبعدَتني يا وردتي

النظر،

في عين نهواها حياة ..

كوطنٍ،

يمدّ يداه لوِحدَتي ..

ألقي بكلي،

نحوَه بثبات ..

يردّني،

إلى يديك، وجهتي

لاَ تبعدي،

ناظريك واقرئي ..

نصفُ الحكاية،

ترويها قبلتي ..

أهواك مرآتي،

وظلّ يحتمي ..

بجسدٍ تراقُ،

لأجله مهجتي

#أنتِ أنا، إذا بكيتِ،

تبللت لحيتي،

تعثر دمعٌ بـخدّكّ،

تورّمت وجنتي ..

تسلل حزنٌ لـعينك،

أوقدَ ليلتي،

قنديلاً من الهوى،

يبدّد حيرَتي،

ماذا لو تعانقنا،

وصارَ أصيصا يدي،

وكنتِ فيّ زهرتي ..

أو صوتا يقبل نبرَتي،

أناديك و لاَ تأتِ ..

فـأنتِ هاهنا معي،

يبوح بك صمتي ..

ينفردُ بهواك شعرِي،

من أوّل القصيدِ،

إلى آخر البيتِ ..

أخبرِيني ما الحبّ،

إن لم يكنْ معصمك وطن،

تفكّ قيوده لهفتي،

وفي خلاَيا الرّوح،

تستبيحُ سكرَتِي ..

حتى إذا ما غبتِ عني،

وقعتِ تحت سطوة ضحكتي ..

ثمّ تساءلتِ بوجهٍ عبوس،

ءأبرح حتى ألقاك؟! ..

فـيردّ وجهي المرتاب،

كيفَ ألقاك وأنتِ فيّ بسمتي .

هكذا كنا و كنا أنتِ أنا،

وكنتِ في عيني ماء مقلتي ..

فليسَ لي سواك يتربص،

وَهن وِحشتي ..

تؤنسني أفكارِي تستحضرك،

فتلتفّ شفتاك بشفتي ..

أسلمتُ بها وإيماني،

أنك في شدّتي عدّتي ..

مهما أغدقتني الذّنوب،

لقاءك يعادلُ توبتي ..

#لقاءك_يعادل_توبتي

****

وإذا بـه يركـع أمامـي ويرفـع إليَّ علبـة مخمليـة حمـراء قائـلاً : لا تخذليـني أرجـوك اقبـلي بي حبيبًـا لـك مـدى العمـر.

لـم أسـتطع النطـق مـن فرحـتي أومـأت لـه أن نعـم موافقـة ودمـوع الفـرح تنهمـر مـن عينـاي، نهـض واحتضنـني بـين ذراعيـه ومـا أجملـه مـن حضـن، ليـت الزمـن توقـف هنـاك ونسـينا.

أنهيـت الكليـة بسـلام، ومـا زلـت أرتـدي التميمـة الـتي منحـني إياهـا الشـيخ عبـدالله، ومـا زال حبيـبي يقـف بجانـبي ويهـون عـليَّ مـا يحـدث، أصبحـت المشـاكل أقـل بكثـير بعـد زيـارتي للشـيخ.

وبما إنني كنت الأولى على دفعتي في تخصص علوم مالية ومصرفية جاءني فور تخرجي عددًا من عروض التوظيف وبعد تفكير عميق قررت العمل في البنك الإسلامي، وهناك بدأت المشاكل من جديد، كالعادة السبب هو شاب يعمل هناك (محمد) شاب مرح يمزح مع الجميع ويعرف كيف يضحكني مهما كنت حزينة، وفي أحد الأيام ذهبت إلى العمل بعد ليلة مرهقة إذ أنه لم يتركني لأنام ليلتها شعرت به بجانبي وخفت أن أنام، جاء محمد وبدء بتقليد دونالد دك أحضر المكبس ووضعه على فمه كالمنقار وهو يقلد صوت البطة، وتحوّلت كآبتي فورًا إلى ضحكات، وفجأة لا أعرف ما الذي حدث وإذا به يصرخ والمكبس يغلق على شفتيه مفرغا كبساته في جلده دماؤه ملأت المكتب، ونُقل على الفور إلى المشفى، ومن البديهي أنه لم يعد إلى المكتب ثانية.

كلما شاركني أحد في المكتب وبدأت العلاقة تتحول من زمالة إلى صداقة كان يحدث معه مشكلة ويضطروا لنقله، مرة فواتير مختفية لخبطة حسابات، أوراق مفقودة وهكذا حتى لم يعد أحد يرغب أن يشاركني المكتب، ظنًا منهم أنني أنا من أقوم بافتعال المشاكل لزملائي.

هذا دفعني لإثبات نفسي أكثر بذلت قصارى جهدي لتطوير عملي في البنك ونجحت والحمد لله حتى جاءني المدير بنفسه وقدّم لي ترقية لأكون ذراعه اليمنى، وهذا يتطلب أن أكون معه في جميع رحلات العمل، أصبحت علاقتنا أنا ومديري أقرب طبعًا، هو لم يستطع مقاومة جمالي الصارخ وأنا كنت أبعده دائمًا، أولاً لمصلحته، ثانيًا أنا مخطوبة وأعشق خطيبي.

استمر مديري بمضايقتي وحاول أكثر من مرة الايقاع بيني وبين يمان، ولكنني لم أستجب له فكانت الضربة القاضية هذه المرة تهمة منه

باختلاس مبلغ كبير من المال وطبعًا الخيار كان إما أن أستجيب له أو أترك العمل وكانت هذه نهاية وظيفتي.

ولم أكد أترك العمل حتى سمعت أنه تم قتله بإلقائه من سطح البنك بعد أن تم تعذيبه بوحشية ولم يعرف الجاني، ولكنني كنت أعرف لا بد أنه هو (عاشقي) منذ سمعت بوفاته وأنا أشعر بقلق شديد على يمان، قررت إمضاء ليلتي في المسجد أدعو الله ليحميه ويريحني مما أنا فيه، لا تعرفون كم السعادة والراحة التي شعرت بها وأنا أشكو لله وانتظار الصلاة وسماع صوت المؤذن فرحة أخرى، وأنا عائدة للبيت صباحًا لا أدري ماذا حصل لي وقعت في الشارع شعرت كأن أحدهم صفعني على وجهي ودارت بي الدنيا، الحمدلله أرسل لي الله شابًا رفعني عن الأرض وأعطاني شربة ماء ولم أدري كيف عدت إلى المنزل عندما وصلت نظرت إلى المرآة رأيت عيوني حمراء كالدم تقدح شررًا وآثار أصابع نارية على وجهي.

دخلت إلى الحمام لاستحم وكالعادة وجدت على المرآة تحذير جديد لآخر مرة أحذرك اتركيه وإلا.....

أخبرت يمان بما حدث وقررنا أن نسرع موعد الزواج علّه يتركنا وشأننا فبدأنا التحضيرات وكم تعرضنا لعمليات تخريب لها أحياناً تضيع المشتريات منا وأحيانا نصل للمنزل لنجدها تالفة، ولكن رغم كل الصعوبات انتهينا منها أخيرًا.

وجاء اليوم الموعود يوم زواجي أنا وحبيبي وما زلت أرتدي الحجاب الذي أعطانيه الشيخ، كان يوم زفافنا من أروع الأيام، رقصنا على أجمل الألحان، وكانت نظراته تشي بهيامه بي، رأيت نظرات الحسد في عيون الجميع كنا نطير فوق السحاب، طرنا إلى عشنا سويًا بعد نهاية الحفل، وكم كانت ليلتنا جميلة شعرت ليلتها بمدى حبه لي، كم استمتعنا معًا.

في الصباح ذهبنا لقضاء شهر العسل في فينيسيا، وكانت من أجمل أيام عمري، ركبنا سويًا القوارب، التقطنا الكثير من الصور لحفظ ذكرياتنا.

عندما عدنا بدأت تقع بعض الحوادث الغريبة، كان يمان يخبرني أنه يراني أحيانًا بجانبه مع أنني أكون في العمل في ذلك الوقت، كان يرى ساقا مقطوعة تجوب المنزل وهي تقطر دماءً.

في أحد الأيام دعانا صديق يمان لحفل تقيمه شركتهم احتفالاً بمشروعهم الجديد، وفاجاؤنا بترقية يمان وجعله مديراً للمشروع، الموسيقى كانت صاخبة للغاية، وكنا نرقص بجنون من فرحتنا بدأنا بالتقاط الصور معًا كعادتنا، وأثناء غفلتنا ببعضنا لا أعرف كيف قطع الحجاب ووقع أرضا وفجأة هبت عاصفة هوجاء داخل القاعة وحطمت كل شيء وحطمتني معها، خاف الناس وهربوا جميعاً، آخر ما أذكره هو سقوط الحجاب أرضًا، في الصباح استيقظت وليتني ما استيقظت وجدتنا في منزلنا ويمان سابحًا في دمه وأشلائه منتشرة في الغرفة ولا أثر لأحد غيري، صرخت وصرخت حتى فقدت وعيي صحوت وأنا في المشفى بعد إصابتي بانهيار عصبي حاد بعد استيقاظي من المهدئات فتحت هاتفي لأرى آخر ذكرياتنا سويًا، ولكنني هلعت رعبًا لهول ما رأيت، كان الهاتف يصور فيلم فيديو طوال الليلة المشؤومة كنت أنا من قتله بيدي هاتين ولكن كيف؟؟؟

عرضت الفيلم على الشيخ عندما استطعت زيارته أخبرني أن الجن العاشق لا يترك أحدًا يقترب من محبوبته وإن اقترب أحدهم انتقم بطريقته، ليلة الحادث تلبّسني، وقام بتعذيب يمان ضربه ضربًا مبرحًا، بعدها أحضر سكينه وبدأ يصنع خطوطًا على طول جلده وهو يصرخ متألمًا، مرح أرجوك توقفي لا تفعلي هذا، أنا أحبك، وكلما قال أحبك ازدادت وحشية التعذيب، حينًا يقلع أظافره، وحينا يخلع أسنانه، والأصعب من هذا كله

قام (قمت أنا) بقطع يديه عقابًا على لمسه لي، وكلما زاد صراخ يمان كنا نسمع صوت ضحكات مخيفة تهز المكان، ولم يتركه حتى جعله أشلاءً، بعدها سقطت مغشيًا عليَّ وأنا غارقة بدماء حبيبي.

بعد إجراء التحقيقات جميع الأدلة كانت تشير إلى أنني القاتلة، ومع إنني مسحت الفيديو إلا أن الشرطة قامت باسترجاعه، والشيخ عبدالله قتل بطريقة غريبة، فقد وجد ميتاً في الحمام وتقرير التشريح أفاد أنه أصيب بجلطة قلبية من شدة الرعب، وهكذا لم يتبق أي شاهد على براءتي، حُكم عليَّ بالإعدام وقاموا بعدة محاولات للإعدام بطرق مختلفة، وفي كل مرة كنت أنجو والجلاد يسقط ميتًا، فقرروا سجني للأبد والآن أنا في السجن في زنزانتي لوحدي؛ لأنه لا أحد يجرؤ على النوم معي في نفس المكان.

وما زال كل ليلة يأتي لأجلي، ولم يعد لدي القدرة على مقاومته، لقد استسلمت له فلم يعد هناك ما أقاوم لأجله متى ستنتهي حياتي وأرتاح.

تمت

بقلم جهاد جودة

القصيدة بقلم أحمد عبد العزيز

الاسم

حسنًا، لقد بدأ الأمر كله عندما جلس في نهاية ذلك اليوم أمام مكتبه وقد أعياه الإرهاق، لم يكن إرهاقًا بدنيًا بل كان إرهاقاً نفسيًا أو عقليًا بسبب ذلك الخبر الذي قد سمعه في الصباح الباكر، فقد غيّر الخبر مجرى حياته، ولم يصبح أي شيء مثلما كان عليه قبله، فقد خسر كل شيء .. أطرق برأسه قليلاً إلى أن لفت انتباهه وقطع تفكيره ذلك الملف الذي يوجد على المكتب، لقد كان هناك منذ مدة طويلة من الزمن ولكنه لم يعره اهتمامًا.. فقد ظل يتهرب من فتحه ورؤية محتواه طوال تلك الفترة الطويلة.

فبداخل الملف قصة ما، قصة غامضة هو يعلمها جيدًا، لكنه لم يهتم لها أبدًا .. تلك القصة التي بإمكانها أن تجعله أفضل صحفي في البلدة على الإطلاق.

يعلم جيدًا أنه ما من أشياء مجانية في الحياة فكل الأمور تحتاج إلى تضحيات وتنازلات صغيرة أو كبيرة، لكن في المطلق إن الحياة لا تهديك الأشياء مجاناً، وبالرغم من أنه لم يؤمن أبدًا طوال حياته بالخرافات التي يسمعها وأحيانا ينتهي به الأمر إلى الاستهزاء منها إلا أنه لم يستطع أن يقبلها هذه المرة ويقدم تضحية التصديق بها فلا يوجد ما هو في حياته الآن شيء ثمين يستحق أن يعيش له فقد خسر كل شيء اليوم وأصبحت حياته رتيبة مملة.

ظل يفكر لوقت ما قبل أن يقترب من الملف ويفتحه وتيقن أن تلك القصة التي ظل يهرب منها طويلا هي مفتاحه للتخلص من كل شيء سيء، وتمنى لأول مرة في حياته أن تكون الخرافات حقيقة ملموسة بل أكثر من ذلك، لقد تمنى أن تكون تلك الأشياء والمخلوقات تترصده من بداية حياته لتجعله يندم على كل كلمة قد استهزأ بها عليهم وكل جملة سخرية قالها في حقهم يومًا ما.

ورغم تصارع الأفكار في عقله إلا أن يده هرعت للإمساك بالملف وتسارعت عيناه في التقاط الكلمات.

«مستشفى كريستوفر للأمراض العقلية، مشفى قد هجر منذ فترة من الزمن تساوي الخمسين عامًا تقريبًا وقد أشيعت بعض الإشاعات عنه بسبب وجود قضايا إنسانية رفعت عليه أثناء العمل به وعليه، مشفى غامض جدا لم يرَ أحد أبدًا ولم يعرف الأطباء والعاملين والممرضات الذين كانوا يعملون به ودائمًا ما كان مرضاه يأتون من أماكن نائية، باختصار لم يعرف أحد ما حقيقة ما يحدث أو يجري هناك داخل ذاك المشفى أو حوله، ولكن تكاثرت الأقاويل بين الناس عنه كما اعتادوا أن يفعلوا دائمًا ويتحدثوا عن الأماكن الغريبة»

لقد كان هذا فقط ما قد كتب عن هذا المشفى فتعجب لذلك كثيرًا وأطرق برأسه قائلا في نفسه بصوت مسموع قليلا : « حسنًا، يبدو أنها مزحة قام بها أحد الأطفال الأغبياء الذين لا يجدون شيئًا نافعًا مفيدًا يتحدثوا عنه»

قال جملته تلك متمنيًا أن تستفزهم كلماتها، متمنيًا حقًا أن لو كانوا موجودين بالفعل وقد سمعوه ولكن بالرغم من ذلك فلم يستطع أن يتحكم في كبريائه وتراجع سريعًا عن قراره فلن يستطيع أن يؤمن بوجود تلك الكائنات بعد كل هذا الزمن الذي أنكر وجودهم فيه.

فأعاد الملف إلى مكتبه ولم يستطع الانتظار أكثر، ربما كان خائفا من أن يغير رأيه وقد أراد أن ينهي كل شيء سريعًا.

فالتقط الملف مرة أخرى وأسرع متجهًا إلى مكتب المدير مقتحمًا غرفته ثم ألقى بالملف على المكتب قائلاً «سأقوم بالتحقيق في هذه القصة بنفسي بدءًا من الغد إن شاء الله تعالى»

فأجاب فرانك بصوت عميق يكاد ألا يسمع لولا أنه قطع هدوء النهار ثم همس « أخيرًا بدأت تفهمني، ولكن لماذا اخترت الغد خصيصًا ؟» .. «لأنني أملك الكثير من الوقت غدا.. نعم وأحتاج للمعدات الآن أيضا هيا» .. « انتظر حسنًا حسنًا لا تستعجلني هكذا سأعطيك المعدات» .. « أحتاج لقصة جيدة في أسرع وقت «

انتهى الحوار فبدون أي كلمات أخرى خرج من مكتب المدير مستقلا سيارته، لم تكن سيارة فارهة، ولكنها كانت تكفيه لقضاء ما يريد ولم يرغب في تغييرها على أية حال، بل وإنه يشعر أحيانًا أنها تشبهه.

سار في الطرقات متجهًا حيث وجهته، وقد كانت الطرق هادئة فلم يكن الكثيرون يعملون في هذا اليوم، قاد بسرعة أسرع من المعتاد السريع دائمًا فهو شخص يحب الإسراع دائما نحو أي شيء فإنه يرى أن في ذلك أفضل له، لا يعرف هل ما أخذه من قرار في مكتب المدير جيدًا أو لا، لكن على الأقل إن كان قراره جيدًا فهو لن يندم ولن ينتظر أكثر من ذلك، وإن كان سيئًا فلن يخسر إن جازف وحاول هذه المرة.

وصل إلى منزله وأخرج المفتاح من جيبه ثم وضعه في فقل الباب، ولكن كالعادة ما يتشبك القفل المهترئ في المفتاح ويعلقان معًا، وأخيرًا قد فتحه بعد عدة محاولات وأصدر الباب صريره المزعج المعتاد عند فتحه دائمًا.

بـدّل مـلا بسـه، ثـم ذهـب ليسـترخي قليـلا عـلى تلـك الأريكـة الصغـيرة في صالـة منزلـه أمـام التلفـاز قديـم الطـراز الـذي كان يملكـه، لـم يكـن يعمـل جيـدًا، وكانـت صورتـه دائمًـا باللـون الرمـادي، رأى في ذلـك مبيتـه تلـك الليلـة أمـام التلفـاز وهـو يشـاهد تلـك القنـاة البائسـة الـتي مـا ينقطـع إرسـالها حـوالي عـشر مـرات في الدقيقـة عـلى الأقـل، لا شيء ممتـع، ولكنـه لـم يغيرهـا وكانـت عينـاه مرتكزتـين عليهـا ولا يريـا أي شيء، حسـنًا لقـد كان عقلـه في مـكان آخـر تتخبطـه الأفـكار مـن مختلـف الأماكـن فهـو يفكـر قائـلاً في « كيـف حـدث ذلـك.. ومـتى.. لكـن لمـاذا لـم يخـبرني أحـد مـا.. ومـاذا كان سـيحدث إذا لم أكتشـفه.. هـل مـن الممكـن إنقـاذ كل شيء.. أم أنـه لا، ومقـدر ذلـك منـذ البدايـة.. هـل كان ذلـك قبـل التحقيـق في هـذه القصـة أم كان بعدهـا.. وهـل لـو أنـه قـد قبـل التحقيـق بهـا بنفسـه منـذ البدايـة مـا كان قـد حـدث كل ذلـك..»

اسـتعاد عقلـه سريعًـا إلى الواقـع وتمـنى لـو أن تنتهـي تلـك الليلـة سريعًـا حـتى يبـدأ مهمتـه وينتهـي مـن ذاك الأمـر سريعًـا، لكـن الوقـت كان يمـر ببـطء شـديد وكأن الوقـت نفسـه لـم يـرد تلـك الليلـة أن يمـضي سريعًـا كمـا الليـالي الأخـرى، وكأن العالـم بأجمعـه قـد اتفـق عليـه هـذا اليـوم.

ضـوء سـاطع يتسـلل إلى عينيـه وكأن النهـار قـد أقبـل بـلا ميعـاد لقـد كان نـور الشـمس اليـوم أقـوى مـن أي يـوم مـر وسـيمر، وكأن الشـمس بذاتهـا جـاءت تحـذره مـن أن يكمـل ذاك الطريـق، ولكنـه هـمّ بالنهـوض سريعًـا عازمًـا عـلى إكمـال مـا قـد نـوى عليـه فاتجـه نحـو خزانـة ملابسـه مرتديًـا أول مـا قـد وجـده فيهـا ثـم اتجـه إلى عملـه ومنـه إلى مكتـب مديـره، ولكنـه لـم يجـده في مكتبـه فلـم يهتـم لذلـك فقـد وجـد مـا أراده مـن معـدات.

لـم يقـض الكثـير مـن الوقـت حـتى وجدهـا، ولـم يسـتغرب مـن شـكل المستشـفى فقـد كان هـذا مـا قـد توقعـه.

مهجورة.. ساكنة.. كأنها لم تعمر قط.. رغم من امتلائها بالأمتعة.

ولم يجد صعوبة في إيجاد مكان يركن فيه سيارته، وعندما خرج منه، كان لكل خطوة من خطواته صوت صاخب، كان الرعد يضرب سكون الليل وبدا المكان كله المستشفى، الأرض، السماء، الأشجار الميته كبيته رمادية.

بالرغم من قوة الشمس، إلا أن بعضًا من تلك السحب الرمادية كانت تحجب حرارتها لتعيد سقيع الشتاء كان الباب مفتوح، كأنه يدعوه للدخول فتقدم بخطوات ثابته وإن كانت بطيئة بعض الشيء ليتجاهل تحذير العالم له.

كان الباب ضخمًا يتناسب مع حجم المستشفى العملاق التي بالرغم من ضخامتها كانت تبدو خاوية، كان الباب ثقيل الوزن، بالرغم من أنه كان مفتوحًا إلا أن الدخول من خلاله كان صعبًا، كان يظن أن ذلك الصوت الذى يسمعه من بابه هو الأسوأ حتى سمع ذلك الضجيج الذي يصدره هذا الباب المخيف.

لم يقطع انزعاجه من هذا الصوت إلا ذلك المشهد الذي رآه، كأن هذه الأرض لم تطأها قدم قط، آثار هذا المشهد الرعب في جسده ولم يقو على التحرك خطوة أخرى، كانت الأرض نظيفة كأنها قطعه من الزجاج الرقيق، وإذا خطا خطوة واحدة سوف ينكسر وعندما استطاع أن يبعد عينيه عن الأرض لم يستطع أن يرى، فلم تكن عيناه قادرة على الوصول إلى نهاية لتلك الردهة بدت كأنها ضبابية، وكان الجو شديد البرودة و كأن الشتاء خرج من هنا، انتشر البرد في جسده واشتد نفسه فأصبح هو صوت الرياح، فلم يكن هناك صوتاً ما في المكان حتى أنه تمكن من سماع صوت دقات قلبه، ولكن بالرغم من ذلك كان هناك جزءاً من بيته، هناك اللون الرمادي وكأن بيته قد ابتلع العالم فقط ليحيطه.

أخـيرًا تمكـن مـن أن يأخـذ أول خطـوة شـعر بـأن الأرض تريـد أن تبتلـع قدميـه فـلا يخـرج مـن هنـا أبـدا، و لكنـه تمكـن مـن المـشي رغـم ارتعـاش قدميـه، وصـل إلى أول مـكان في تلـك الردهـة، « الاسـتقبال»، ولكنـه لـم يفهـم سـبب وجـوده حقًـا فلـم يكـن هنـاك الكثـيرون مـن المـرضى الذيـن يأتـون إلى هنـا، إذا أتـوا أصـلا.

اقـترب قليـلا مـن مكتـب الاسـتقبال وكان كل شيء في مكانـه، الحاسـوب والأوراق والأقـلام أو هكـذا بـدا لـه مـن بعيـد، أخـذ يقـترب شـيئا فشـيئا فشـعر بالخـوف قليـلا ظنـا مـن أنـه قـد يجـد أحـد مـا يجلـس عـلى ذلـك الكـرسي في الجهـة الأخـرى مـن المكتـب وبـدأت دقـات قبلـه تـزداد حـتى وصـل الى أمـام مكتـب الاسـتقبال، و لكـن عينيـه رأت شـيئا آخـر، دفـترًا وقلمًـا، حينهـا فقـط تذكـر أنـه لـم يجـد في مكتـب المديـر إلا آلـة للتصويـر.

فكيـف لـم يـترك المديـر دفـترًا وقلمًـا ؟! ولمـاذا وجدهـم هنـا هـل يحـاول أحدهـم مسـاعدته هـل يوجـد أحـد مـا هنـا أصـلا، أم أنـه المديـر بنفسـه قـد وضعهـم هنـا لأنـه نـسي أن يعطيهـم إيـاه فأخـذ يتلتفـت برأسـه ويتحقـق بعينيـه مـن المـكان، كأنـه يبحـث عـن أحدهـم ، ولكنـه لـم يجـد أحـدًا حولـه وجـد فقـط عـدة كـراسي وهنـاك طـاولات صغـيرة بينهـم ، وذلـك المدخـل لبقية الردهـة فلـم يكـن أمامـه إلا أن يكمـل طريقـه، بـدأ يتحـرك إلى هنـاك، ولكنـه مـا إن شـعر فجـأه بحركـة مـا هنـاك في السـقف، نظـر إليهـا مرتعبـا، إنهـا آلـة تصويـر لمراقبـة المـكان، وقـد شـعر بـأن هنـاك عينـان تنظـران إليـه مبـاشرة مـن خلالهـا ويبـدو أنهـا تحركـت إلى اتجاهـه فظـل ينظـر إليهـا قليـلا إلا أن خوفـه مـن أن يبعـد عينيـه عـن الطريـق أخافـه أكـثر.

بـدأ المـشي هنـاك، فقـط ليبعـد عـن ناظـر تلـك الآلـة حـتى وصـل إلى أول بـاب وكان مغلقـا وكانـت هنـاك نافـذة صغـيرة في البـاب، كان زجاجهـا منقوشًـا

لـم تكـن الرؤيـة واضحـة مـن خلالهـا، و لكنـه رأى أحـد مـن خـلال الزجـاج لـم يسـتطع تميـيز مـا كان، لكنـه بـدا وكأنـه مريضًـا، وكان يتحـرك حركـة سريعـة وصغـيرة، ولكنـه لـم يصـدر صوتـاً عـلى الإطـلاق، كان هادئًـا يحـاول سـماع أي صـوت.

«هل يمكنني مساعدتك ؟»

التفـت وراءه بسرعـة فوجـد أمامـه رجـلا يرتـدي معطفًـا أبيضًـا وفي يـده دفـتر، يبـدو أنـه الطبيـب فنظـر حولـه لـم يجـد أحـدا غـيره، فنظـر إليـه تلـك النظـرة الفارغـة ولـم يرانعكاسًـا لـه في عينيـه وبـدت عينـاه كثقبـين عميقـين كبيرتـين، وكانـت بشرتـه بيضـاء كالثلـج كمعطفـه الأبيـض.

لـم يجـد كلمـات يقولهـا حـتى وقعـت عينـاه عـلى بطاقـة التعريـف الـتي على معطفـه ثـم قـال «د. روبـرت»، و بـدا صوتـه مرتعشًـا فلـم يظهـر أي تعبـير عـلى وجهـه مـن الجهـة الأخـرى، ولـم يكـرر سـؤاله أيضًـا.

ساد الصمت مرة أخرى، ثم قال :

« أين الناس ؟»

«هل تعرفه ؟»

قال روبرت بعد القليل من الانتظار وهو يشير إلى الباب»

«.....نعم ....»

فكر في نفسه أنه إذا أجابه بنعم فمن الممكن أن يعرف المزيد

ولـم يكـن ليسـمح لـه الطبيـب بالدخـول أو طـرح الأسـئلة إذا لـم يكـن مـن العائلـة، ثـم قـال بصـوت خافـت :

« أنا قريبه»

« لقد كنا نبحث عنك منذ زمن يا فرانك !»

نظر إليه نظرة طاعنة، وكأنه رآه شبحًا، كيف عرف اسمه أهكذا سارت الأخبار بين الناس، أهكذا خسر كل شيء.!

وضع الطبيب يده على كتف فرانك فشعر أنها ثقيلة كالسندانة ثم قال:

« تفضل سيدي ....تفضل »

و فتح له الباب ..

كان ملقى هناك على السرير، يرتدى أحد تلك القمصان التي يرتديها المجانين، يحاول الخروج منها بهدوء كأن أحدًا سوف يسمعه، فلم يصدر أي صوت بالرغم من أن فمه لم يكن مغلقاً، وكانت عيناه مغلقتين، ولكنه بدا يشبه فرانك شيئًا ما، جسمه ليس رياضي ولكنه ليس سمينا، بشرته بيضاء ولكنها لديها سمرة الشمس، كان لديه خدود، على عكس فرانك فقد كان خداه نحيلين، وكان طويلا.

كان الطبيب قد دخل إلى الغرفة و ما زال ينظر إلى فرانك ينتظر دخوله هو الآخر.

« تفضل اجلس هنا »

وأشار إلى كرسي من اثنين بجوار طاولة صغيرة وكان يجلس هو على الآخر

فشعر بأن قدميه ثقيلتان وهو يمشي، ثم جلس على الكرسي وشعر وكأنه متهمًا أو مذنبًا، ولم يستطع أن يبعد عينيه عن ذلك المريض، بدا مألوفًا جدا، ولكن ما إن قطع تفكيره صوت الطبيب

«لديَّ بعض الأخبار ...»

«كيف عرفت اسمي ؟.»

« العملية التي قمنا بها قد نجحت لفترة قصيرة ولقد بدأ يعود لسابق عهده »

« ماذا تقصد ؟...»

« لقد قمنا باتباع تعليمات المستشفى التي أصدرتها سيادتك ولم نستطيع أن نفرق بين المرضى، فنحن أطباء «

«كيف جرأتم !»

« إذا ذهب خلال نفس المراحل التي حصلت مع باقي المرضى لن يكون هذا جيدًا، ولكن كان هذا الحل الوحيد ...»

« قلت لكم أن تطبقوه هنا وأن لا يخرج ليس بأن تحولوه إلى أحد أولئك الأحياء الأموات ! «

« لم يكن هناك خيار ...هكذا هي التعليمات التي وضعتها»

« كان بإمكانكم إخباري ! ... كدت أن لا أتعرف عليه ! ...»

«لم يمت !!! «

« كدت أنا أن لا أتعرف على أخي ! «

« هذا ما حدث ! .... حسنًا ....»

«لا أصدق ... وكان يجب أن أكتشف أنا بنفسي كل شيء صحيح»

« ليست هذه هي المشكلة ....لقد بدأت الأخبار تنتشر ولا أريد أن أصبح جزءًا مما يحدث هنا ....»

« ما معنى ما تقوله ؟ ..»

« معنى ما أقوله أنه قانونيًا إذا اشتركت مع الشرطة في التبليغ عنك .... فستسقط التهم من عليّ ...»

« إذا أنت هو من فعلها !...»

« لا ...لست أنا «

«من إذا ؟ بمن تريد أن تقنعني ؟ قد أكون لا آتي إلى هنا ولكنني لست مغفلا «

« لست أنا حقًا ... كانت لديَّ حالة أخوك ...لم أستطع تركه وقتها ...»

«حقا ؟!»

«أجل ... ولا يهمني إن لم تصدقني ...كل ما أريد إخبارك به أن هناك شيء غير طبيعي ...جميع الحالات التي تعرضت إلى العملية بدأت تظهر تطورات ....حتى الحالات التي خضعت لها منذ أعوام ...»

«ماذا تعني ...»

«أنا لست متأكدًا بعد ....قد تكون مجرد تهيؤات ...بالرغم أن الهلاوس علميًا لا يمكن أن يتشاركها اثنان «

«ما زلت لا أفهم ...»

« هيا ...أنت تعرف ماذا أعني ....إذا لماذا جئت إلى هنا ؟»

و نظر إليه تلك النظرة اليائسة ...كأنه عيناه اشتاق لترى من هو مثله ...بشري

«لقد جئت لأوقف هذه المهزلة ...لا أعرف أي شيء آخر «

« لا تستهزئ بي ! أنت تعرف ماذا يحدث هنا ! ...لقد علمت بكل شيء قبل مني حتى !....لقد أخبرك أخوك ...أليس كذلك ؟...لقد أخبرك ما كان يعرف حتى تدهور وضعه ولم يستطع إخبارك ما حصل لاحقا ...»

« لقد جننت أنت أيضًا !»

« و لكنني أنا سأخبرك ....سأخبرك بكل شيء !»

«لا يوجد شيء لتخبرني به «

و فجأة أمسك الطبيب بقميصه بقوة حتى كاد أن يتمزق وتحوّلت عيونه من تلك النظرة البائسة إلى كمن رأى شبحًا ويمكنك أن ترى ما رأى فيها، كل ذلك الخوف.

« لقد تمكن منهم !...و جاء دورهم الآن ....سينتقمون منا .... وأنت السبب في ما حدث» ... «لم أخبر الشرطة،لا شيء يمكنهم فعله» ....»هؤلاء المجانين ....أصبحوا أقوياء جدا ...يدمرون الأشياء .... والضعيف منهم يقتلوه» « هههه. حتى قانون الغابة طبقوه هنا «

«أنت مجنون فعلا «

« لم يعد هناك مجانين لقد سيطروا على كل شيء هم الذين أذاعوا الخبر ...هم السبب في تدمير حياتك»

«أنت كاذب !»

« و الآن سوف يأخذوها !!! «

و كان الحائـط كان مصنوعًـا مـن الورق....دخلـوا عليهـم مـن كل مـكان ...وتركـه الطبيـب ليقـع عـلى الأرض وهـو يبـكي بشـدة وأخـذ يبتعـد عنـه بسرعـه حـتى التصـق في الحائـط، وكان فرانـك يقـف في منتصـف الغرفـة أخيـه ملقـا عـلى السريـر كالميـت والطبيـب ملقـى عـلى الأرض ...ثـم دفعـه أحـد بقـوة ليجـده أحـد المـرضى يهـرع إلى الطبيـب ويـأتي خلـف واحـد آخـر لينطلقـوا كالسـيل ....حـتى اختفـى....و لـم يجـد فرانـك منـه إلا صـوت صرخاته...هـز صوتـه المـكان حـتى لـم تسـتطع الأرض حملـه فوقـع وأخـذ يزحـف إلى الخـارج حـتى وصـل إلى نهايـة الغرفـة، ثـم إلى تلـك الردهـة وقـد مـلأت بالمـرضى ينظـرون إليـه كالفريسـة لا مهـرب منهـم، لا طريـق إلى المخـرج مـرة أخـرى، يريـدون أن يجعلـه مثلهـم فلابـد أنـه مجنـون أكـثر منهـم ليكـون السـبب في مـا حصـل هنـا وحـان دوره ليعالجـوه هـو أيضًـا، ولكـن هـذه المـرة هـم الجرَّاحـين فهـم أهـل الخـبرة فلـم يجـد أمامـه إلا الجـري في تلـك الردهـة، ولـم يجـد لهـا نهايـة فعـلا وكل هـؤلاء المـرضى أصبحـوا يجـرون خلفـه الآن، وأمامـه أيضًـا هـذا مـا تمنـاه أليـس كذلـك، ولكـن الأشـياء ليسـت كمـا هـي عندمـا يراهـا أصبحـوا حولـه الآن وأخـاه في مقدمتهـم وأصبـح كل مـا في وسـعه أن يتصـارع مـع أفـكاره ويحـاول أن يستسـلم لهـم حـتى يحـدث مـا أراد، مـا جـاء هنا مـن أجلـه، ولكن هـذه الفكرة لـم يكـن مـن السـهل الاستسـلام لهـا، ولكـن أيضًـا لـم يكـن هنـاك اختيـار.

فقد انتهى كل شيء..

تمت

مريم أحمد محمد

هلاوس بن جادو

أقر أنا بن جادو البالغ من العمر أربعة وثلاثون عاماً، أنه في صباح يوم الأربعاء الموافق (٢٠١٦/٦/٦) أنني قد قتلت جميع عائلتي العزيزة....

بعد بضع ساعات تصل الشرطة والأمن المركزي لتلقي القبض عليه بعد أن جاءهم اتصالاً هاتفي يخبرهم بأن الرائد بن جادو قتل عائلته والآن هو يريد الاستسلام، لأنه سئم الهروب...

ها هو الآن مكبل اليدين والقدمين وحوله عشرة رجال من الأمن المركزي مستعدين تمامًا لأي هجوم سوف يصدر منه، يتجه إلى عربة الشرطة ليقف لوهلة وينظر إلى تلك الفتاة الجالسة في آخر الشارع ابتسمت له لتطمئنه، ومن ثم نهضت وغابت عن نظره ليكمل سيره ويدخل السيارة.

***

الشغف هو من يجعلني على قيد الحياة نعم إنه الشغف الشعور الرائع إنه لذة الحياة...

شغف الموت شغف إنهاء الحياة تشعر أن أرواح البشر ملك يدك أنت رغم أنني لا أؤمن بوجود الموت ومع ذلك أرسل له أرواح البشر القذرة، وكيف لي أن أؤمن بشيء لم يمسسني يومًا، كل يوم أذهب لكثير من

المهام الخاصة أقتل الكثير من أرواح البشر، ورغم موت وإصابة بعض من أصدقائي لم تمسسني رصاصة العدو ولو مرة واحدة، أعلم أن الموت يهابني ويبغضني؛ لأنه لا يجرؤ على الاقتراب مني فأنا أعظم ضابط أنجبته الشرطة العسكرية على الإطلاق لا يوجد إنسان بسرعتي وذكائي وقوتي.. أنا لا أمجد في عظمتي لكني فقط أقول الحقيقة سأكتفي بهذا القدر من الكتابة اليوم لأن ميعاد مهمتي جاء.

نهض من مجلسه واتجه لارتداء الملابس الخاصة بالمهمات العسكرية، لكنه كالعادة لم يرتدي واقي الرصاص ظنًا منه أنه لن يصاب بأذى أبدًا، يخرج لكتيبته الخاصة ويخبرهم بتفاصيل المهمة وخطة الهجوم وأخبر كل شخص منه عن مهامه في تلك العملية....

***

صوت الطلقات النارية كانت كثيفة، هجوم قاسٍ من الطرفين وضحايا كثيرة... يتقدم »بن جادو«إلى الأمام بكل ثقة لا يخشى الموت فهو يعلم أنه لن يحصل عليه يوماً، يقترب منه أحد الأعداء كما يصفهم، لكنه يتصدى له بكل براعة حتى وقف مكانه من الذهول بما حدث... شعر بألم شديد في قلبه يبدو أنه نال نصيبه بطلقة طائشة أثر تلك الحرب، لكنه لم يهتم بهذا الألم الذي يشعر به فتقدم إلى الأمام كي ينقد على فريسته، لكن سرعان ما بدأ بفقدان حواسه تدريجيًا...

الرؤية مشوشة فقد الكثير من الدماء لم يعد يقوى على الحراك، لكنه مازال متمسك قليلًا ومع مرور الوقت سقط أرضًا يحاول التقاط أنفاسه ربما تكن الأخيرة فهو لم يكن يؤمن بالشيء الحقيقي في تلك الحياة ‹الموت› وها هو الآن بين يدي ما يسمى بالموت.

لا يـرى شـيئاً ولا يسـتطيع أن يتحـرك ولا يفتـح عينـاه، فقـط يسـمع صـوت أنـاس يتحدثـون حولـه وصـوت آخـر مثـل صـوت صفـير متقطـع كان منزعـج منـه كثـيرًا، لكنـه استسـلم لإزعـاج ذاك الصـوت لأنـه لا يسـتطيع فعـل شيء...

***

يقـف الطبيـب المختـص لحالـة «بـن جـادو» يكتـب بعـض الملاحظـات عـلى حالتـه الميـؤوس منهـا منـذ أشـهر، يقـف بجانبـه العقيـد «ماجـد» وهـو في حالـه حـزن شـديدة عـلى مـا أصـاب صديقـه في إحـدى العمليـات الخاصـة لينظـر إلى الطبيـب قائـلاً:

_انظـر كيـف تدهـورت حالتـه أصبـح ضريحًـا عـلى فراشـه لا يتحـرك كـم كنـت عظيمًـا يـا بـن جـادو، حسـنًا يـا دكتـور ألـم يتحسـن بعـد؟

نظر الطبيب إليه نظرة ميؤوس منها قائلاً:

_لا يـا سـيدي حالتـه لا تتحسـن، بـل تسـوء يومـاً بعـد يـوم هـو الآن في غيبوبـة تامـة والله أعلـم متى سـوف يفـق منهـا وهـذا أمـر مسـتحيل، هـو الآن بـين يـدي الله فادعـو لـه بالرحمـة والمغفـرة ربمـا لـن يعـود مجـددًا.

دمعـت عينـاه لكنـه خفـي دموعـه ويتجـه إلى «بـن جـادو» الملقـى عـلى الفـراش كالجثـة ويقبـل جبينـه وينظـر إليـه وهـو شـارد يتذكـر كل البطـولات الـتي فعلهـا في حياتـه، هـا هـو الآن سـوف يصبـح شـهيدًا فـداءً للوطـن الـذي طالمـا دافـع عنـه بـكل شـجاعة ينحـني إليـه ويهمـس في أذن «بـن جـادو» قائـلاً:

_الـوداع يـا صديقـي أراك في الجنـة الخالـدة أيهـا العظيـم فليرحمـك الله ويغفـر لـك.

يرحل العقيد «ماجد» وقد كان في حالة حزن شديدة فصديقه العزيز قد فارق الحياة بالنسبة له، لكنه لم يكن يعلم أن «بن جادو» مزال على قيد الحياة في مكانٍ ما...

فتح عيناه بصعوبة فجسده يؤلمه للغاية ينظر حوله لا يرى غير السراب صحراء جرداء بلا حياة ينهض سريعًا رغم الألم الذي يشعر به.

أين أنا ؟ وما هذا المكان! وما الذي أتى بي إلى هنا؟

يبحث بعينه في المكان عن شيء يفيده، لكنه لا يجد يركض هنا وهناك يصرخ طالبًا النجدة يجلس تارة وينهض تارة أخرى لكن دون جدوى لا شيء يجد أصابه الخوف، بل الرعب بعد أن سمع أصوات آتية من العدم أصوات صراخ عالي خالية المصدر انكمش من الخوف فهو الآن يشبه الفأر الجبان، فما كان يوجد شيئا وقد كان يخافه الخوف، لم يكن يعلم أن في تلك الحياة شخص يدعى «بن جادو» ظل يتساءل داخل خلده.

هل أنا فارقت الحياة؟ هل الموت حقيقة؟ هل تلك هي الحياة بعد الموت مجرد سراب؟ إذًا أين أنا هل هذا هو الجحيم وذاك الصراخ آتي منه؟.... حسنًا أخبروني إنني عندما أفقد حياتي سوف أجد نفسي في الجنة هل تلك هي جنة الخلد؟ كانوا يكذبون علينا كي نضحي بحياتنا من أجل الوطن على أمل أن نذهب إلى جنة الفردوس الأعلى، يا إلهي أنا بالفعل خائف، يضع يداه على قلبه لكنه لم يجد غير فراغ في تلك المنطقة نظر إليها برعب ليجدها فارغة لا يوجد قلب ولا نبضات!... ظل صامتًا قليلا وهذا الصمت يحمل الكثير من الأسئلة.

الخوف امتلكه ربما أخذه الذي لم يكن يؤمن به، عندما يزداد خوفه تزداد الأصوات حوله بكى شوقًا لحياته، أراد أن يعود إليها مهما كلفه الأمر ظل يصرخ بأعلى صوته قائلا :

أريـد أن أعـود إلى حيـاتي، لا أريـد المـوت اللعنـة عليـك أيهـا المـوت لا يمكنـني أن أنتهـي هنـا لا.... أريـد أن أعـود إلى حيـاتي أيهـا المـوت اتركـني وشـأني ليـس لـك الحـق كي تأخـذني .

تعـب مـن المناهـدة ليجلـس وقـد فقـد الأمـل علـم إنـه سـوف يصبـح سـجيناً هنـا إلى الأبـد سـجين داخـل الـلا شيء!..

مـرت السـاعات وربمـا أيـام أو الأشـهر لا يحسـب كـم مـن الأيـام مضـت هنـا! ظـل جالـس في مكانـه ينتظـر نهايـة الأمـر ويتذكـر كل مـا مـضى مـن حياتـه، تذكـر أنـه لـم يـتزوج ربمـا لأنـه لـم يجـد الوقـت المناسـب كي يحـب ويحيـا قصـة حـب أسـطورية، كان أول أولويـة في حياتـه هـو وطنـه فقـط يتمـنى أن يعـود بـه الزمـن كي يفعـل الكثـير مـن البطـولات والأشـياء الـذي طالمـا أراد أن يفعلهـا... تذكـر كـم الضحايـا الـتي أنهـى حياتهـم هـل هـم مـن يصـدرون هـذا الـصراخ الـذي أسـمعه..

يلفـت انتباهـه هـذا الوميـض الآتي مـن بعيـد لينهـض مـن موضعـه وقـد رأى الشـمس قادمـة لأجلـه، علـم أن تلـك هـي نهايتـه، علـم أن هـذا هـو الجحيـم الـذي سـوف يشـوي جسـده، ظـل يقـترب هـذا الضـوء منـه شـيئًا فشـيئًا، فـر هاربًـا مـن مكانـه يظـن أنـه سـوف ينجـو، ظـل يركـض حـتى وقـع في بـئر غويـط شـعر بالحـرارة تحـت قدمـه قـد علـم أن لا مجـال للفـرار، أغمـض عينـاه وكان عـلى اسـتعداد تـام كي ينتهـي، دمـوع النـدم تهطـل مـن أعينـه شـعر بانقباضـة في أعماقـه تجعلـه عاجـزًا، شـعر بالحـرارة الآتيـة نحـوه تقـترب.... لكنهـا توقفـت أمامـه لـم يجـرؤ عـلى فتـح أعينـه، بـل ظـل متجمـدًا مكانـه لا يفعـل أي شيء، وكيـف لـه أن ينجـو وقـد وقـع في بـئر الجحيـم..

استشـعر بأنفـاس سـاخنة تداعـب وجهـه ممـا جعـل جسـده يرتعـش خوفـاً، ظنًـا منـه أنـه ملـك الجحيـم وجـاء ليحـرق جسـده في ذاك البـئر اللعـين...

استجمع شجاعته وهمّ لفتح عيناه لكن صوت أنثوي هادئ أوقفه قائلاً:

_لن تجرؤ على فتح عيناك أمامي يا بن جادو... أعلم ما تريده... تريد الحياة الدائمة والسلطة والعظمة في كل شيء، المال الوفير والحب من جميع الناس، والخلود الذي لا ينتهي.

_من! من المتكلم هل أنتِ أنسية أم جنية أم شيطان؟.

صوت صدى ضحكاتها الرقيقة ظلت تتجول البئر لتكف عن الضحك قائلة:

_لا يا بن جادو لست أيّاً مما ذكرت... أنا جئت كي أخلصك من سجنك هذا، ولكن لتتذكر كل شيء هنا له ثمن.

قال بصوتٍ مرتعش:

_كيف سوف تخلصيني... وأي سجن تقصدين ألم أمُت؟!.

ظلت يداها تداعب شعره الأشقر الناعم بكل لطف لتتحدث بصوتها الأنثوي الرائع قائلة:

_أنت الآن بين الموت والحياة بين الجنة والنار وبين الاختيارين والقرار قرارك إما تمُت للأبد أو تحيا للأبد، تريد أن تنعم بالجنة أم تخلد في جحيم النار للأبد ؟ القوة والتحكم في قطيع البشر وتحدي الموت والشيخوخة وتصبح شابًا قويًا تحبك جميع الحسناوات وملوك العالم تنحني لمجدك العظيم

يجب أن تختار هل تريدني أن أساعدك أم أن تبقى هنا للأبد في حضن الجحيم.

ظل يفكر لثوانٍ معدودة هل ما يسمعه حقيقي، ومن تلك المرأة التي تحادثه، لكنه لم يكن بيده حيلة غير أن يجرب حظه ويختار أن يتحرر من هذا السجن المخيف فكل ما تقوله هو بالفعل يريده ويريده بشدة لذلك قال:

_أنا أختار الحياة الأبدية وأن أحيا في جنة الخلد أريد السلطة والعظمة أريد الحب من جميع من حولي، هذا ما أريده افعلي لي هذا ولكِ ما تشائين.

_حسنًا يا بن جادو انعقدت الصفقة، لك ما تريد ولي ما أريد ولا عودة في هذا الاتفاق، ولتعلم أنك سوف تعاني بعض الشيء كي تخلد في تلك الحياة، لكنك سوف تنعم بالجنة وستكون تحت قدمك يا بن جادو.

لكن عليك أن تعلم أيضًا أن حياتك سوف تتغير جسدك وعقلك وكل حاسة من حواس جسدك لم تعد كما كانت من قبل..

اقترب منها وبكل شغف قال:

_افعلي ما قلته ولكِ ما تشائين فقط أعيدي لي حياتي.

أمسكت عنقه بقوة كادت رأسه تنفصل عن جسده ظل يقاوم حتى انقطعت أنفاسه الأخيرة كإنسان

فتح عيناه ليجد نفسه خارج البئر أمام تلك المرأة لم تكن ملامح وجهها واضحة بسبب ذاك الوشاح الأسود الذي يغطي، كانت ترتدي عباءة سوداء طويلة لا تبين أي من جسدها تتجول حوله بخفة تفوح منها رائحة عطرية قوية جعلته ينتعش من استنشاقها ... وقفت بقربه ووضعت يداها على قلبه ونظرت إليه تحت ذاك الوشاح قائلة بصوتها الناعم:

_لقد تم إبرام الصفقة يا بن جادو، لكنك سوف تعيش بدون قلبك هذا؛ لأنه من تلك اللحظة أصبح ملكي للأبد ... أغمض عيناك الآن واذهب إلى دنياك الفانية كي تحيا بها للأبد وثق بي لن يجرؤ الموت أن يمس روحك .

شهقة الحياة أخذ أنفاسه كالمرة الأولى في حياته وفتح عينه لوهلة حتى يتأكد أنه هنا في الحياة الحقيقية، يغمض عيناه ومن ثم يفتحهم مع بداية حياة مختلفة كليًا عن سابقتها، شعور جديد حتى النفس الذي أخذه له انتعاش آخر... ظل يحرك رأسه يميناً ويسارًا حتى جاء الطبيب مسرعًا نحوه، كان الطبيب مذهولا فحالته كانت ميؤوس منها نظر الطبيب له قائلاً:

_هل تسمعني يا بن جادو؟ هل تراني؟.

نظر إليه وأومأ برأسه علامة الموافقة وقال بصوتٍ خافت:

ما الذي حدث.. وأين أنا ؟

-انت في المشفى يا بن جادو لقد كنت في غيبوبة والآن أنت بخير.

رفع رأسه ببطء شديد كي يرى ما حوله

وعند رؤيته للطبيب أصبح جسده يرتعش، بل يحترق حرارة قوية داخل عروق دمه، سمع همسات داخل أذنه أطياف سوداء لا ملامح لها، تتراقص على موسيقى مزعجة أمامه لم يستطع أن يحرك جسده، وكل ما كان يدور في خلده أن كل ما رآه كان مجرد وهم وهلاوس عقله الباطن، إنه فقط كان داخل غيبوبة، لكن لماذا لا يستطيع أن يحرك جسده وما هذا الألم الذي يشعر به، ومن هؤلاء الذين يتراقصون حولي يبدو أنني أهلوس هل احترق جسدي لذلك أشعر بهذا الألم، يا إلهي ما الذي حدث لي...؟!

يجلس على مكتبه يقرأ ما كان يكتبه قبل تلك الحادثة، يبتسم بحزن قد تذكر ما قاله الطبيب له أنه ليس مستعدًا أن يعود إلى عمله؛ لأن جسده أصبح هشًّا ضعيفًا تدمع عيناه يشفق على حاله قد كان عظيما حقًّا، والآن أصبح ضعيفا لا يقدر على فعل أي شيء.

يشتم رائحة عطرية مميزة قد اشتمها من قبل، يسمع همسات قائلة: لقد حان الوقت كي تنعم بالحياة المجيدة يا بن جادو، ليس عليك أن تحزن لأنك الأعظم في تلك الحياة الفانية.. يشعر بشيء يلتفت حول يداه لينظر إليها ليرى الضباب الأسود يتغلغل داخل يداه بكل حرية لينتقل إلى جسده كله، حاول إبعاد تلك الأشياء عن جسده بكل فزع وهو يرتجف، زحف حتى التصق ظهره بالجدار وطقطقت فقراتُ ظهره معلنةٌ أنه لا مجال للتراجع أكثر من ذلك حتى استسلم لتلك الأشياء، امتلكته كليًا ظل على تلك الحالة بعض من الوقت لينهض ويرتدي ملابسه ويمسك قلمه ويكتب «لقد عاد ابن جادو أقوى من قبل» ويرحل من منزله ليتجه إلى منزل صديقه العزيز العقيد «ماجد» ليخبره أنه مستعد كي يصنع المجد في عمله...

ذهب وجلس على طاولة الطعام ينتظره، كان برفقته الرائد «حامد» لم يعيره أي انتباه، بل لم يراه كان هدفه هو العقيد «ماجد» ظل منتظرًا لدقائق معدودة حتى أتى العقيد«ماجد» نهض«بن جادو» ليلقي التحية له وجلس مجدداً ليدخل في صلب الموضوع بدون أي مقدمات..

_اسمعني يا ماجد أنا أريد أن أعود إلى العمل الذي طالما كنت أضحي بحياتي من أجله، أنا لم أخلق كي أجلس في البيت كالنساء، أنا خلقت كي أحمي وطني وأنا الآن أقوى مما كنت.

أشعل سيجارته ونظر إليه بحزن قائلاً:

_لا أستطيع أن أجعلك تعود للخدمة يا ابن جادو، يجب عليك أن تتقاعد بدلاً من أن يتم اعفائك من الخدمة، وأنت رأيت الطبيب ماذا قال، والأمر لم يعد بيدي، لذلك نصيحتي لك يجب أن تتقبل الوضع.

نظر»ابن جادو» له بغل وصمت قليلا كي يتمالك أعصابه وقال:

_ما بك يا ماجد هل تراني ضعيفًا لا أستطيع فعل أي شيء كي تخبرني أن أتقاعد هل جننت أم نسيت من أكن؟ اترك نصيحتك لشخص غيري أيها العقيد .

نهض»ماجد» من مقعده بطريقة عصبية ونظر إلى «ابن جادو» ثم أردف قائلاً:

_أنت لم تعد كما كنت يا ابن جادو وأنت تعلم هذا، وكما قال الطبيب أن حالتك ليست على ما يرام.. لذلك عليك أن تفهم يا صديقي أن تقاعدك هو الأفضل لك.

نظر له وارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية، ولا يمكن أن تكون هذه الابتسامة لإنسان عاقل نهض من موضعه، وقد كانت الحرارة تملكت جسده من جديد يشعر بأن أعصابه تحترق تغلي في الجحيم، حلَّ الظلام على عينيه لم يرَ أمامه غير أشباه الأجسام السوداء التي تتراقص أمامه، وتلتفت حوله لتوسوس في أذنه بفعل أشياء مريعة

أمسك بالسكين الموضوعة على طاولة الطعام واقترب منه بخفة قائلاً:

-هذا جسدي أنا ليس جسدك وليس جسد ذلك الطبيب الأحمق وأنا أقول لك أنني بكامل قوتي بل أقوى مما كنت.. لقد عاد ابن جادو أقوى من قبل.

شعر بحراره تجول جسده البارد ليزيد رؤياه لهذا الوميض الأسود بل الكثير منهم. صوت صراخ مزعج كلمات غير مفهومة تعطيه أوامر ليبدأ بتنفيذها دون سابق إنذار... ويغرز السكين داخل عنقه بكل غل تنهمر الدماء من عنقه، وبعد أن تلامست يده الدم شعر أنه على قيد الحياة من جديد، لم ينتبه بوجود «حامد» الذي كان مصعوقًا مما يراه... الراحة التامة بعد أول طعنة طعنها في جسد العقيد «ماجد» كأن الحياة أصبحت ملكه ظل يطعن جسده ومع كل طعنة يسترد بها قواه وحيويته وشغفه، توقف عن طعنه عندما عادت رؤيته من جديد نظر لـ «حامد» متجمدًا مكانه يرتعش من الخوف ابتسم له وقال :

_لا تخف يا حامد لن أؤذيك... إن ذهبت من أمامي.

فر «حامد» هاربًا من مكانه مذعورًا لا يستطيع أن يتكلم حتى وصل إلى المقر الخاص بهم ليستغيث بما رآه، كان الرعب والخوف يمتلكان «حامد»... عندما دلف إلى المركز قال بأعلى صوت عنده:

_لقد قتل ابن جادو العقيد ماجد لقد رأيته.

ظل يردد تلك الكلمات كالمجنون ويلتفت على كل الموجودين هناك، لم يصدق أحد من الموجودين ما يقوله «حامد» لينهض الرائد "يوسف» ويتجه إليه ويمسك كتفه قائلاً:

_هدئ من روعك يا حامد ابن جادو من الذي يقتل هل تخرف يا رجل.

نظر إليه والدموع تنهمر من عينه قائلاً بغضب:

_وهل تراني مجنونًا كي أقول أي حديث، أنا أقل لك لقد رأيت بن جادو وهو يقتل العقيد ماجد بعيني أيها الأحمق لما لا تصدقني.

سمع صوت ضحكات آتية من الخلف ليلتفت ليفزع ويتراجع إلى الوراء مشيراً أصبعه على «ابن جادو» وقال بصوتٍ مرتعش:

_هو... ها هو لقد قتل العقيد ماجد أقسم لكم.

تعلوا الضحكات عليه وقال الرائد «يوسف»:

-ابن جادو هنا منذ الصباح يا حامد، ألم أقل لك أن تكف عن تناول المخدرات ها هي الآن تجعلك تتوهم.

ابتسم «ابن جادو» نفس تلك الابتسامة الشيطانية ونظر إلى «حامد» وقال:

_لما لا تصدقونه ربما يكون محقًا.

قال الرائد «يوسف»:

_لا يا صديقي ابن جادو لا يفعل ذلك.

تعجب «ابن جادو» من قوله ويقترب منه ليقول:

_لماذا ابن جادو لا يفعل ذلك.

وبحركة أسرع من ضوء البرق قام بقطع عنقه لتسيل الدماء كسيلان الأمطار الغزيرة... نظر لهم والابتسامة لا تزال على وجهه ليرحل مثل ملك الموت عندما يقبض روح أحدهم، ويتركهم مصعوقين متفاجئين لا يتحركون، فقط يتبدلان نظرات الصدمة والخوف لعدم فهم ما يحدث...

اختفى «ابن جادو» لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام، كانت الشرطة تبحث عنه بكل تشدد لاحتجاز هذا المجرم والمختل عقليًا الرائد السابق «ابن جادو»، بينما هو كان فيها يحاول استعادة السيطرة على ذاته التي

أصبحت ملكًا لتلك الهلاوس التي تطارده ليلًا ونهارًا، يجلس في غرفة صغيرة فوق سطح إحدى المباني القديمة يحاول أن يستجمع بها عقله الذي فقده فبعد أن فعل تلك الجريمة وهو كان غارقاً في النوم، وعندما استيقظ شعر بهذا الألم يعود إلى جسده مجددًا....

كيف لي أن أفعل هذا لا أستطيع التوقف أريد المزيد والمزيد من إراقة الدماء أريد أن أتوقف، لكن هذا يجعل جسدي ينتعش... أين قلبي لماذا لم أشعر به؟ أيعقل أن يكن هذا الاتفاق حقيقي! وتلك ليست هلاوس هل بالفعل سوف أصبح أعظم إنساناً في الكون بالأجمع...

تلك السيدة أخذت قلبي وأعطتني الأبدية لا أصدق هل هذا حقيقي؟!

يشعر بيدها تلتف حول خصره لتعطيه قبلة على خده الأيمن وتهمس في أذنه قائلة:

أنت الآن سيد الكون بقوتك وجبروتك لن يستطيع أحد ردعك سوف يخلِّد التاريخ اسمك يا ابن جادو يجب أن تكن أنت الوحيد الباقي من نسلك؛ لذلك يتوجب عليك قتل من هم بنفس دمك كي تحكم العالم وتجعل كل أمراء الكون يسجدون لك تعظيمًا واحترامًا لك.

ابتعد عنها سريعًا ونظر إليها ليندهش من جمالها الأخاذ، تمتلك شعرًا أسودَ طويلاً يصل إلى ركبتيها، تتميز عينها الواسعتين باللون الأسود وبشرتها البيضاء، تمتلك من البراءة ما يكفي كي تجعل أي شخص يغرم بها من أول نظرة، تبتسم له ابتسامة ساحرة وتقترب منه لتحضن وجهه بيداها قائلة بهدوء:

-لا تجعل هلاوسك يا بن جادو تسيطر عليك فأنت من تخلقها يا عزيزي، عليك فقط أن تتبع شعورك المكبوت داخلك فهذا ما كنت تتمناه

طوال حياتك، افعل ما تؤمر به كي تصبح سيد العوالم، حررهم يا ابن جادو حررهم..

اختفت تلك السيدة من أمامه ليظل في حيرة من أمره، وظل يتساءل سؤالاً واحدًا فقط»ما الذي حدث»

خبط رأسه في الجدار عدة مراتٍ كي يجبر عقله على التوقف، ولكنه كان صُلبًا عنيدًا مثله ولم يتوقف عن رؤية تلك الهلاوس، كانت أقوى منه لتمتلكه وتقوده إلى منزله يدخل منزله في الخفاء فهو يعلم جيدًا أن البيت مراقب بسبب ما فعله دخل غرفته الخاصة دون علم من في المنزل وأمسك قلمه ليكتب، سوف أكن سيد العالم وسأصبح الأفضل في كل شيء لن يردعني شيء حتى تلك الهلاوس نعم هلاوس ابن جادو تلك هي بداية المجد والخلود، لذلك أقر أنا ابن جادو البالغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً، أنه في صباح يوم الأربعاء الموافق (٢٠١٦/٦/٦) أنني قد قتلت جميع عائلتي العزيزة المكونة من» أحمد البالغ من العمر خمسة عشر عامًا... ساندي البالغة من العمر أربعة عشر عامًا... والحاج سلامة البالغ من العمر ستون عامًا... والحاجة فاطمة البالغة من العمر خمسة وخمسين عاماً» قتلتهم لأن هذا الأفضل لهم..

أتت الشرطة بعد تلك المذبحة الشنيعة التي قام بها، فقد ذبح كل من في المنزل باستثناء والدته فقد طعنها في قلبها ظنًا منه أنه هكذا سوف يجعلها خالدة مثله، الدماء في كل أرجاء المنزل، يجلس يشاهدهم وهم موتى مستمتعًا بما فعله، فهو الآن سيصبح ملك العالم.. تدخل عليه الشرطة قد كان مسالمًا مما جعل قلقهم يزداد ليكبلوه جيدًا كي لا يبدي أي هجوم عليهم..

دخـل العقيد»سـامح» في الحجـز الانفـرادي الـذي بداخله»ابـن جـادو» لينظـر لـه بـأسى وحـزن عـلى حالـه ليقـول:

_لمـاذا ؟!... لمـاذا قتلتهـم يـا ابـن جـادو؟ لمـا فعلـت ذلـك! مـا الـذي حـدث لـك لقـد تبدّلـت أحوالـك مـن يـوم تلـك الحادثـة... هيـا تكلـم وكـف عـن النظـر في وجهـي.

ارتسـمت عـلى شـفتيه ابتسـامة غامضـة وجلـس دون أن يجيـب، تمالـك العقيـد «سـامح» أعصابـه كي لا ينفعـل عليـه فهدوء»ابـن جـادو» وابتسـامته الدائمـة جعلـت للرعـب نصيبًـا داخـل قلبـه...

_اتركـوه مكبـلًا ولا تحـرروه ولا أريـد أي شـخص يدخـل هنـا فنحـن لا نريـد أي خسـائر في الأرواح، هـل كلامـي واضـح؟.

-حسنًا يا فندم لك ما تشاء.

ورحـل العقيد»سـامح» بعـد أن أمـر العسـكري أن يشـدد الحراسـة على»ابـن جادو».....

يجلـس بداخـل الحجـز ينظـر إلى أركانـه السـوداء ويفكـر بمـا سـوف يفعلـه كي يخـرج مـن هنـا يسـمع صـوت همسـات خفيـه يشـتم رائحتهـا في المـكان يلتفـت يميناً ويسـارًا كي يجدهـا، وهـا هـي أمامـه تنظـر لـه بفخـر واعـتزاز بمـا فعلـه.

_ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟.

-أتيـت كي أطمـئن عليـك أيهـا العظيـم وأرى إن كنـت عـلى اسـتعداد كي تحيـا حيـاة جديـدة..

نظر إليها طويلا وهو شارد الذهن، ثم تنهد وقال:

-أنا الآن سيد العالم كما قلتي الرجل الأقوى والأعظم الذي لا ينقصني شيء في الدنيا... لكنك مخطئة يوجد شيئاً ينقصني يا ديانا.

تعجبت من نطقه اسمها بل صُدمت لتقول:

_كيف لك أن تعلم اسمي يا ابن جادو! فهذا أمر مستحيل أن يعلمه بشر.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال:

_أحيانًا يتفوق التلميذ على المعلم، بل يصبح عالمًا أيضًا لا شيء يردعه فيتعجب المعلم من تلميذه الذي أصبح أفضل منه.

فتقدّم نحوها ببطء وأمسك ذقنها بيده الضخمة ونظر في وجهها مليًا، ثم قال بلطف:

-أريدك أن تعيدي لي قلبي يا عزيزتي الحلوة.

أغمضت عينيها ولزمت الصمت لحظة ثم نظرت إليه وقالت:

_عن أي قلب تتحدث، لقد تم بيننا اتفاق يا ابن جادو هل نسيت!.

نظر إليها وفي عينيه نظرة تجمع بين التمرد والانتصار ليقول:

_لن أنسى يا ديانا، لكن الآن الوضع يختلف، لذلك أريدك أن تعيديه لي لأنني لن أعيش حياة أبدية بدونه، يجب أن يشهد مجد صاحبه.

ضحكت، أضحكها عناده الساذج لتقول له بغضب:

-لا لن أعيد لك شيئاً وكما قلت سابقاً لا تراجع لاختيارك.

لـم يبـدُ عليـه أي انفعـال، كان وجهـه دائمـاً جامـدًا لا يعلـوه أي تعبـير، وكأنـه نُحـت مـن خشـب ورغـم يـداه المكبلـة جذبهـا نحـوه بقـوة ليحتضنهـا ويقبـل شـفتيها ليرتـوي برحيـق الحيـاة، وكمـا أعجبتـه تلـك القبلـة السـاحرة أعجبـه سرقـة قلبهـا الـذي نزعـه بيـداه.

لتـصرخ مـن الألـم وترتمـي أرضًـا تـرى جسـدها وهـو يتحـول الى رمـاد وتنظر إليـه بغـل متوعـدة لـه بالعـودة كي تنتقـم، لكـن احـتراق جسـدها كان أسرع مـن كلماتهـا لتتـلاشى مـن أمامـه...

نظر»ابـن جـادو» إلى بـاب الحجـز وقـد حـان خروجـه للحيـاة كي ينعـم بمـا اكتسـبه مـن قـوة....

دقائق معدودة، ومن ثم ينشب حريق هائل داخل ذلك المركز...

تحرر»ابـن جـادو» مـن ذلـك السـجن الـذي طالمـا كان مسـجونًا بـه ذلـك السـجن الـذي يسـمى الحيـاة، وهـا هـو الآن أصبـح عظيـم زمانـه يبحـث عـن ضالتـه في الحيـاة.

تمت...

بسمة الجمل

أسموديوس

تسلل شعاع ذهبي عبر نافذة خشبية، ليداعب أهداب فتاة صهباء، مستلقية على سريرها، فتتململ في نومها وهي تشعر بسعادة تسري في أوصالها، لتغمر كل ذرة في كيانها وهي تتذكر ما مر بها كحلم جميل. تأبى «بيانكا» أن تورب جفونها خشية أن يوارى حلمها.....

حلمها .... دارت الكلمة في رأسها باحثة عن الحقيقة. أكان ما رأته وعايشته بالأمس حلمًا؟ تمطت في مرقدها، ليداعبها الملمس المخملي للفراش الوثير الذي يحتضن جسدها الرقيق حاملاً الإجابة عما يدور برأسها. لتفتح جفونها بدلال فتشرق أشعة عيونها الزمردية، وتلقي نظرة حانية بجوارها لتوثق الحلم الذي عايشته وطالما تمنته ببصمة الواقع، لم تجده بجوارها، ولكن آثاره تدل على أنه قد استيقظ قبلها ببضعة دقائق.

ارتدت ثوبها وتوجهت لباب الغرفة، فتحته بهدوء وتوجهت لمصدر الصوت بغرفة الطعام، وقفت على بابها وهى تراقب « ڤلاديمير « يعد طعام الإفطار، ودارت في رأسها أحداث شهر مضى حين حضر الفتى الوسيم ذو الشعر البني، والعيون العسلية، والقوام الرياضي، ومعه زملائه للعمل في المنجم المتاخم لمدينتهم، وكيف أصبح في غضون بضع ساعات حديث فتيات البلدة، ولم يكد يمر يومان إلا وأصبح « ڤلاديمير « الاسم المتداول في المجتمعات النسائية، والحفلات الرسمية.

_ ها قد استيقظت أميرتي، وأشرقت عليَّ بأشعتها الدافئة.

اقترب ليقف أمامها واضعاً يسراه وراء ظهره ويحني رأسه وهو يلتقط يمناها بيمينه ليطبع عليها قبلة رقيقة قائلاً:

_هل تتلطف أميرتي وتتناول معي طعام الإفطار الذي أعددته خصيصاً لها.

_ڤلاديمير كم أنت رقيق.

قالتها « بيانكا « وهو يقودها بحنان ويفتح لها كرسي مائدة الطعام، وما إن تجلس حتى يتوجه للجلوس في الجهة المقابلة؛ ليرفع كأس الشراب مشيراً لها أن تحذو حذوه فترفع كأسها مشيرة إليه وهو يقول:

_ نخب مدام ڤلاديمير.

راقبته وهو يحتسي شرابه وتذكرت يوم أن قام بزيارة والدها بناءً على موعد من مدام « بولار» ذلك الموعد الذي أثار حفيظة سيدات البلدة، خاصة حين تأكدت المزاعم في طلب «ڤلاديمير» الزواج من « بيانكا «.

وبالأمس في حفل الزفاف الأسطوري كانت « بيانكا « بثوبها المرصع بالألماسات المتلألئة كفراشة هائمة في حقل من الأزهار اليانعة تستقي من رحيقها، وتتنشي من عطورها، لا تلقي بالاً بنظرات الحسد، وهمهمات التعجب لسرعة الزواج.

لم يعكر صفو فرحتها إلا إصرار والدها على عدم حضور والدتها الحفل، ولكنها تلتمس له العذر حيث تمكّن المرض العقلي من والدتها كثيراً في الشهور الأخيرة وصارت تقوم بأفعال مزرية وقد تتسبب في إفساد الأمر حتى إن والدها يصر على احتجازها في غرفتها لا ترى أحدا ولا أحد

يراها، ولم يسأل المدعوون عنها فالجميع يعلم بحالتها. حتى إن ڤلاديمير أبدى تفهمه للوضع، مما أراحها كثيراً.

مر الأسبوع على العروسين سريعاً، والسعادة والبهجة عنوانه الأوحد، ولكن شيئاً ما في نفس «بيانكا « يأبى إلا أن ينتقص من بهجتها ويقلق مضجعها. لا تعرف كنهه، ولكنه بالتأكيد مرتبط بالكابوس الذي انتابها ليلة مولدها الثامن عشر، عندما رأت نفسها في إحدى الليالي حالكة السواد ضائعة في غابة كثيفة الأشجار تهرب من كيان ضخم متعدد الرؤوس، غير واضح المعالم يطاردها أينما ذهبت مردداً جملة واحدة « عروس نوڤمبر».

حاولت « بيانكا « تناسي الحلم المزعج خاصة أن زواجها كان في منتصف شهر سبتمبر؛ لذا فلابد أنه كابوس لا معنى له.

_ حبيبتي دعينا نعد العدة لعشاء الغد، فأنا أريده عشاءً فاخراً.

قالها « ڤلاديمير» وهو يضم « بيانكا « بين ذراعيه لتذوب في دفئ أحضانه، وتهوى في بئر حنانه.

_ لا تقلق عزيزي سأجعلك تزهو بزوجتك.

_الزهو كل الزهو حين أصبحت ملكي زمردتي.

قالها وهو يطبع قبلة حانية على جبينها، ويحملها بين ذراعيه القويتين متوجهاً إلى غرفتهما الخاصة.....

كان النهار مرهقاً حيث أشرفت « بيانكا « على إعداد عشاءً شهياً متعدد الأصناف، فهي تعلم ما يحبه أبيها وإخوتها، ولكنها لا تعلم ما يفضله ضيوف زوجها. فكان لابد من التنوع والتعدد في الأطعمة.

أثنى الحضور على الطعام والشراب مما ولّد مشاعر الراحة لدى « بيانكا »، لا لشئ إلا لأن زوجها سيكون فخوراً بها وبقدرتها على إدارة المنزل. بعد الطعام جلس السيد « چوزيف « مع ابنته للاطمئنان على أحوالها، وذهب شقيقها « بول « وشقيقتها « لارا « للعب مع « أميجو « فهم أحضروه للبقاء مع « بيانكا « بناءً على طلبها فهو كلبها المدلل، والذي حزن بشدة بعد رحيلها عن المنزل. في حين اصطحب ڤلاديمير السيد « أندريا « لاحتساء القهوة في زاوية الغرفة، وكان بينهم حديث جاد.

نظرات متعدية من السيد « أندريا « أثارت حفيظة « بيانكا « وأشعرتها بعدم الارتياح، خاصة بعدما تلاقت نظراتهم وتعمدت « بيانكا « إظهار انزعاجها بالأمر. إلا أن السيد « أندريا « لم يهتم للأمر وزاد من نظراته المتفحصة في جسد « بيانكا « من أخمص قدميها وحتى رأسها متحدياً بابتسامتة البغيضة إشارات الاعتراض التي كانت ترسلها .

قالت « بيانكا « وهي تحدث نفسها:

_حسناً سوف أخبر «ڤلاديمير» وسوف يقتلع عينيك أيها القميئ.

مر الوقت ثقيلاً عليها وهي تحاول الهروب من نظرات السيد « أندريا « بحركات مرتبكة تزيد الأمر سوءاً. إلى أن نهض « ڤلاديمير « مصطحباً السيد « أندريا « للانضمام إليهما، وكانت البهجة وعلامات الانتصار ترتسم على وجه « ڤلاديمير « مما أنسى « بيانكا « وقاحة السيد « أندريا «، ولو مؤقتاً.

_» بيانكا « حبيبتي خمني الأمر.....

ثم استدرك قائلاً:

_ حسناً حسناً لن تستطيعي التخمين، لقد اختارني السيد « أندريا « للتنقيب في منجم «بوفيليا»، وهو منجم بكر ومليئ بالثروات.

نظرت كل من « بيانكا « ووالدها السيد « چوزيف « لبعضهما البعض وعلامات الدهشة تملأ قسماتهم، إلى أن صرّح السيد « چوزيف « قائلاً:

_ ولكن « ڤلاديمير « إن جزيرة « بوفيليا « مهجورة ولا تطأها قدم، وقد سمعنا عنها حكايات كثيرة أدت إلى ما آل إليه حالها.

_سيد» چوزيف « أتصدق هذه الحكايات. إنها شائعات نطلقها نحن حتى لا يجرؤ أحد على ارتياد المكان حتى ننتهي من استخراج كل الكنوز المدفونة في مناجمها.

كان هذا رد السيد « أندريا « على اعتراض السيد « چوزيف».

وأكمل « ڤلاديمير « موجهاً حديثه لزوجته:

_ إنها فرصتنا لقضاء وقت ممتع سوياً فلن يكون هناك ما يزعجنا فقط أنا وأنت والبحر والغابة، ثم إنني سأكون الشريك الأوحد للسيد « أندريا « في كل كنوز المنجم، أليس كذلك سيد « أندريا»

أجاب السيد « أندريا « بنظرة خبيثة مؤكدة لحديث « ڤلاديمير «.

وأضاف وهو يرتدي معطفه ويلتقط قبعته استعداداً للرحيل: سوف ينتظرك القارب في ميناء «البندقية» بعد أسبوع من الآن ليقلك وزوجتك الجميلة إلى « بوفيليا «، وسوف يزورك السيد « سيرچينيو « أسبوعياً لتلبية احتياجاتكم.

وبعد أسبوع، ها هي « بيانكا « تودع والدها وأشقائها، وتتوجه مع زوجها إلى» البندقية» ومنها استقلت القارب الذي سيقلهما إلى « بوفيليا «.

ما إن اقترب القارب من الجزيرة حتى علا نباح « أميجو « الذي أصرت « بيانكا « على اصطحابه، ولم يستجب « أميجو « لمحاولات « بيانكا « لإسكاته، ولكن هدأ كثيراً حين ربت عليه « ڤلاديمير» وهو ينظر مباشرة

إلى عينيه آمراً إياه بالهدوءوما إن وطأت أقدامهم الجزيرة حتى اصطحبهم السيد « سيرچينيو » في جولة بها ليتعرفوا عليها.فشاهدا الكوخ الخشبي الكبير الذي سيقيمان فيه، وبجواره مخزن صغير للطعام وقنينات المياة الصالحة للشرب حيث تخلو الجزيرة من مصادر المياة العذبة، وفي الناحية المقابلة يوجد أسطبل صغير به حصان أسود ببقعة بيضاء كبيرة، ما إن رأته « بيانكا « حتى وقعت في غرامه، ويحيط الكوخ الكثير من الأشجار والأزهار مما آثار دهشة « بيانكا « فكيف لحديقة كوخ خشبي مهجورة أن تكون بهذا الرونق والنضارة. وعلى مسيرة كيلو متر من الكوخ توجد الغابة بأشجارها العاليه والكثيفة، وهنا حذرهم السيد « سرچينيو» من التواجد بالقرب منها ليلاً فهم غير متأكدين من وجود حيوانات مفترسة من عدمه، وأيضاً قاموا بزيارة المنجم الذي سيقوم»ڤلاديمير « بالتنقيب فيه بمفرده طمعًا في حصته مما يوجد به وحتى لا يشاركه أحد في تلك الحصة.

رحل السيد « سيرچينيو « بالقارب مع وعد بالعودة في ذات الموعد من الأسبوع المقبل.

قضي « ڤلاديمير « وزوجته اليوم ما بين استكشاف المنطقة حول الكوخ، والسباحة في مياة البحر الدافئة، وفي المساء جلسا سوياً يتناولان الشطائر التي أعدتها « بيانكا « في شرفة الكوخ المطلة على الغابة، وهنا شعرت « بيانكا « بقبضة في صدرها حين شاهدت منظر الغابة ليلاً وتذكرت كابوسها المزعج، ولكن سرعان ما طردت هذه الأفكار من رأسها، واستكانت في أحضان زوجها وسط جو رومانسي حالم .

نوم متقطع عانت منه « بيانكا « في ليلتها الأولى، ولم تستطع إيقاظ زوجها لينال قسطاً من الراحة قبل ذهابه باكراً إلى عمله في المنجم، ومن شدة التعب والإرهاق بدأ النوم يتسلل إلى جفونها حثيثاً حتى شعرت بيدٍ

تتحسس جسدها في جرأة أشعلت النيران به فقامت بالالتفات بتمايل وهي تقول بغنج: ڤلاد..... ولم تكمل كلمتها فقد رأت أمامها وجه ذو عينان حمراوتان تتسعان برغبة شرهة، وأنف كبير، وفم يسيل منه سائل أخضر لزج، أسنانه سوداء، وأنيابه بارزة، سرعان ما اختفى حين انطلقت منها صرخة مدوية شقت سكون الجزيرة، ولم يكن زوجها بجوارها، نادت عليه عدة مرات لكنه لم يجب، فجلست « بيانكا « في سريرها تحاول استيعاب الأمر، لا تعرف أتعاني من كوابيس مزعجة، أم تراودها هلاوس عقلية.

قامت « بيانكا « بالبحث عن «ڤلاديمير «، لكنه لم يكن متواجداً فعلمت أنه قد ذهب إلى المنجم، وتأكد ذلك حين لم تجد حصانه بالإسطبل.

مهامها المنزلية ليست بالكثيرة، لم تأخذ منها غير ساعة واحدة، لم تجد بعدها ما تفعله، فقررت الاعتناء بالحديقة وأزهارها، لم تدرك كم مر عليها من وقت وهي تتنقل بين الأزهار والأشجار، تسقي هذه وتنظف حشائش تلك، وهي مستمتعة بما تقوم به إلى أن لفت نظرها شجرة وارفة على أطراف الغابة تحمل الكثير من ثمار التفاح الأحمر اللذيذ، أحضرت سلة وذهبت لجني بعض من الثمار الطازجة، وأخذت تختار الثمار الناضجة بعناية لتفاجئ بها « ڤلاديمير « حين عودته.

وفي المساء استعدت « بيانكا « لاستقبال زوجها بثوب شاهق البياض، يبرز مفاتنها، وجمال شعرها الناري المتوهج في ضوء الشموع المتلألئة التي تبدد عتمة المكان.

ولشدة جوعها مدت يدها والتقطت تفاحة حمراء كبيرة وقربتها لتتذوقها، فإذا بالتفاحة تتحول لخفاش ضخم يبادرها باقتطام جزء من وجهها ويطير مسرعاً متخبطاً بجناحيه في أرجاء الحجرة.

وسط صراخ جنوني متواصل من « بيانكا « التي تنظر لوجهها في المرآة المجاورة لتجد الدماء تتدفق بغزارة من تجويف وسط وجهها لتلطخ ثيابها وجسدها، وتسقط أرضاً فاقدة للوعي.

يوم وراء آخر و» بيانكا « ترقد تحت وطأة الحمى وفقدان الوعي، تهذي للحظات، ثم تغيب عن الوعي ثانية، ولكن في لحظات وعيها القليلة تعاني من هلاوس سمعية وبصرية غريبة، فتارة تجد حولها نيران متأججة، وأشباح تتراقص وتتمايل حولها، وهم يتحدثون بلغة غير مفهومة، وتارة أخرى تسمع مزاح فج بين كيانات هلامية وأصوات صارخة بكلمات غريبة لا تلتقط أذناها غير القليل مثل: لوسيفر، بلفيجور، الحفل، أسموديوس،العروس، لوباثان، الوليمة.

تفتح « بيانكا» عيناها بضعف لتجد « ڤلاديمير بجوارها، يلمس رأسها بحنان، ويمسح وجهها بقماش مبلل، وما إن رآها مستيقظة حتى تهللت أساريرة وهو يقول:

_ ها قد أشرقت شمسي بعد شتاء بارد، هنيئاً لك « ڤلاديمير «

شبح ابتسامة يرتسم على وجه « بيانكا « وهي تسأل:

_ماذا حدث؟

_ لقد أصبت بالحمى الشديدة وغبت عن الوعي مدة عشر أيام كاملة، كنت أموت فيها عشرات المرات خوفاً عليكِ. منذ أن حضرت من المنجم لأجدكِ فاقدة الوعي في حجرة الطعام.

حجرة الطعام ..... تذكرت ما حدث لها ومدت يدها بذعر لتتحسس وجهها فوجدته سليماً وكأن شيئاً لم يكن. همت بأن تقص ما رأت على « ڤلاديمير «، ولكنها تذكرت والدتها وتوقعت ما قد يظنه زوجها، ووجدت

الحق معه إن فعل، فلم تجد من الصمت بد، وحاولت تناسي الأمر.

_ حسناً لابد وأنك تتضورين جوعاً سوف أحضر لكِ الطعام الشهي، وأطعمك إياه بيدي.

قالها « ڤلاديمير « وهو يتوجه خارج الغرفة، وتنهض « بيانكا» وتتوجه للمرآة لتطمئن على وجهها ومظهرها، وما إن هدأ روعها حتى ألقت نظرة خاطفة من النافذة تجاه الغابة لترى شجرة التفاح ولكنها لم تجدها، ما الذي يحدث ؟؟

أمسكت بقارورة المياة لتصب لنفسها كأساً يروي ظمأها، وما إن تحاول الشرب حتى تجد أسراب من الحشرات تخرج من الكأس لتنتشر على يدها وجسدها، فتصرخ مفزوعة وترمي الكأس بعيداً، ويحضر زوجها مسرعاً وهو يتساءل ما الأمر، فتجيبه مذهولة : لقد سقط الكأس من يدي.

يطلق « ڤلاديمير « زفرة ارتياح وهو يقول:

_ هيا معي نعد الطعام فلن أتركك بمفردك ثانية.

ثلاثة أيام انقضت و» بيانكا « تعاني من حالات شرود وفزع لا يجد لها « ڤلاديمير « مبرراً، ولكنه يبذل قصارى جهده فى التخفيف عنها، حتى إنه لا يذهب إلى المنجم لئلا يتركها وحيدة، ولا يمارس أي أعمال في المنزل أو الحديقة إلا وهي على مرأى منه و» أميجو» جالساً تحت قدميها يلهوان قليلاً، ويشردان كثيراً.

_ زمردتي غداً موعد حضور السيد « سيرچينيو « ولقد أعددت لكِ مفاجأة ستسرك كثيراً. فلتتزيني وتستعدي لها.

أومأت « بيانكا « برأسها علامة الموافقة، ولسان حالها يقول: لا يوجد على سطح هذه الجزيرة البشعة ما قد يسرني.

وفي صباح اليوم التالي استعدت « بيانكا « بناء على رغبة « ڤلاديمير « وخرجا لاستقبال السيد سيرچينيو «، وعندما اقترب القارب من الشاطئ تهللت أسارير « بيانكا « وأخذت تتقدم وتلوح بكلتا يديها وهي تصيح :

_أبي، أبي.

أكثر من ساعة وهي تستكين في أحضان أبيها هاربة من أسوء أسبوعين مرا في حياتها، وهما يتبادلان الحديث عن أحوالهما وبالطبع لم تقص « بيانكا « أي من الأحداث لأبيها وكان أغلب حديثها عن والدتها وأحوالها، وتألمت كثيراً حين علمت أن حالتها تزداد سوءاً. وفي المقابل كان « ڤلاديمير « يساعد السيد « سيرجينيو « في تفريغ حمولة القارب من المؤن ومياة الشرب ويضعونها في مخزن الطعام، وما إن فرغوا من مهمتهم حتى قال « سيرچينيو « موجهاً حديثه للسيد « چوزيف «:

_سيدي لقد حان موعد الرحيل.

_ أبي....

قالتها « بيانكا» متوسلة ليبقى معها ولكنها تعلم استحالة الأمر، فلا يمكن ترك « بول» و « لارا» بمفردهم، خاصة مع حالة والدتها التي تزداد سوءًا.

وانصرف السيد « چوزيف « مع وعد بالحضور مرة أخرى حين تسنح له الفرصة.

حسنت الزيارة من حالة « بيانكا « كثيراً حتى أنها طلبت من زوجها الانتهاء من عمله، فهي أصبحت قادرة على الاعتناء بنفسها، وحتى يتركان « بوفيليا « بأسرع وقت، ويعودان إلى روما.

لم تلق «بيانكا « بالاً لما كانت تشاهده من خيالات وما تسمعه من أصوات صراخ واستغاثة، فلقد أصبح كل همها أن ينتهي « ڤلاديمير « من منجمه بأسرع وقت ممكن، كانت تستيقظ على سريان اليد الشرهة وهي تتلمس جسدها، أو تطبق على رقبتها، فتزيحها جانباً بحزم، وكانت تجلس بجوار زوجها على مائدة الطعام وترى الحشرات والحيات تتطلق من آنيتها، وكأسها، فتأكل وتشرب بنهم غير مبالية، وكل ما يدور بخلدها ألا يلمح عليها « ڤلاديمير « أي تغيير، حتى لا يوصمها بالجنون.

في تلك الليلة انتابها كابوس جديد، فقد رأت نفسها في كهف صخري مظلم وحولها أقزام خضراء مشوهة ينحنون لها في وقار وهى تسير حافية القدمين على أرض لزجة و يبدد ظلام الكهف وبرودته مشاعل نارية على الجانبين وتتراقص خيالات على الجدران وسط موسيقى صاخبة، ودقات طبول منذرة.

لتجد نفسها أمام رجل عارٍ مقيد اليدين والقدمين ومسجى على وجهه، فترفع يديها عاليًا، وتنزل بمخالبها عليه لتمزقه وتتناول جثته بنهم وشراهة وسط تصفيق من الأقزام الذين ما لبثوا أن يتخاطفون قطع اللحم التي تلقيها « بيانكا « إليهم في سعادة ونشوة.

فتحت عيناها فجأة للتخلص من وقع الكابوس، فشعرت بسائل ثقيل على وجهها لمسته بأطراف أناملها فشاهدت لونًا أحمر قاني لسائل لزج، فجلست منتفضة في مكانها، لتجد اللون القاني يملأ سريرها، وملابسها، ويديها، وهرعت صارخة عندما شاهدت جثة ممزقة الأوصال، غير واضحة المعالم، إلا أن ملابسها ومرقدها يدلان عليها.

أخذت « بيانكا « في الهرولة والصراخ الهستيري لا تدري ماذا تفعل؟ وإلى أين تذهب؟ وماذا تقول؟ لقد التهمت للتو زوجها.

لـم تجـرؤ « بيانـكا « عـلى الدخـول للكـوخ مـرة أخـرى واسـتقرت في مخـزن الطعـام تنتظـر قـدوم السـيد « سـيرچينيو «، وقـد عزمـت عـلى إبلاغـه أن وحشًـا ضـارًا قـد هاجـم زوجهـا.

ولكـن.... السـيد « سـيرجينيو « لـم يـأت في موعـده، للمـرة الأولى، ولـم تدر مـاذا تفعـل وقـد نفـذ الطعـام والميـاة مـن المخـزن، وأصبحـت تتضـور مـن الجـوع وتلهـث مـن الظمأ. حاولـت البحـث عـن أي طعـام يخمـد جوعهـا الـذي ينهـش أحشـاءها حـتى إنهـا اتجهـت صـوب الغابـة غـير مباليـة لوجـود حيوانـات مفترسـة، وبجوارهـا « أميجـو « ينبـح مـن الجـوع ويلهـث مـن العطـش، وأثنـاء بحثهـا الشـاق توقفـت لحظـة لتنظـر إلى كلبهـا الـوفي نظـرة عطـف لكونهـا السـبب في وجـوده هنـا . وجثـت عـلى ركبتيهـا بحـواره تربـت عـلى رأسـه بحـزن، وتباغتـه بهجمـة شرسـة تقضـم بهـا رقبتـة ليعـوى عاليـاً ويفـارق الحيـاة، لتنهـل « بيانـكا « مـن دمائـه وتـأكل مـن لحمـه حـتى تشـبع نهمهـا. وتعـود إلى الكـوخ لتنـال قسـطاً مـن النـوم، لـترى في منامهـا اليـد المتعديـة وقـد كـبر حجمهـا وبـرزت أظفارهـا المدببـة وانتـشر الشـعر الأسـود عليهـا، بـل لقـد ازدادت أعدادهـا لتنتهـك جسـدها ذهابـاً وإيابـاً بأظافرهـا لتـترك علامـات أرجوانيـة عـلى جسـدها الـذي تحـوّل لونـه مـن الـوردي إلى الأزرق.

كانـت هـذه الأحـلام والكوابيـس مألوفـة لهـا أثنـاء نومهـا، وأثنـاء يقظتهـا يطاردهـا الصـوت المخيـف يـردد كلمـات لا تعيهـا لكنـه يـصر عليهـا باسـتمرار حـتى أنهـا ألفـت سـماعها: الوليمـة، أسـموديوس، أمـراء الجحيـم السـبع، عـروس نوڤمـبر.

أحـلام « بيانـكا» صـارت لا تخيفهـا فهـي تعيـش في الواقـع مـا تـراه في أسـوء كوابيسـها حـتى لقـد تحوّلـت إلى جسـد خـواء خـالي مـن أي مظاهـر الـروح والإحسـاس، ولـم يكـن مصـير الحصـان الأسـود بأفضـل مـن مصـير « أميجـو»، فانتهـى مآلـه إلى فريسـة سـائغة ل « بيانـكا».

بعد أن نفذت مصادر الحياة المشروعة وغير المشروعة، ولم تجد « بيانكا « ما تقتاته وخارت قواها من الجوع والضعف، ارتمت على ظهرها بالقرب من الشاطئ، تنظر إلى البحر والسماء، وتنتظر مصيرها المجهول.

لا تدري أحلم ما تشاهده أم أن هناك قاربًا يقترب من الجزيرة، لم تبال بادئ الأمر ولكن القارب صار قريباً من الشاطئ يقوده شخص يرتدي عباءة سوداء وقلنسوة تداري وجهه، دب النشاط في أوصالها وقامت صائحة:النجدة النجدة أنقذني سيد « سيرچينيو «، وما إن نزل الرجل على الشاطئ حتى أسرعت إليه وهي تهذي وتشير إلى المجهول ناحية الغابة _ الوحوش، الدماء، هيا بنا، لابد من الفرار، الطعام، أين الماء ؟ أخذها الرجل بين ذراعيه وهو يحاول التهدئة من روعها قائلاً: إهدئي يا زمردتي.

لم تستوعب ما قاله في بادئ الأمر واستمرت في هذيانها وهو يكرر جملته على مسامعها فإذا بها تستكين وتلتفت إليه لتزيح القلنسوة عن رأسه وتصيح مذهولة:

_ ڤلاديمير....أأنت هو ... أأنت ڤلاديمير..... ڤلاديمير.

وأخذت تكرر الاسم بهيستيريا وتتحول لهجتها المتسائلة إلى لهجة الواثقة، وصارت تبكي وتضحك وتتصايح في نفس الوقت، وهي تلتصق بجسده طلباً للحماية.

لكنها توقفت فجأة ودارت مقلتيها في عيناها بترقب وهي تشعر بجسد « ڤيلاديمير» يتضخم ويتغير ملمسه، وما إن رفعت بصرها إليه حتى هالها ما ترى.

« ڤلاديمير « يتخول لمسخ قبيح ؛ بل وحش ضخم قبيح، رأسه يتضخم وينفث ناراً من فمه، وينبت على جانبي رأسه رأسين، إحداهما لخروف

والأخرى لبقرة، وجسده أصبح جسد أسد وله جناحا تنين، وأقدامه تحوّلت لأقدام طائر ضخم.

تراجعت « بيانكا» وجحظت عيناها وارتسمت أقصى علامات الرعب على وجهها، وأثناء تراجعها تعثرت قدمها فسقطت على ظهرها متألمة وهي تسمع أقبح ضحكة على وجه الأرض مصدرها « ڤلادمير « أثناء اقترابه منها بزهوٍ وهو يقول بصوت قميئ اهتزت له الأشجار وزلزل الأرض تحت جسدها:

_ زمردتي أمني تفرين؟؟ حسناً فلتطمئني لم تستطع عروس الفرار من» أسموديوس»

أمير الشهوة، وأحد أمراء الجحيم السبع، هيا فالأمراء ينتظروننا الآن وقد جهزوا لنا أفخم وليمة من اللحوم الطازجة التي لم تجف دمائها بعد.

واقترب منها وهو ينظر بعينيها متسائلاً:

أليست هذه وجبتك المفضلة ؟ ولكن أتشتهين لحم النساء أم الرجال؟

هيا أيتها الكسولة فشهر نوڤمبر قصير وعليَّ أن أستمتع به كاملاً.

قالها وهو يطبق يديه على جسدها ويشق الهواء بجناحيه متجهاً إلى ممكلة الجحيم، حيث ينتظره الأمراء : بلفيجور، بعلزبوك، لوباثان، مامون، الغضوب، وعلى رأسهم السيد «أندريا» لوسيڤر الجحيم. ليتباهى أسموديوس بما أحضره لهم أول أيام نوڤمبر شهر قوته وشهوته.

تمت

شيرين حسني

آيريس

«هناك شيء خاطىء ألا ترى ذلك! حكمني ولا تتبع قلبك»

عقلي يكرر ذلك وأنا أرفض تصديقه فلا يحصل الأمر غالبًا، بل أكاد أجزم أنه لا يحصل مطلقًا إن تنظر لي أنثى، فما بالك بأجملهن وأكثرهن إثارة. لا لن أصدق عقلي وحواسي وحدسي فأنا في نعيم لم أتذوقه قبلا. فآيريس تُظهر اهتمامًا بي وقلبي ذاب بها من النظرة الأولى كما يقولون، أريدها كما لم أرد شيئًا من قبل، سأكون عند حسن ظنها وسأثبت خطأ عقلي.

كم أندم على كل ذلك اليوم، ليتني استمعت للعقل والحدس إلا أن هذا الندم لن ينفع مطلقًا، فما حصل قد حصل ولست أدري كيف لي الخلاص.

لأخبركم بقصتي من البداية، أنا ساهر، رجل ثلاثيني هزيل شاحب وأقل من عادي في كل أموري، لم أتميز في شيء طوال حياتي لا أكاديميًا ولا عمليًا، وحتى إن مظهري عادي جدًا، بل في هذا المضمار إنني أقل من عادي حتى، لم يعد يزعجني ذلك إطلاقا تأقلمت مع هذا الواقع منذ زمنٍ بعيدٍ، وتقبلت كوني لا أصلح للعلاقات العاطفية بكل مؤهلاتي تلك، فأنا لم أنهي حتى تعليمي الثانوي وأعمل كنادل في ذات المطعم منذ ثمانية أعوام

على التوالي، لا أحداث تغير روتيني مطلقًا زبائن المطعم أشعر وكأنهم لا يرونني، أُنهي عملي لأعود إلى منزلي المؤلَّف من غرفة معيشة وغرفة نوم أعيش فيه وحدي منذ أن ودّعت أمي هذه الدنيا وتركتني، الوحيدة التي رأتني متميزًا؛ لذلك حين ظهرت آيريس في حياتي كانت صدمة لا تصدق نظراتها لي، اهتمامها بي وابتسامتها الساحرة جذبتني كفراشة نحو اللهب.

آيريس فتاة تملك سحرًا وجاذبية غير اعتيادية إطلاقا بشعرها الأسود الطويل و جسدها الممشوق وعيون خضراء كأنها تضيء. أن تظهر اهتمامًا بي ولو ضئيلا كان كافيًا لأن أذوب أنا فيها وأعطيها كل ما لديَّ. تعرفت عليها بداية في المطعم، ثم تطورت علاقتنا حين اعترفت لي بحبها، كم رفعتني بحبها ذاك أصبحت أرى العالم بعيون وردية وأرى نفسي بعيونها كاملا خال من العيوب.

عشت لها وأمضيت ثلاثة أشهر من أجمل أيام حياتي معها، كانت تعرف كيف تشعرني بالأهمية، أصبحت خاتمًا بيدها. حين زرتها في منزلها للمرة الأولى استقبلني هرها الأليف عزازير هر أسود ضخم بعيون واسعة خضراء، أثار حفيظتي بنظاراته التي أقسم أنا نظرات شريرة وكأنه قط جحيمي، أطال النظر إليَّ وكأنه يسبر روحي، ارتعدتُ وأنا أبتعد عنه، بطبيعتي لا أحب القطط ولا الحيوانات جميعها فكان عزازير عقدتي معها، سألتها:» لم أسميته عزازير؟»، ضحكت قائلة :

«للونه الأسود ونظراته الثاقبة». لم يكن القط الغريب الوحيد في المنزل، ففي كل ركن هناك تمثال صغير لا يتجاوز حجمه كف اليد لشاب أو لفتاة في أوضاع مختلفة هناك العشرات منها مختلفة الألوان ومزروعة في كل مكان وكأنها تراقبك، منزلها بأكمله له هالة مرعبة مظلم حتى مع وجود الأضواء وكأنك في وكر للشعوذة لا يشبهها هي التي تشع سحرًا وجاذبية.

جلست في الصالة بقلق من شعوري بأن مئات الأعين تراقبني إضافة إلى ذلك الهجين عزازير، جلست على الرغم من أن حواسي أنبأتني بضرورة الذهاب، لكنها دعتني لكوب من القهوة ولم يكن قلبي ليدعني أرفض تلك الدعوة.

لاحظت آيريس عدم راحتي بوجود عزازير فقامت بحبسه في غرفة نومها واتجهت إلى المطبخ، مرت دقائق عديدة وغافلني النوم، رأيت في منامي عزازير يقف مواجهًا للنافذة على قائمتيه الخلفيتين ورأيتني أدنو منه متعجبًا من وقفته تلك، وما إن أصبحت خلفه مباشرة حتى استدار وحدق بعيوني استمريت في التحديق بتلك العيون الخضراء وكأني نُومت مغناطيسيًا، لينطق بعدها «غاضب» بصوت أقرب للفحيح ثم خدشني من كتفي الأيسر حتى خاصرتي اليمنى، استيقظت فزعًا أتصبب عرقًا أجاهد لالتقاط أنفاسي وكأني كنت أركض ماراثونا، شعرت بلهيب حارق على صدري ممتد من كتفي حتى خاصرتي، رفعت قميصي لأجد جرحًا عميقًا حارقا، لكنه لا ينز دما، تماما كما في الحلم جرحا ببراثن عزازير!

انتفضت واقفا أذكر اسم الله، دخلت الحمام غسلت وجهي في محاولة للتركيز، ذهبت إلى آيريس كانت في المطبخ تدندن لحنًا بينما تحضر القهوة، إذاً أنا لم أنم طويلا سألتها» أين عزازير؟» التفتت إليَّ مستغربة : «لقد حبسته في غرفتي ألم ترني أقم بذلك؟!» لم أعرف بماذا أجيب، ازدادت نبضات قلبي ودب فيَّ الذعر، لا أذكر يومها كيف تملصت منها وعدت إلى منزلي، بقي الجرح مؤلمًا لأسابيع وحين شفي بقي أثره لم يزول.

ومنذ ذلك الحين رفضت قطعًا أن أزورها في منزلها وأصبحت لقاءتنا خارجًا فقط بعيدًا عن هرها الأسود، كنا نستمتع بوقتنا سويًا نقضيه ما بين أحضان الطبيعة قدر الإمكان بعيدًا عن الضوضاء والبشر، كنت

أرى في عيونها كلامًا كثيرًا وغموضًا، وحين أسألها ما بها كانت تتهرب من السؤال لتقلب الموقف إلى ضحك تسحرني ضحكتها فأتناسى الغموض وكل هواجسي تتجلي.

توالت أحلامي المزعجة التي كان بطلها عزازير دون منازع، عاودني كابوسًا آخر، هذه المرة رأيته ممددًا على حافة النافذة على ارتفاع عالي يبدو طويلا حقًا، مغمض العينين وجدتها فرصة مناسبة لأدفعه وأتخلص منه، ما إن لمعت الفكرة في رأسي حتى قفز عزازير وكأنه قرأها في عقلي، وقف على أطرافه الأربعة هذه المرة وأخذ يقترب مني ببطء شديد وأنا أبتعد عنه رويدًا رويدًا، كان قلبي ينبض بعنف والخوف تملكني، ابتسم عزازير ابتسامة جانبية وضرب قائمته الأمامية أرضًا معها حلقت أنا كدمية وارتطمت بقوة بالحائط خلفي لتعلو ضحكة عزازير.

انتفضت جالسا لأجد نفسي في منزلي وفي سريري تنفست ملئ رئتاي وشعرت بألم حاد في رأسي وظهري، لم أكن أعلم كيف لحلم أن يؤثر على جسدي في الواقع أم أن القط فعلا يأتيني وهو من الجن كما توحي نظراته!. نظرت للساعة ممسكًا برأسي لأجدها الخامسة فجرًا، نهضت لأجلب كوب ماء وحبتي مسكن علَّ الصداع يزول، تجرعتهم وجلست أمسح رأسي مغمض العينين ليهدأ الصداع فجأة مع طرق الباب، استغربت كثيرا من قد يكون في هذه الساعة الباكرة؟؟ طرق الباب من جديد بقوة أكبر فتحته لأجد آيريس تحمل عزازير وحقيبة يد صغيرة، دخلت قبل أن أدعوها أنا للدخول، وضعت القط والحقيبة، ثم احتضنتني قائلة : « أعتذر عن مجيئي المفاجئ ساهر، ولكن ليس عندي غيرك، أنت ملجأي وقت الشدائد» كان لكلامها، حضنها وشذاها تأثيرًا عليَّ مماثل للمخدرعلى المدمن

- «طبعًا عزيزتي ما الأمر؟»

-»أنا مضطرة للسفر كما أخبرتك سابقًا وصديقتي مريضة لا تستطيع الاعتناء بعزازير، وكما تعلم لا أستطيع أخذه معي ولا تركه وحده» ابتسمت وأمالت رأسها جانبيًا وأردفت:» هلاَ أبقيته عندك ليومين فقط؟»، حين رأت توجسي وقلقي أضافت بعد أن طبعت قبلة على خدي:» سأكون ممتنة لك أشدَ امتنان لا وقت لديَّ لأجد بديلاً، ستحبه صدقني» ثم مالت وربتت على رأس الهر الذي مسح نفسه بقدمها بكل دلال وهي تقول له» أحسن التصرف عزازيري، وكن خير ونيس لساهر»، لم أستطع الرفض ولم أكن لأدعها ترى الرعب الذي يتملكني من عزازيرها هذا، وافقت على مضض ضمتني مجددًا، حملت حقيبتها وخرجت تاركة خلفها الهجين عزازير.

لا يُعقل أن يكون هرًا طبيعيًا ليس بحجمه هذا وعيونه تلك! عيون كانت تنظر لي وكأنها ترى الفزع في عيناي إلا أنه استدار مبتعدًا عني وتمدد على الأريكة المواجهة للنافذة.

سار يومي الأول مع عزازير بسلاسة لم أكن أتوقعها، لا نظرات مخيفة ولا ابتسامات مريبة، كان قطًا عاديًا، تجاهلني وتجاهلته طوال الوقت، يخرج قليلا ليعود يأكل وينام.

أخذت أشعر بالسخف من مخاوفي السابقة ومن كل كوابيسي فها هوعادي جدًا باستثناء حجمه، لعله يملك أمًا طويلة! نفضت كل هذه الأفكار من عقلي ودخلت لآخذ حمامًا طويلا يُذهب تعب النهار، ما إن خلعت قميصي ورأيت الندبة الطولية حتى عادت هواجسي من جديد عقلي يحدثني:» إذا كيف حصلت عليَّ هذه الندبة يا ذكي، لا تأمن للقط أخرجه من المنزل فورًا» ليرد قلبي» لا، لا تفعل ستحزن آيريس وعلى الأغلب ستغضب منك وتتركك وهل كنا نحلم حتى بفتاة مثلها أو حتى

لنصف ما هي عليه لا تخرجنا من هذا النعيم»

- «اصمت! أنا أعرف أن هذا كله غطاء لأمر ما، هناك دوافع أخرى تدفع آيريس لمصاحبتنا، أرى ذلك في عينيها»

- «كف عن هرائك، دعنا نستمتع لا يجب أن تتدخل و تدمر شيئًا جميلاً ؟!»

صداع هائل اجتاحني، أردت للصراع ذاك أن يتوقف، ملئت حوض الاستحمام ماءً باردًا وغطست فيه طامرا نفسي تحت سقيع الماء في محاولة لإسكات أفكاري.

أغمضت عيناي حابسًا أنفاسي، بدأت الأصوات تخمد والجدال يذوي، فتحت عيناي لتقابلني عينان خضراوان واسعتان خرجت مني صرخة مكتومة وتمرغت في محاولة مني للصعود واستنشاق الهواء، ابتلعت نصف الماء وغرقت في موجة سُعال، لا أعلم مع كل ذلك كيف استطعت الوقوف، جلت بنظري في أرجاء المكان لا أثر لعزازير، استندت إلى الحائط في محاولة لتهدأة أعصابي، انهيت حمامي بسرعة وخرجت متجهًا إلى غرفة نومي، لم أتكبد عناء البحث عنه دخلت غرفتي تأكدت من أن عزازير ليس فيها أغلقت الباب وتمددت على سريري، لم أشعر بنفسي إلا وأنا في غياهب الغفا، استسلمت لنوم عميق أرى فيه قططًا سوداء وعيونًا جهنمية خضراء.

كنت أشعر بنفسي وأنا أتقلب يمينًا و يسارًا لا أستطيع الاستيقاظ لفترة طويلة، بعدها هدأت وسكنت في نومي لم أدر كم من الوقت مر إلا أنني شعرت بثقل كبير يضغط على صدري، التنفس أصبح صعبًا فتحت عيناي ببطء، فتحتها مرات متتالية لتتضح الرؤية، إنه عزازير! يقف على صدري وجهه على بعد سنتيمترات قليلة عن وجهي، عيناه أمام عيناي وأشعر

بأنفاسه الحارة المقززة تلفح وجهي، انتصبت في محاولة مني للجلوس إلا أن وزنه منعني استندت على مرفقاي فزعًا، لم يتحرك! وكأنه قطب حاجبيه! طالت نظراته لا أدري إلى كم من الوقت بعدها قفز عن صدري و خرج من باب الغرفة المفتوح ملوحا بذيله خلفه.

اعتدلت جالسًا بعدما أخذت نفسًا عميقا مستحق فركت عيناي هل حصل ذلك فعلاً أم أني كنت أحلم ؟؟ حاولت النهوض إلا أن جسدي لم يسعفني لذلك، بقيت في وضع الجلوس أحاول تهدأة نبضي وأستجمع شجاعتي للنهوض، حين سمعت صوت رجل يتكلم بلغة لم أفهمها بصوت أجوف عميق، عندها هببت واقفًا وأسرعت للصالة، لا يوجد أحدًا سوى عزازير يجلس خلف الكنبة لا يظهر منه سوى عيناه الخضراوان اللتان تضيئان في ظلام الغرفة، استدرت لأشعل الضوء وحين أعدت نظري ناحية عزازير لم أجده، لم يترك لي مجالاً للتفكير كثيرًا بالأمر، هبط على رأسي شيء ثقيل وغبت عن الوعي.

صداع مهول يقسم رأسي إلى نصفين، وألم حاد في معصمَي، حاولت تحريك يداي لأجدهم مربوطتين، أنا أجلس على كرسي ويداي مربوطتين خلفي وكذلك كاحلي مربوطان إلى الكرسي حاولت شد وثاقي والتفلت لم أقدر، كما أني لا أرى شيئًا، الظلام حالك وأشعر بدم حار ينساب على رقبتي من الخلف، رائحة عطنة ورطوبة عالية حركت فيَّ الرغبة بالتقيؤ، صرخت بأعلى صوتي لا مجيب، فجأة تضاء الغرفة لجزء من الثانية بومضة من مصباح النيون الكهربائي المثبت بالسقف مع أزيز مستمر من المصباح، لا بد أنه لا يعمل، مع الومضات المتتالية استطعت أن أتبين أني في غرفة مخزن يحيط بي العديد من الرفوف والصناديق.

لم أعلم ما الذي أتى بي إلى هنا أو من الذي أوثقني إلى هذا الكرسي،

المكان بارد جدًا أرتجف بشدة والصداع تتزايد وتيرته، عدا عن صوت أزيز النيون وأنفاسي المجهدة لا صوت في المكان هدوء يثير القشعريرة في جسدي، استسلم الضوء وتوقف عن محاولة الإضاءة غرقت في الظلام الحالك من جديد لم أدري كم مرة غرقت في نوم أو غياهب ولم أعلم كم من الوقت مر وأنا هنا، هل نحن في النهار أم الليل ؟ أشعر بالتعب والوهن و عطش شديد.

كنت أسقط في نوم قلق حين سمعت ذاك الصوت يأتي من بعيد، ذات الصوت الذي سمعته في منزلي رجل بصوت أجوف، وكأنه يخرج من أعماق أعماقه يتكلم مع أحدهم، وضعت كل تركيزي في محاولة للاستماع

- «إننا على وشك الانتهاء سيدي ومولاي، كما أن المدة لم تنتهي بعد»

لم أسمع الرد، « نعم أعدك، سيكون كل شيء جاهز حتى ذلك الحين إننا نقوم بأقصى جهدنا وسننجز الأمر لا تقلق»

من هذا! عن ماذا يتحدث رحت أصرخ «اخرجني من هنا، هيا أنا أسمع صوتك في الخارج اتركني ماذا فعلت لأستحق هذا؟!»

لا جواب! سكون من جديد. مر بعض الوقت حين سمعت صوت آيريس، دبّ الأمل فيّ وأحيت بصوتها كل ذرة من كياني، أخذت أناديها، ملهوف، هي طوق نجاتي أتت لإنقاذي ناديت وناديت دون إجابة لم تكن تسمعني، تنصّت لأسمع فوجدت صاحب الصوت يقول:» ركزي آيريس لا تهدمي كل شيء سيكون العقاب وخيمًا، أنت تعلمين جيدًا أننا اقتربنا من الهدف لا تدعي جنونك يسيطر من جديد فلا وقت لدينا لتحمل عقبات جنونك، هذا مرة أخرى.»

آيريس:» ولكن عزازير لنجلب شخصًا غيره، أستطيع تأمين شخصًا آخر»

صدمة.. اتسعت حدقتاي على آخرهما مما سمعت، اتسعتا على الرغم من الظلام الدامس، «هل الصوت يعود لعزازير؟!!!! إذا يتكلم! ما هذا يا ربي ما الذي يحدث؟»

علا صوت عزازير « آيريس الوقت ليس في صالحنا لم يتبق الكثير، يجب أن ننهي الأمر هذه الليلة أم أنك سعيدة بي وأنا على هيئة هذا القط؟ أريد استعادة جسدي الآدمي من جديد مللت هذا الحال، كما أننا اقتربنا من النهاية لم يتبق لنا سوى قربان واحد غيره، ثم أني لا أفهمك لم تريدين تبديله! انظري إليَّ أنت آيريس صائدة الجان أريني آيريس تلك، آيريس التي تحددت هيروبوزا ملك قبيلة الجن الأحمر، وكادت أن تكسب لولا تدخل الطفيلية جيرا لنجحنا وأصبحنا على رأس الحكم، وكنتِ أصبحت أنتِ أول آدمية تصبح ملكة على قبيلة جان كاملة، وتذكري أنك أنتِ السبب في كل هذا»

« أفف عزازير ألن تكف يومًا عن لومي، لم أكن أنا من طلب منك المجيء معي، لو أنك لم تحشر أنفك في أموري لاقتصر أمر العقاب عليَّ أنا وحدي، لكنك استحققت التحول إلى قط، لم كان عليك أن تستهزأ بجيرا! تحمّل إذًا غضبها»

«آيريس!!» صرخ بها بصوت عال...

«حسنًا اصمت وهيا بنا ننهي الأمر فقد أوشك القمر على انتصاف السماء»

سمعت صدى صوت حذاء آيريس ذو الكعب العالي يقترب ناحيتي،

صوت ولوج مفتاح في الباب ليفتح على مصرعيه مدخلا معه ضوءًا أصفر أضفى ظلالا على آيريس جعل ظلها ممتدًا نحوي وأخفى ملامحها عن عيوني التي كانت تحاول جهدها رؤية عينيها.

ودخل خلفها عزازير واقترب مني، وقف على قدميه الخلفيتين متكأً بقدميه الأماميتين على ركبتاي، أضاءت آيريس الإنارة في الغرفة لأجد وجه عزازير مقابلا لوجهي مقطب الحاجبين، صرخ بي «كم أمقتك يا هذا، ماذا فعلت لتخرجها عن طورها؟» وخدشني بكفه زارعًا خمسة مخالب في خدي تاركًا ألمًا حارقاً مكان مخالبه التي جرها من أذني وحتى فمي، كنت في صدمة تامة لم أستطع أن أنطق على الرغم من الآف الأسئلة التي تحوم في عقلي، كل ما فيَّ يؤلمني إلا أن غدر آيريس وخداعها لي أدمو قلبي، وكان لذلك القلب النصيب الأكبر من الألم.

هبط عزازير مبتعدًا عني لتقترب آيريس مني، وقفت مقابلي عيناها في عيناي وكأنها إنسانة أخرى مختلفة تمامًا عن آيريس التي أحببت كل العطف والبرآة فيها في هالتها انتزعوا وزرع مكانهما القسوة، لمعة عينيها اختفت لتصبح عيونًا عميقة لا روح فيها، عيون مخيفة. «آيريس»، خرج صوتي غريبًا عني لم أعرفه وضعت أصبعها على فمي لإسكاتي ثم ابتعدت، يثير طرق حذاؤها التوتر في أعصابي التالفة أصلا، أخذ عقلي يفكر» ما الذي يحضرونه لي؟ أين اختفوا؟».

تسارعت أنفاسي وبدأ العرق يهطل عني زخات زخات، لم أكن أستطيع النظر خلفي فرأسي يؤلمني بشدة وأسمع تحركاتهم في الخلف لتتقدم آيريس أمامي معها خنجر ذهبي طويل، وقفت على بعد أمتار مني وعزازير يقف متفرجًا، بالخنجر جرحت معصمها الأيمن جرحًا صغيرًا، ثم وضعت نقطة دم منه في تمثال زجاجي صغير لرجل مماثل للتماثيل في منزلها، «

لا آيريس لا تفعلي» هبط الفهم عليَّ دفعة واحدة، رحت أقاوم قيدي دون جدوى توجهت بعدها إلى عزازير متجاهلة ندائي وقامت بجرح أذنه اليمنى جرحًا بسيطًا ووضعت قطرة دم منه في التمثال الذي لا يملك رأسا، ثم وضعت التمثال في وسط دائرة مرسومة على الأرضية لم ألحظها قبلا حولها حروف ليست عربية وفي وسطها نجمة، وضعت التمثال في الوسط فوق النجمة تمامًا أشعلت عود ثقاب كان بيدها، ثم أخذت تردد هي و عزازير بصوت واحد :

«بحق إسرافيل وإسحاق وإسماعيل وسليمان بعهد آيريس مع هيروبوزا تقبل القربان منا هيروبوزا تقبله منا تقبله منا»

بعدها ألقت عود الثقاب في التمثال فخرجت منه شعلة زرقاء مموجة بالأصفر لتعلو عاليًا و تنفجر في الهواء بلون أسود وتختفي، كل هذا وأنا في ذهول أخرسني، لم أنبس ببنت شفة، لتلتقط آيريس التمثال بسرعة بعد انطفاء الشعلة، يقف عزازير على قائمتيه الخلفيتين أمامي تعطيه آيريس التمثال وتقف هي خلفه مواجهة لي تحولت عيونها للسواد التام وأقسم أني رأيت زوابع من نار في مقلتيها.

رفعت الخنجر عاليًا وأنزلته مخترقا شمال صدري، لهيب حارق وألم ماحق انتشر في جسدي، جحظت عيناي وأنا أرى روحي تتسلّ مني لتدخل التمثال في يد عزازير وأصبح جثة هامدة أمامهم، وضعت آيريس رأس التمثال مغلقة على روحي بداخله. الغريب اني كنت ولا زلت أنا بداخل التمثال أشعر وأرى من داخله.

حملتني آيريس تبعها عزازير إلى منزلها، دخل عزازير غرفة موارية لم ألحظها في زيارتي السابقة، انتظرته آيريس حتى توارى عن الأنظار، ثم جلست على الكنبة ووضعتني بين كفيها مقابل وجهها، ابتسمت لي وعادت

عيونها للونها الأخضر:» أنت حقًا أحمقًا و كنت صيدًا سهلاً، فكما ترى عزازير أخي و توأمي تحول إلى قط وأنا يجب أن أسدد الثمن لهيروبوزا، مئة قربان يقدمون سويًا عند اكتمال قمر العام الثاني من الصفقة وأنت الرقم تسع وتسعون اقترب الوقت على الانتهاء ولا زلت بحاجة لقربان جديد، لأتوج أنا أول أنسية حاكمة لقبيلة بني الأحمر وزوجة لهيروبوزا»، اتسعت ابتسامتها وأردفت بعدما لمحت الحيرة في عيون التمثال:» وهل ظننت أنني أحببتك حقا؟! مسكين يا ساهر تستحق هذا المصير» وضعتني على الرف المقابل للباب وابتعدت ضاحكة لأبقى وحدي بين عشرات التماثيل بعيون زائغة لا تعرف كيف المهرب وإلى أين المفر.

تمت

تمام الشورى

لعنة روزنيما

كـم مـن ليـالي أسـير وحـدي في درب لـم يكـن لـه نهايـة، شـاردة بخيـالي وذهـني مشـتت، غـير مكترثـة بالطريـق، أسـير والأنـوار تلافحـني، وضوضـاء الطريـق تصرعـني، لا أُبـالي بصفـير السـيارات والإشـارات، أسـير دون واجهـة ودون هـدف فقـد مللـت الأهـداف.

أسـير بشـوارع مظلمـة كظـلام طموحـاتي وآمـالي أتنفـس شـهيق خيبـة الآمال والطموحـات، لـم أعـد أسـكن جسـد أدميـة أصبحـت شـبح يجـول بالطرقـات، لـم أعـد أعـرف ذاتي فجسـدي أصبـح نحيـل وخـصري لـم يعـد رشـيقًا ممشـوقا، بـل أصبـح هشًـا يشـبه عيـدان القصـب في موسـم حـارٍ شـديدٍ الحـرارة .

أسـير والدمـوع تتسـاقط مـني دون رحمـةً أو رأفـةً بمقلـتيَّ، صـار الدمـع منهجهـا وغذاءهـا الأوحـد، أصبحـت روحًـا فقـط روح هائمـة حزينـة شـاردة معذبـة بـالأرض، لا أمتـك بجسـدي إلا روحـي والـذي أتمـني مـن بارئهـا أن يسـتردها ويريحـني.

كـم مـن أحـلامٍ وأدتهـا؟! وكـم مـن أمنيـات ماتـت بـين أيـدي القـدر والنصيـب الـذي أوجبـه خالقـي علـيَّ وعـلي أمثـالي مـن الفقـراء الذيـن لا يملكـون إلا قـوت يومهـم ؟! وأحيانًـا لا ..مـن قـال أن لا يغفـوه أحـد مـن دون أن يقتـات

عشاءه!! فبعضنا عشاءهم الدعاء والاسترجاء .ليس لطعام فقط بل لكلمة طيبة فقط تحلو مرار الأيام، ولكن لم يجدوا كأن الدنيا أرادت سجنهم بفقرهم، وربط شِرَّاكها عليهم بنقطهم السوداء في مكان واحد ومحاط عليهم سياج ضخم مصمَّد لا يستطيعه الصعود أو اختراقه، وإذا تم يسقطوا بالهاوية مثلي أنا...

أنا روزنيما أنا الطفلة التي كانت تحلم بدميَّة تسمي «بالباربي» ولغلاء ثمنها كانت تصنع لها والدتها دمية أفضل منها -من وجه نظر الأم بالتاكيد- دميَّة بالقطن وخرقات القماش أو بفضلات ما يتركه زباؤنها الذين يعطوها عن كل فستان المليمات التي لا تسْمن ولا تشبع من جوع ؛أنا التي حرمت من أبسط حقوقي كطفلة تلهو وتمرح مع أولاد الجيران .

كنت منذ نعومة أظافري أعاون أمي على العمل، وأتحمل معها المشقة من أجل سد أقل القليل من احتياجتنا، كان لي أخت وأخ طفل صغير، وكان لي والدًا بالطبع كان لي يومًا أبًا يحملني حينما جئت إلى هذه الدنيا باكية، ومؤكدًا أنه مسح على شعري وجبهتي يومًا ما، ربما ربت على كتفي يومًا، لم أتذكره ولم أشعر يومًا بوجوده، ولكنه من المحتمل أنه كان موجودًا بداخلنا فقط، لم يكن له وجودًا ماديًا محسوسًا فهو دائمًا روحه معلقة بأشياء بالسماء، وبأُناس توفاهم الله.

كنت أشرد ليلًا بأفكارٍ كثيرةٍ لتخرجني من فقري المدقع، وتزاحمت الأفكار بداخلي وتصدعت برأسي الأمنيات، شعرت أني وحدي بهذا العالم الغريب، ذو المشاعر القاتمة لا يحمل أي حنانًا لأمثالي أو يرأف لحال فتاة مثلي منكسرة لا يعطيها فرصة دون الطمع بجسدها وشرفها، ولكن أهداني عقلي بأن أتعلق بحبال العلم، وأنل من الثقافة القليل كي أواجه صعوبات هذا العالم، وجدتني بصدد من أين أوفر كتب أطلع عليها وأنا لا أملك

قـوت يومـي، تذكـرت مكتبـة ضخمـة لجارتنـا الطبيبـة الـتى تعطـف علينـا مـن حـين لأخـر وزوجـه القـس يوسـف المـلاح.

ذهبـت إليهـا بحجـة أخـذ مقاسـاتها مـرة أخـرى، ودلفـت لحجرتهـا وأخـذت مقاسـاتها ولـم تهبـط عينـي عـن مكتبتهـا الزاخـرة بأمهـات الكتـب، وكل أنـواع المجلـدات حقًـا إنهـا مكتبـة ضخمـة. فكـرت في طلـب بعـض الكتـب لقراءتهـا، ولكـني خشـيت رد فعلهـا ربمـا كان يجرحـني أو يُهـني، تصدعـت الأفـكار داخـلي ونهشـني الـتردد حـتى قـررت التهـام الكتـب دون أن تـدري وأمحـي أي إهانـة قـد أكتسـبها مـن مصارحـتي لهـا، بالفعـل أخـذت عـددًا مـن الكتـب بشـكل عشـوائي، وأخفيتهـا بحقيبـتي وودعتهـا وعُـدت لبيـتي وينتابـني شـعور الخـوف مـن معرفتهـا بسرقـتي لكتبهـا أو يعـرف القـس بفعلـتي، وكـم دئنـت نفـسي لفعلـتي والتهمـني ضميري حـتى الصبـاح، لـم أكـن أغفـو بسـبب فعلـتي حـتى مـر يومـان ولـم يحـدث شـيئًا ولا اكتشـفت فعلـتي .

فى منتصـف الليـل أخـذني الفضـول أن أطلـع عـلى الكتـب الـتي أصبحـت أقتنيهـا، وبـدأت أنظـر إليهـا وانتابتـني حـيرة أيـن أبـدأ وكيـف أختـار، أصبحـت لا أدري، أمسـك الكتـب وأنظـر لعنواينهـا وفهرسـها حـتى بـدأت ألعـب مـع ذاتي « لعبـة الحـادي بـادي « مـن شـدة الحـيرة وشـدة جهـلي حـتى اخـترت كتـاب كان شـكله قديـم ، ومهترئـة أوراقـه بعـض الـشئ لفـت نظـري أنـه كان أقـدم الكتـب الـتي سرقتهـا ونظـرت إليـه متحدثـة : لمـاذا أبـدأ بهـذا الكتـاب القديـم سـوف أعيـد اللعبـة وأختـار آخـر؟! ولكـن شـعرت بشـعور غريـب وفضـول أغـرب أن أطلـع عـلى هـذا الكتـاب وأصبـح قـوة جـذبي كبـيرة تجـاه الكتـاب غـير طبيعيـة لا أسـتطع مقاومتهـا تعـدت مرحلـة الفضـول.

نظـرت للكتـاب وبـدأت ألمسـه بحنـان وكأني وجـدت كـنزًا ثمينًـا أفـرد ثناياتـه، أزيـل الغبـار المتراكـم الـذي يسـكن أوراقـه، وكأني أحييـه وأعيـده مـن عبـق

التاريخ. بدأت أفتح الكتاب فوجدت مقدمة طويلة وأنا أكره المقدمات ولا أجيد قراءتها وأنا مبتدئة، حاولت تجاوز المقدمة خصوصًا أن ورقة شديد الصفار وغير مريح للعين، ولكن وقع نظري على هذه الجملة

« افعل يا بني آدم ما شئت، واترنح بين الخطايا والذنوب فسوف ألحق بك، ولن تفلت مني ستأتيني بإرادتك دون أن أدعوك، ستأتيني اشتياقًا لعذابي وألمي؛ لأنك بدوني مُهلك وستفنى مع التراب، أما معي فستخلد ولن يمسك أذى معي .....

شعرت بقشعريرة تخللت داخلي حتى وصلت شعري، تساءلت ما هذه الجمل ؟! وما هذا الكتاب؟! وبما يحوي؟! ولماذا وقع عيني على كلمات تخيفني وترعبني؟! وما الشعور القوي الذي بداخلي ويجذبني نحو هذا الكتاب؟! أصبحت في حيرة من أمري بأن أترك هذا الكتاب الذي أخفني مقدمته وشكله أيضًا وبأن أترك حواسي وعقلي لقوة جذب هذا الكتاب، فشعور قوي يجذبني نحو الاطلاع عليه، شعور فاق الفضول وأصبح أمرًا داخليًا يدفق الدماء لعقلي، ويؤمرني بالاطلاع عليه، كنت بالغسق والكل نيام، وحدي أنا وذاك الكتاب، نظرت بأعين الجميع كلهم بأحلامهم إلا أنا بحيرة ما بين أن أستسلم لأوامر داخلية، وما بين أن أترك الفكرة برمتها وأرجع لحياتي ولكن انتصر الكتاب عليَّ، وأخذت أفتتح ورقاته وأقرأ كلماته وأحرفه بعين واعية ساهدة لا تعرف النوم.

اتخذت قرارًا أن أتخطى المقدمة حتى لا يزيد ارتباكي وأقرأ، دخلت بالفصل الأول وجدت كلمات سلسة، والقصة بسيطة لا يوجد شيئ يجعلني أخشى منه وأثناء قراءتي أصبحت أسخر من الكتاب ومن ذاتي أني أعطيته اهتمامًا أكثر من اللازم، حتي شرفت على الانتهاء من الفصل الأول؛ وبقرب نهايته استشهد الراوي بقصة طفلة بالعاشرة من عمرها، كانت

تسير بالدروب ليلًا تبكي وتتأوه وتبحث عن دميتها بكل الدُّروب ذاكرًا اسم صاحبة الدميَّة «روزنيما» توقفت لبضع لحظات لكي أستوعب ما سبب ذكر هذا القصة وما ربطها بما قبلها، ولكني لم أستوعب فاستئنفت ووجدت الراوي يذكر أنها دمية عزيزة لديها، فتذكرت ذاتي عندما كنت بعمرها وأتمنى دميَّة كي ألهو بها، وجدتني أفرك عيني من شعوري بالنعاس وأغلقت الكتاب بالتو واللحظة، وقمت أضع الكتاب بالمكان الأمين على الرف، وجدت قارورة المياه فشربت وحين أرتشف المياه نظرت ببقايا المرايا المعلقة على حائطي فوجدت فتاةً صغيرةً شعرها منسدل يلطخ طين الأرض جبهتها، زائغة العين وكأنها تبحث عن شيئ ما .

سارت قشعريرة بجسدي جعلتني أصرخ بشدة، ونظرت خلفي كي أتأكد بأني لم أتهيأ ذلك، أو أن عقلي الباطن يصور لي ما قرأته، ولكن بالفعل وجدت الطفلة تنظرإليَّ بعطف كي أساعدها على البحث عن دميتها . تصلبت مكاني وأنا أفرك عيني كي أصدق ما أراه ولكني كلما فتحت عيناي وجدتها أمامي، ونظرت حولي فوجدت أمي وأخي وأختي في سُبات عميق ..كيف ذلك؟! لم يشعروا بصراخي ولم يشعروا بتلك الحركات أو بوجود الطفلة المرعب، تصلبت مكاني أنظر إليها بارقة العينين من شدة دهشتي، كيف ذلك كيف تتجسد كلمات من وحي خيال الكاتب حقيقة أمامي متجسدة؟! لقد هيأت عقلي أن تشابه أحداث قصته مع واقعي وأنا طفلة من محض الصدفة، ولكن كيف أجد ما أقرأه أمامي ؟!

أصبحت الطفلة تقترب مني فيشتد بي الخوف أكثر وأكثر حتى أصبح لا شئ يفصلني عنها، وصرت أتصبب عرقًا ويرتفع الأدرينالين داخلي فهويت أرضًا مغشية عليَّ، ولكن وجدتها تربت على كتفي محدثة لي بصوتها الطفولي لا تقلقي سوف أنتقم منهم أشد انتقامًا، وسأجد دميتي وستجدين أنتِ حياتك،

ولكن لا بد أن تختاريه كي تظفري بالحياة الأبدية وتحققي آمالك، نظرت إليها وأنا أرتعش وأجاهد بإخراج صوتي كي أتساءل عن من تتحدث؟ ومن هي؟

ولكن سرعان ما وجدت أمي تفيق مع دخول خيوط الشمس حجرتنا، نظرت إليَّ تتساءل لماذا أرتمي أرضًا وأترك سريري بجوار أختي؟! وجهت نظري مسرعة إلى الطفلة ولأمي باستغراب واندهاش، كيف لا تراها وهي أمامها، قامت أمي بالربت على كتفي قائلة :ما بكِ ولماذا يتصبب العرق منك ووجهك أصفر؟! ما بك أتشعرين بمكروه ؟! لم أجيبها ولكن وجدت الطفلة تقترب من أمي وتنظر إليها وابتسمت ابتسامة ساخرة تتم على الانتقام وعدم الرضا، ثم اختفت .

أقسم أني رأيت الطفلة حقًا وأنها لمستني وأنه حدث ذلك ستتهمني أيها القارئ بالجنون أو المس، ولكني أروي الحقيقة، لم تكن أوهامًا أو من نسج خيالي، أرجوكِ لا تبني أدلتك بجنوني بأن والدتي لم ترَ الطفلة، لأنها ستراها أمي قريبًا ولا أريد أن أحرق لك الأحداث وأميتك خوفًا من قصتي، إنك أيضًا إذا قرأت أحداثي سوف تراها، كما أنا رأيت ماضيَّ ومستقبلي .

أؤكد لك أنك سترى أشباحي، ولكن وحدك من ترى لن يراهم غيرك وستقع مثلي في شِراك الشك في قواك العقلية، استمر أيها القارئ في السخرية والنيل مني، ولكن ستصدق بأحداثي حتمًا ستؤمن عندما تراهم يجولون حولك كما فعلوا معي، سيصطحبوك بأي مكان تذهبه ولا تستطع الخلو بذاتك دونهم، فهذا عهد بينك وبينهم، سأكمل لك أحداثي، ولكن عدني بألا تسخر مني وتتفه ما أسرده، سأكمل برغم ما أشعره بأنك تسخر مني، ولكن إذا نظرت حولك الآن ستجدني أنا روزنيما أمامك الآن، أؤكد لك بأن أحداثي حقيقية وليست أوهامًا، لا تخف مني يا صديقي لم أكن أقصد إخافتك، ولكن ربما أردت أن أتعرف عليك أو أشركك معي في رحلتي

مع كتابي الملعون، لا تنظر جانبيك أنا أمامك الآن أصطحبك داخلي أسيطر على تفكيرك بإرادتك، ورغم مخاوفك مني وما أخبره لك وما تسخره مني إلا أنك ستفعل مثلي تمامًا، وسوف تكمل كلماتي وتقرأ سطوري للنهاية، فالإنسان مُسير يا صديقي ويشتهى دائمًا المجهول، وإذا رجع به الزمان فلن يترك التفاحة الملعونة وسيستمع لكلام الأفعى، أنظر إلى روزنيما الطفلة تبحث عن دميتها تستطيع أن تساعدها، لا تسأل كيف لأنك بمقدورك مساعدتها بالفعل، لأن دميتها بالفعل جانبك وأنت تستحوذ عليها، ترى فيها آمالك وطموحاتك وكل ما تتمناه، ولكن تطمع وتتطلع إلى ما بأيدي غيرك، ولكن هذه الدميَّة ليست ملكك، فهي ملك روزنيما فقط كل حلمها أن تلهو بها، أعطيها لها بدلًا من أن تحكم عليك بالعذاب .

اهدئ أيها القارئ أشعر أنك توجست خيفةٌ مني وأنا كنت أمزح معك، أعلم أن دميتي ليس بجانبك، ولكن أردت أن أشاركك أحداثي لا أريد أن أتفه مكانتك بقصتي، فأنت شريكي أيضًا، ولا أطيل عليك سوف أكمل قصتي حتى لا تمل مني .

شعرت أمي بأن شيئاً غريبًا ينتابني واقتربت مني، ولكني فقدت النطق بشكل مؤقت، ليس بإرادتي ولكن بقوة غريبة منعتني بالتفوه بما حدث، شعرت أمي بأني ربما مصابة بحمى أو قد أصابني مسًا أو حسدًا، أرادت أن تذهب بي إلى القس بكينيستنا، ولكن فقت صباحًا أتحدث وأمارس يومي كالمعتاد ناسية منسية أمر أمس، وعندما جاء الليل أسرني فضولي ماذا سيحدث إذا أكملت صفحات الكتاب؟ بالفعل لم أقاوم فكرتي وذهبت إليه، ولكن اتخذت احتياطي وصليت محدثة باسم الثالوث الأقدس الأب والابن والروح القدس إلهًا واحداً ..آمين وفتحت الكتاب وأنا مطمئنة بأنه لن يُصيبني مكروه باسم يسوع المسيح .

قرأت الكتاب حتى وصلت إلى منتصفه ولا شئ غريب يحدث، ولا حدث جلل يقفني أو يمسني، كان يتحدث عن أحداث قديمة وعن حضارة الغرب، وكيف ثابروا وأصروا على تقدم بلادهم، وعن قيمة العمل ولا شئ حدث، أغلقت الكتاب وأنا متيقنة أني كنت متوهمة أمس بكثرة تفكيري وانشغالي بمستقبلي وتغيره، ربما قد أصابتني الهلاوس.

ذهبت ووضعت الكتاب موضعه، وأنا أنوي الانتهاء منه قريبًا؛ لأنه به معلومات ستفي الغرض وتثقفني كما أردت، وأثناء رجوعي بجانب أختي وجدتها تلف ملاءة كلها عليها فحاولت اتخاذ جزءًا كي أتغطى، وحركتها براحة فوجدتها مشنوقة برباط أمي برقبتها تتشبس بدميَّة بأظافرها، صرخت صراخات مدوية تفزع كل منطقتي، وهرولت لأمي كي أيقظها من سباتها، وترى ما حدث فلن أتحمل وحدي كل هذا وأخذت أحرك جسدها وهي لم تفيق ولا تسمع صراخي، فاصرخ قائلة :

أفيقي يا أمي فوجدتها تقول ما بك يا روزنيما؟! لماذا تصرخين هكذا ليلًا؟! هل رأيتي كابوسًا أزعجك ما بك انطق؟! وجدتها تحدثني وتنظر إلى جثة أختي المشنوقة ولا تبالي، أنظر إليها مندهشة، أحثها بصراخي انظري أختي مشنوقة بجواري ألا تريها نظرت إليَّ بتعجب، ثم ابتسمت ساخرة مني قائلة : نعم أراها يا روزنيما وأعلم أنها مشنوقة بملاءتي فما الغرابة ؟!.

برقت عيناي وأنا أنظر إليها بكل خوف كيف ذلك أفيقي يا أمي؟! أما زلتي نائمة!! أتري ما أراه !! أختي مشنوقة تمسك الدميَّة التى رأيت الطفلة أمس تبحث عنها، لم أسرد لكِ هذا كي لا تقلقي، ولكني رأيتها هي من فعلت بأختي ذلك.

اقتربت مني هادئة تربت على كتفي قائلة: يا بنيتي اهدئي ولاتتفوهي بأشياء غير حقيقية، ولا تظلمي أشخاصًا بادعاءتك الواهمه. كيف يا أمي

وأنتِ أقريتي تـوًّا بأنـك ترينيهـا مشـنوقة بالفعـل منـذ قليـل، لسـت مجنونـة قلتهـا بـصراخ شـديد وأنـا أشـد شـعري مـن شـدة رعـبي وخـوفي . ابتسـمت وقالـت: لا تصرخـي سـوف توقظـي أخيـكِ الصغـير لـن أكذبـك بـأن أختـك مشـنوقة أرهـا أمامـي بالفعـل، ولكـن أنـتِ تظلمـي الطفلـة الـتي رأيتيهـا أمـس لـم تفعـل بأختـك شـيئًا، ثـم اقتربـت مـني وأمسـكت رقبـتي بحنـو في بـادئ الأمـر ثـم نظـرت بعينيهـا البارقـة الـتي اتسـعت حداقتهـا بشـكل مريـب وظهـر ضـوءًا أحمـر دمـوي منهـا وقالـت :

أنـا مـن شـنقتها بيـدي - وأشـارت لِيديهـا - فهـي مـن كتبـت مصيرهـا بيديهـا وأصرت عـلى اختطـاف الدميَّـة مـن روزنيمـا فـكان يجـب قتلهـا، وبـدأت تضغـط عـلى رقبـتي حـتى انهـارت قـواي مـن شـدة الخـوف والصدمـة، لـم أشـعر بـذاتي إلا هاويَّـة عـلى الأرض الـتي أصبحـت الحـين أحـن لي مـن هـذا الحيـاة، شـعرت برغبـة أن تبتلعـني الأرض لا أريـد أن أفيـق، الخـوف تملـك مـني لـم أعـي مـاذا يحـدث؟ وكيـف هـذا ؟وهـل يعقـل مـا حـدث؟!

أشـعر أيهـا القـارئ أنـك بـدأت تشـعر بشـفقة تجاهـي، وأنـك بـدأت باقتنـاع أن تكمـل قصـتي كي تعِـي مـاذا حـدث؟ ومـاذا أعـني؟ ولكـن لـن أطيـل عليـك ولا عـلى ذاتي أيضًـا فأنـت دون أن تشـعر جلسـت عـلىَّ ويتـكئ ذراعـك عـلى قلـبي، وأخـشى أن تقتلـني وأنـت سـارح بقصـتي، نعـم تسـتطيع أن تقتلـني إذا أخبرتـك الطريقـة الـتي علمتهـا لتخلـص مـن أمـي، أعلـم إن سردتهـا لـك سـتفعلها معـي وتتخلـص مـني للأبـد وتسرتيـح مـن هواجسـي.

ولكـن لا تثـق بي كامـل الثقـة فأنـا ربمـا أخـذ احتياطـاتي تجاهـك، أعرفـك أيهـا القـارئ اللئيـم، تقـرأ لـكي تسـتمتع وتعيـش أحـداثي، وترتعـب بعـض الأحيـان، ثـم بعـد انتهـاءك مـني تنسـاني وتتركـني ورق لا قيمـة لـه يبتاعـني أحـد المحـلات، ولا كأنـك عشـت معـي لحظـات ألمـي، وخـوفي، وصمـودي، ولكـن

أخذت احتياطاتي ضدك بأنك دون أن تشعر قرأت عهدي وسجنتك داخلي، فلن تنساني سوف أشارك معك ما تبقى من حياتك شئت أم أبيت سألازمك لذلك افعل ما شئت لتتخلص مني .

استيقظت من غيبوبتي التي دامت يومين جاءت فيها الطبية للاطمئنان عليَّ بعد أن نقلتي أمي المشفى وأخرجتني بسرعة لعدم مقدرتنا على التكاليف، فقت فوجدت أمي وأخي الصغير بجانبها والطبيبة والقس يقرأ لي ويصلي من أجلي نظرت في جميع أرجاء حجرتنا ونظرت لأمي وأنا أشعر بالخوف تجاها، ثم صرخت قائلة:

أين هي؟ أين أخفيتيها ؟قالت لي طبيبة : عن من تتحدثي ؟! قالت أمي مسرعة عن دميتها، فهي أصبحت منذ فترة تسأل عن دميتها، وهي صغيرة وتبحث عنها باستمرار وتصرخ وتتعصب ثم ينتابها دوار وتسقط على الأرض لا تفِيق إلا صباحًا، ثم نظرت إليَّ نظرة حادة وقالت:

إلى متى ستعذبيننا بتلك الدميَّة القديمة يا روزنيما ؟ كيف نهون عليك كل ليلة بأن تملئي أيامنا صراخًا ؟ وتعذيبنا بسقوطك مغشي عليك كل ليلة، لن أتحمل هذا يا حبيبتي فأنا أحمل مسئولية كبيرة على عاتقي بعد أن تركنا والدك، وأصبحت أرعاكِ أنت وأخيكِ الصغير.صرخت بها قائلة: أين أختي كيف تشنقيها؟! كيف فعلتي ذلك بابنتك، هل أنتِ أمي أم شيطانة؟!

نظرت إليَّ الطبيبة بإشفاق بالغ، واقترب مني القس ووضع يداه حاملًا صليبه يصلي من أجلي كي أهدأ من أوهامي، بالفعل نعست وأنا أشعر بكل الناس ضدي، وأنّ أمي نجحت بأن يروا الناس أني قد مسَّ الجنون عقلي، وأني أصبحت أهزي، بتُّ أفكر بالانتقام من تلك الشيطانة التي تعيش معي بعباءة الأمومة، وقتلت أختي وحرمت الطفلة من دميتها.

وجدتني أهرول إلى الكتاب، وأفتح صفحاته ربما تأتيني الطفلة تعاوني فأتخلص من الشيطانة التي قتلت أختي وسلبت مني راحة بالي، وبالفعل قرأت بنهم أحداث الكتاب ولم أجد شيئًا يوقفني أو يشابه حياتي وكأني أقرأ بكتاب آخر تاريخي لا شئ يحدث، وأخذت أنظر أمامي وخلفي لا أجد شيئاً، كاد يصيبني اليأس فأكملت صفحاته حتى انتهيت بآخر ورقة؛ وكنت سأغلق الكتاب محطمة الآمال حتى رأيت إهداءً صغيرًا بنهاية الكتاب

« إلى ابنتي روزنيما التي تحملت تعبي وكدِّي بغربتي، كي أُكمل الدكتوراه وأنهي أبحاثي بكالفورنيا، وأعود محملًا بعلم غزير أفيد به أبناء وطني، أهدي إليكِ كل حرفًا سردته بكتابي المتواضع، وآمل من الله عز وجل أن ينجح كتابي لكي تفخري بوالدك ويقدم نفعًا عظيمًا للبشرية، وأرجو أن تغفري لي تقصيري تِجاهِك، وغربتي من أجل علمي، ولكن لا تخشي يا صغيرتي أن أنساكِ بزحمة أبحاثي ودرستي، سأرسل لكِ دميتك المفضلة التي صِرت مرارًا وتكرارًا تبحثين عنها، وستعيشين معها أحلى أوقاتك، أرجو أن لا يمسها سوءًا وتحافظي على عهدك معي وعلى هذا الكتاب .

ابنتي العزيزة ... وأرجو لك دوام الصحة والعافية، والدك الذي قتل أختك أمس وسوف يقتلك إن لم تقتلى والدتِك بسكين حالًا وهي نائمة دون أن يدري الجميع حتى تستعيدي دميتك .

نظرتُ خلفي وأمامي من هول ما قرأته مشدوهة متسائلة ما هذا ؟ وكيف الكتاب هذا يعطيني مؤشرات بما حدث أوسيحدث ؟ عقلي شتت حتى تجسّدت فجأة أمامي الطفلة ومعها سكين حاد بيديها اليمنى، ويديها اليسري معها دميتي، قمت مسرعة على دمية، ولكنها رفضت إعطائي إياها محذرة إن لم آخذ السكينة وأقتل أمي فلن تتركني حية، وسوف تقتلني وتأخذ دميتي للأبد.

لـم أفكـر لحظـة أخـذت السـكينة وطعنـت أمـي طعنـات كثـيرة أصبحـت تـصرخ مـن قـوة طعنـاتي، ولكـن كان يعلـو ضحـكات الطفلة وأفـاق أخـي الصغير عـلى رؤيـتي وأنـا أطعنهـا، وتناثـر دماؤهـا عـلى وجهـي، وأغرقـت يـداي بدمائها، فـزاد صراخ أخـي وهـو ينظـر إليَّ برعـب شـديد، فنظـرت إلى الطفلـة متسـائلة مـاذا أفعـل كي يصمـت، فأشـارت إليَّ بـأن أقتلـه مهـددة بأنهـا سـتحرمني مـن دميـتي إلى الأبـد خشـيت عـلى الدميَّـة، بالفعـل قطعـت رأسـه بـذات السـكين الـتي أغرقـت نصلهـا بدمـاء أمـي، وأصبـح الجـو شـاغرًا مـن الـصراخ والأنـين .

ابتسمت الطفلة واقتربت مني وربتت على كتفي وقالت :

الآن فـزتي بدميتـك الـتي حرمـوكي منها سـنوات طـوال، أصبحـت الآن ملكك ولا أحـد يسـتطيع سـلبها منـكِ، نظـرت إليهـا وقـد اطمأن قلـبي وأنـا أحتضـن دميتي، وشـعرت بسـعادة داخـلي بـأني حافظـت عـلى دميـتي الـتي أهـداني إياهـا والدي .

وبعـد احتضانهـا في صمـت نظـرت للطفلـة متسـائلة عـن كيـف أحافـظ عليهـا؟! ولكـن سرعـان مـا اختفـت ولـن أجدهـا أمامـي، نظـرتُ بـكل أرجـاء الحجـرة فلـم أجـد غـير جثـة أمـي هامـدة تجـري الدمـاء مـن حفـرات بجسـدها بفعـل طعنـاتي، ورأس أخـي بجانـبي عـلى الأرض وجسـده مـازال يـنزف دمـاءً امتلئـت الحجـرة بالدمـاء، وأنـا أجلـس عـلى الأرض أحتضـن دميـتي.

لا تعتقـد أيهـا القـارئ أني مجنونـة أو انتهـت قصـتي بذلـك لا، فقلـت لك أني سـألزمك ولـن تنتهـي مـني لأنـك قـرأت عهـدي، ولكـن لا تخـف أنـت لـم تشـاركني بقتـل أمـي وأخـي فأنـا فعلـت ذلـك بـإرادتي مـن أجـل إنقـاذ دميـتي، ولكـن لا تنـسي أنـك شـاهد عيـان عـلى أحـداثي ..

نعـم رأيـت كل شئ وتوقعـت معـي وأنـا أسرد لـك ولـم توقفـني أو تغـير بالأمـر شئ، أو أضعـف الإيمـان التوقـف عـن قـراءة قصـتي كي تنهـى هـذا

المأساة، ولكن أنت أكملت بضمير مرتاح وتريد معرفة نهاية قصتي بكل شغف وأريحية، لأنك إنسان اعتدد منذ الأزل قتل أخيك الإنسان، لست بريئً أيها القارئ فنحن ورثة القاتل وأبنائه وليس ورثة المقتول، مات هابيل دون حق ونحن أبناء قابيل؛ سأخبرك نهاية قصتي، ولكن عدني يا صديقي أنك لن تسخر مني مرة أخرى، ولن أكون مجرد حكاية تضعها بمكتبك عند الانتهاء من قراءتي ..

أنا أصدق قولك الآن وأصدق أنك لن تترك حكايتي فأصبحت صديقي بالفعل فإنك شاركتني أحداثي، وتألمت معي، وانتابك قشعريرة من هول ما حدث، ولكن اطمئن سأكون سخيَّة معك، وسأخبرك بالحقيقة دون أن تتكلف شيئاً ودون خوف أو تستسلم لتهديدي، فلا تخشى مني فكنت عطوفة معك، لأنك لم تقرأ العهد كله وقرأت سطرين منه فلا تخف سوف تنساني بمجرد الانتهاء من قصتي فلا شئ عليك، فالحقيقة أنت لم تفعل شيئًا، أنا فعلت كل شئ وكنت أقصد عدم قراءة مقدمة الكتاب حتى لا تتلوها معي وتقع في شباكي، ولا تستطيع الإفلات مني فقد يحوي المقدمة على طلسم شديد الإحكام يجعلك تحت أمري تنصاع لأوامري وأفكاري، أغفلت مقدمة الكتاب الملعون كي لا تتجرف بالقراءة معي، ولكن الآن أستطيع أن أطلعك عليَّ من باب الفضول ليس أكثر ولا أقل سوف يدهشك الطلسم عند قراءته، ولكن بعد قراءته لا تنسى أن تخبرني ما رأيك به.....

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلِّ الله عليه وسلم ، أقسمت وعزمت عليكم يا ملوك الروحانية كل ملك ومن تحت لوائه يأتون إليَّ في حضرتي ويشموا دخاني ويقضوا حاجتي ويسحبوا قرة عيني ويعطوني البشارة بالنظر إليكم والتخاطب معكم ، تخرقت الحجب وانكشفت الستور وبرزت

الأرواح لأسماء الرب الخالق القدير الكريم الرحيم مسخر السماوات والأرض ومافيها، العليم الحي المميت أجب يا أيها السيد الكريم الجليل هملطمشعشيميال انتومن تحت يدك السيد طحيطمغيليال صاحب تاج السيد ميططرون، أستدعيكم بقوة من الله وبحق فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد احرقوا الحجب بيني وبينكم وأتوني بال ٧٢ قبيلة المؤذنة بالطاعة تحت دائرة الخاتم الأكبروخرق الحجب بيني وبينكم بحق طقطقوش، مهرقوش، عكشرخاش، برشهلوشا، عليهوش، شرشيم، هروش، مهروش، حج، برعياش، مواش، طقوش، شيعادث، ادعوكم بالسبع المثاني والقرآن العظيم أن تكشفو لي عن أنفسكم وتحرقوا الحجب بيني وبينكم بحق لا إله إلا الله ذل وخضع كل شئ له، وتقطعت الرواسي الشامخات لعظمته وذلت الرقاب لجبروتيه، وسجد كل شئ لروبوبيته طوعًا لأمره ولهيبته أتوني بأمر من عنده، ولكممل كرامة با رك الله فيكم الوحا، العجل، الساعة «

ضحكاتي تعلو أذنك الآن أيها القارئ اللئيم، الذي برغم إخبارك عني أثناء سرد قصتي، ولكنك يثيرك الفضول أيضًا، الآن بعد انتهاءك من قراءة الطلسم تفضل إلى عالمي دون رجعة.

تمت

إيمان حسين

نكرومانسر

لا شيء يدعو للخوف، فكل الأمور ستنتهي سريعًا، ثم ما الذي يخيفك في الموت، في الفناء، اللحظة الأخيرة!، آخر ألم، آخر صرخة، آخر نفس، ما المخيف بهم، أو ليس البقاء أكثر رعبًا ! نعيش ونحن على يقين بأن القادم أسوأ، اللحظة القادمة أشد إيلامًا، صدى الذكريات يمزق نياط القلب، كم أنت عجيب أيها البشري، تخشى الموت ولا تخشى هذه الفواجع المتلاحقة بكل لحظات الحياة، فما المميز بها لتتشبث بصدى صراخك، لا شيء، حقًا لا شيء، لكن لا تقلق، فما دمت متمسكاً بالخلود فأنا أعدك أن أحقق لك أمنيتك، ستظل ذكرياتك خالدة، تدور بعقلي ما حييت، علومك ستأخذ طريقها مني مجرى الروح من الجسد المخصص لها، رغم أنها روحي أنا، وجسدي أنا، لكني سأحفظ لك ذكرياتك جميعها، حتى ما لا تستطيع تذكره، أول خطوة خطوتها، أول كلمة، وحتى أول دقة قلب لك، ثم دوت قهقهات متتالية ارتج لها سقف المجلس وجدرانه، قهقهات اشتد على إثرها نشيب وصراخ الآخر، ذاك الذي يجلس القرفصاء بركن صغير من المجلس، سقفه على بعد متر واحد من ترابه فلا يستطيع الوقوف، ولا فرد جسده، تنساب على وجنتيه عبرات ملتهبة كالجمر، يتفكر في مسكنه الممهد، قصره الشاسع، زوجه الجميلة، وابنته الرقيقة، هل سيعلمون بموتي، من سيخبرهم أني نحرت على يد مأفون كهذا، أوه بماذا أفكر! هل

سأموت حقًا هكذا ميته سأموت كالجرذان فداء معتقدات هذا الأبله، رباه؛ ما هذه الفاجعة، وأي اختبار هذا، لمن سأترك جاهي وسلطاني، لمن ثروتي وأموالي، ما زلت أريد الحياة، أريد التمتع، أريد أن أنعم بالمحافل والمراقص، أن أشعل جذوة الشباب، وأن أسعى لطوي الحياة بين يداي، اللهم نجاة، اللهم رحمة...

قطع حبل أفكاره وفواجعه صوته الهادئ كسنفونية كلاسيكية ترخي ما هاج من الأعصاب، وتروح عن القلوب ما ألم بها غير أن مضمون كلامه عكس ذلك تمامًا: يا هذا أي كبر يسكنك لتفكر بالفجر والمجون وأنا على وشك قطف ثمارك، وإنزال حكمي بحياتك، إن حق أن لك رب فحري به تركك تلاطف شفرات سكيني وأمواج طلاسمي وتمتماتي بعد تطلعاتك تلك، لا تهدر وقتي بمراقصك ومحافلك تلك فالليل أوشك أن ينجلي، ثم تحرك من موضعه برشاقة تتنافى مع ارتفاع سقف المجلس، وقام كمتمرس يدري جيدًا ما يفعل وكيف يفعل بتثبت جسده السمين على أرضية المجلس بأغلال أحكم به ربط أطرافه، ثم قال وهو يهوي بسكينه لينحر عنقه أعدك أن أبلغ أهلك بخبر فناءك، ولا تقلق سأعرف بطريقتي الخاصة طريقي إليهم، انفجر بعد كلماته نبع من الدماء الدافئة، أصاب بعضهم ثيابه ووجهه، فأخذ يتذوقهم بلسانه منتشيًا مستمتعا كشارب كأس من أفخر الخمور يدور بعدها في شدة نشوته، ويتناسى كل ما قد يدور بخلد مكروب أضناه العشق أو فقير يعصف به القدر، وأخذ يتخبط بسكره بأرجاء المجلس أو بالأحرى المقبرة.

دقت الساعة الثانية عشر مساءً، إنها ليلة الخامس عشر (١٥) من مايو، انكمش على نفسه في غرفته يخشى التحدث، يهاب الحركة، يجزعه الأنين، رغم سكون الليل، إلا أن سكونه هو يشقه صراخ وعويل، رباه؛ اجعل هذا

اليوم يمر بسلام، ولا ترني في أهلي وأحبتي مكروه ككل عام، فمنذ سنوات ويومي هذا لا يمر على خير أبدًا، أنا ذا الثلاثة والعشرين عامًا لم أهنأ بعشر منهم أبدا، فهذا اليوم المنحوس دائمًا ما يحمل رائحة الدم، وصهيل الموت، البتر والفقد يتربصون بي، فلمن الفاجعة هذه الليلة، أهي لابنتي ذات الربيع الأوحد، أم لزوجتي البريئة، فقد فقدت الجميع منذ دبت أقدامنا هذا القصر، قصر تاريخي قديم، كتلك القصور التي كان يسكنها ملوك العصور الوسطى، طرازه قديم ابتداءً من هيئته الخارجية، وحديقته وحتى أثاثه ومفارشه، كل شيء به تاريخي، حتى أن هناك صورة عريقة معلقة بمنتصف الردهة لأربعيني يتحلى بالذهب والفضة، ويرتدي أفخم الثياب وأغلاها، على رأسه تلك القبعة الضخمة التي كانت تميز أصحاب السلطان والجاه من عامة الشعب، لعله أمير أو ما شابه ذلك، في أحد ممراته تراصت تماثيل متقنة الصنع، كجنود يرتدون الحديد حارسين لكنوزهم وثرواتهم، يقودوك لتلك الغرفة المعزولة، غرفة لا تطأها الشمس، لم تعهد النور أبدًا، كمقبرة، ونيسها الوحيد هو الظلام، ظلام دامس يجعلك تخشى الاقتراب، تخيفك مجرد فكرة العبور بجوارها، على يسارها غرفة أخرى يسكنها شاب وزوجته، لطالما طالبته بمغادرة القصر لكنه لا يملك بيت سواه، ليس له مسكن يسكنه غير تلك الخرابة التي يحسده عليها الغادي والقادم، فمن يدري بما داخله من قسوة وظلام، لو يسمعون ما به من أهوال، صراخ ودماء وسواد، لكنها العادة دائمًا أن نحسد على ظواهرنا الهادئة، وقلوبنا المضطربة تتلوى وجعًا، تحترق من تلك الأغلال التي نحكمها حولها، يحاول الهرب، لكن عقولنا لا تسمح له، لا تترك له مجالاً للاعتراض، ترضخه بكل الوسائل الممكنة...

أخذ يدور بذكرياته ما بين الأمس المظلم، وسنوات هذه الذاكرة الماضية، ينتشي مع كل ذكرى مرعبة ويصرخ لكل ضحكة تشق طريقها

لعقله، أين معلوماته، أين ما أبحث عنه، التقط قطعة من مخه الأيسر ليلتهمها كالمجنون السافر، دوت منه ضحكة وهو يتذكر، منذ عشر سنوات وبنفس تاريخ اليوم الخامس عشر من مايو، قتل جده أيما قتلة، لا أحد يعلم كيف قتل، فقد وجد في ذلك الممر الذي يصطف بطوله حراس مسلحين يرتدون حلة للحرب، مفقوع العينين منحور العنق، جمجمته شق منها جزءاً كما يشق قالب من الكعك وجزءاً من مخه مفقود لا يدري أحد أين اختفى وكيف ولماذا قطع؟

وعلى كتفه الأيسر يوجد نقش عين كبير نخر عظامه، ودمى له كتفه، أثار موته الهلع، فارتفع الضجيج والصراخ، واشتد النواح، جلست القرفصاء أنظر رأس جدي، أبكي بكاء اليتيم حين وافته أخبار يتمه، فقد كان جدي وصديقي وأبي، تخلل عقلي طريقة قتله، كم عجيبة هي!، فتساءلت في قرارة نفسي؛ كيف فعلها، وبأي أداة شق رأسه هكذا!، وما الدافع، لماذا هذا الجزء ؟!، العديد من الأسئلة ترددت بعقله، وعلامات تعجب كثيرة وضعت حول موته، الجميع كانوا يبكون ويصرخون إلا أبي، كان شيء آخر يدور بخلده، هَم آخر أثقل كاهله حتى أعجزه، وأصمت لسانه، وكف جوارحه، توجه بعدها لتلك الغرفة المظلمة، واختفى بها عدة ساعات لا يدري أحد ماذا يفعل، انتهى الشريط هنا، في هذه اللحظة الحماسية فركض كالجائع العطش إذا تراءى له سراب الماء في شدة جدب الصحراء، يلتقط قطعة أخرى من فص جبهته، ليستعجل الأحداث، قلب ذكرياته بين أحداث الصباح مرة، وأحداث المساء عدة مرات، لكن لم يحالفه الحظ هذه المرة، فلم يجد غير ذكريات ابنته الصغيرة يوم مولدها، وعن قراره بتسميتها سلمى علها تأتي بالسلام معها، أول ضحكاتها، لعبها معه، أول نظرة تبادلوها، كيف احتضنها.....

ما هذه التفاهة، ليس هذا ما أبحث عنه، مشاعر مقززة، لا قيمة لها، غير إشعاري بالغثيان، عاد لجثته يفتش عن الجزء المنشود من عقله، ذاك الجزء الذي سيكشف له غايته، كالمنحوس الذي يبحث عن حظه بين المهملات المهملة، صندوق تلو صندوق، وذكرى تتبعها أخرى.

لكنه ما زال يبحث، كيف يفتح الباب، أنى له أن يصل لغايته، وجبته دسمة، وإنه لإنجاز عظيم أن وصل إليها قبل أن يعبث بها أحد، فذكراها ما زالت طازجة تسيل رائحتها لعابه، ويجري لمذاقها ريقه، وينتشي من مكنوناتها عقله وحواسه، فكأن يده لامست ما لامسته ضحيته، وتناول فيه ما طعمته، ومشت أقدامه بنفس ممشاه، عاشت ذاكرته ذكرياته كلها، كأنما هو من شاهد قتلة الجد، هو من مر بالردهة، ولامس التماثيل، هو من لثم ابنته وسماها ولاعبها، هو من مشط شعرها، ووضع لها الأقراط، كل ما عليه أن يلتهم ذكراه، يطعم مخه، يلتهم عظامه، يتذوق أطرافه الطازجة، إن تناول أمعاءه عرف ما تناولته تلك المعدة من أول مطعمها، عرف لمن نبض قلبه حبا، ولمن انتفض كرها وبغضا، رأى كل ما بصرته عيناه إن طعمها بديعها وقبيحها، هوى على جثته كالسكير إذا فقد توازنه.

ثم قام بالتقاط قطعة أخرى من مخه علها المنشودة، علها هي ما تحمل ذكراه المفقودة، كنزه الدفين أخذ يقلبها في فيه، يمضغها بين أسنانه كقطعة اللحم، يشق عليه قذفها بمعدته من مر ما تحمل، من شد خذلان ذكراها، بعد رؤية والده كيف مات الجد ميتة بشعه، كأبشع ما يمكن أن يتمثل الموت، ارتكن على إحدى حوائط الممر وبصره يرتكز على رأس والده فقط للحظات خلناه يفكر في القاتل، من هو ولماذا قتل جدي ؟ إلا أنه لم يكن يفعل، فقد شغله أمر ميراثه الملعون، كيف سيتولى

مهمة بكل تلك الخطورة، وما الخطأ الذي ارتكبه جدي ليلاقي حتفه بتلك الطريقة، بعد لحظات شرود غلفها صمت مطبق، وأعين حائرة، وخوف تصتك له الأسنان ارتعاشًا ورهبةً، ركض كالمجنون إلى نهاية الممر، حيث الغرفة المظلمة، تلك الغرفة التي لا يسمح لأحد مطلقًا الوقوف أمامها أو الاقتراب منها، مكث بها عدة ساعات.....

توقف أيها العقل الخرف، أتعني أنك لا تدري كيف دخلها، لا تعلم كيف مر والدك من الممر وصولاً للغرفة، كيف عبر الرصد!.

أخذ يقلب بين محتويات ذاكرته الجديدة، كل شيء طبيعي إلا من أصوات ليلة الخامس عشر من مايو، حركات وهمس وفحيح يرتجف على إثرها أهل البيت جميعهم، إلا والده، ذاك الذي يجثو على ركبتيه أمام باب الغرفة، يتغنى ببعض كلمات لا يفهمها أحد.....

هيا يا صغيري جئنا للجزء الأكثر إثارة، والدك هذا كان أكثركم ذكاء، نفذ الأوامر، وامتثل للقوانين بشدة وحرص، عاد لذكرياته .. لا يستطيع أن يرى ما يخطه الرجل، الجزء الأكثر أهمية، رغم كشفه لنص تعويذة الأمان، ثم أين أجد الأدوات؟ أينها!، ما هذه المهزلة، لماذا الجزء الأهم دائما ما يأتي بالنهاية، لماذا يجب أن أعرف كل هذه التفاهات التي لا تجدي ولا تغني من جوع، فهذا الوالد الذي يجثو على ركبتيه يستجدي رصد الغرفة بدمه وحياته للإبقاء على حياة أسرته لا يشعرني بغير التقزز، دائما ما عجزت عن فهم تلك المشاعر الإنسانية التي تدعو الآخرين للتضحية حيناً من أجل أقربائهم وربما حتى لأجل غريب لا يعرفوه.

هذا الرجل استحق الموت، استحق أن يعقر بعيدهم حتى تستطيع عشيرته الاستمرار، حتى لا يلتهمهم الفناء، طالته أيد أحد النكرومانسر، شق طريقه إليه كثعبان بين الأغصان بصره على فريسته الشهية، عصفور لا حول

لـه ولا قـوة، لكـن في اللحظـة الأخـيرة، خطفـه صقـر جـارح، لتذهـب الفريسـة، ويذهـب معهـا أمـل الإطعـام، هكـذا بعـد عـشر سـنوات مـن مـوت الجـد، قضاهـا الوالـد في حراسـة هـذا الكيـان بـكل مـا أوتى مـن قـوة، يسـكن القـصر فـلا يسـتطيع غريـب التعـدي عليـه أو أخـذه وتحويلـه لمكان أثـري قديم، يـتردد عليه البـشر، يحـرس الغرفـة فـلا يمـر أمامهـا مـار، يحفـظ سرهـا وسر حارسـها الخفـي فـلا يـدري بشـأنهم بـشر غـير حارسـهما، حـتى هـو ربمـا لا يـدري مـاذا يحـرس.

وفي يـوم وصـل إليـه أحدنـا، أراد معرفـة تعويـذة المـرور، كيـف يفتـح البـاب، كيـف نأمـن الرصـد، أوشـك عـلى قتلـه، ثبتـه بإحـدى غـرف القـصر، عـلى أحـد الأسرة العتيقـة، وعـلى أرض الغرفـة نـشر أدواتـه، جمجمـة طازجـة، سـكين حـادة، مبخـرة، وبعـض قطـع الخشـب، شـق يـده بسـكينه ورسـم بدمـه دائـرة عـلى أرضيـة الغرفـة، نـشر الحطـب عـلى شـكل نجمـة سداسـية تشـق الدائـرة وفي منتصفهـا ثبـت جمجمتـه وقـد نـثر عليهـا بعـض قطـرات دم الأضحيـة، ثـم قـام بـإضرام النـار بهـم ووضـع بعـض البخـور عليهـم وهـو يتمتـم بتعويذاتـه (يـا ملـك الملـوك، يـا سـيدي الخالـد، اقبـل الأضحيـة، وأعطـني الأمـان، يـا سـيد العوالـم السـبعة، أنـا عبـدك المطيـع، فأمـني و.....) قطـع صلواتـه صـوت أقـدام قويـة مـن حولـه، كجيـش يمـشي بخطـوات عسـكرية فتصـدر خطواتهـم دبيـب عـالي، صهيـل خيـل أصـم أذنـه، وفحيـح تلعثـم لـه لسـانه، صمـت لحظـات ثـم أعـاد جمـع قوتـه، وتمالـك نفسـه، ليرتـل تعاويـذه (باسـم جالـوت وماروت، باسـم سـليمان، باسـم لوسـيفر ملـك ملـوك الجـان، باسـم سـيد العالـم السـفلي، بالـدم والعظـم، واللحـم، أقـدم قربـاني.....)

سـمع ضحـكات منتـصرة يتـلاشى بعدهـا الضبـاب، وتخمـد لـه النـيران، كل الأصـوات تخفـت، كأن الجيـش يتقهقـر ومـا تقهقـر، لكنـه أدى مهمتـه وانـصرف، قـام يحمـل سـكينه، فأفجعـه مـا رأى، أضحيتـه قـد نحـرت، قطعـة مـن مخـه

قد شقت، وعيناه مفقودتان كوالده تمامًا، وعلى كتفه الأيسر نقش العين، نفس الموتة بتفاصيلها كلها، ألقى سكينه بغضب فأصابت من الجثة ما أصابت، قطع جزء المخ ذاك الذي يحمل ذكراي المنشودة، وأخذ العينان اللذان رأى ما حدث وشهداه، سحقًا لك أيها الخبيث، سأنتقم منك أشد انتقام، مهما حاولت منعى سأجد طريقتي إليكم، وسأعلم شئت أم أبيت كل ما أبحث عنه وما أرجوه من معرفة...

لم تكن هذه ذكرياتك يا صغيري، هذ ذكرياتي أنا، أما أنت فما أدراك بكل هذه الأحداث المشؤمة، أخبرك سرًا، سواء كان النصر لي أم لرصد المقبرة، أنت وحدك الضحية، أنت وأسرتك، أما أنا فمحاولاتي ستستمر، وهو سيستمر في الدفاع، وأنتم تدهسون بين الأقدام.

في صباح الخامس عشر من مايو، بحثتم عن والدك كثيرًا، حتى وجدته بالغرفة السفلية القابعة بقبو القصر محكم القيد بسرير عتيق، عينه منزوعة، ومخه مقطوع منه جزء، وعلى كتفه نقش العين، تمامًا كما وجدت جدك قبل ذلك، لم تدوي منك هذه المرة صرخة، بل دوى تساؤل، ما سر هذا اليوم، وما سر الأجزاء المفقودة، لكن في هذه اللحظة، كانت قد حانت ساعتك، هو دورك لترث، فأنت أكبر أفراد العائلة، بل وآخرهم بعد موت الجميع، اجتمع حولك النساء يصرخن، ويندبن حظوظهم، يلعنون الموت، وأنت لا تدري عنهم شيء.

أمر آخر يشغل حواسك، بصرك وعقلك وإحساسك، أمر الميراث!، لا بد أني سأجد ضالتي بهذا الجزء من ذاكرتك ... قهقه عاليًا، ثم هوى لوجبته يلتهم منها آخر جزءاً من المخ، والعينان، وهو على يقين بأنه سيجد بهم غايته، وسيصل بالانتهاء منهم إلى هدفه وغايته، تناولها مستمتعًا كمن يأكل طعامه المفضل، فارتسمت على قسماته علامات التلذذ...

هيا هيا، حانت لحظة حل اللغز، دار بين الذكريات، تلك التي انسابت على عقله، ما بين زواجه وعمله خارج المنزل وسهراته الحسان، حتى وصل لغايته....

يقف في الغرفة حيث جثة والده، من حوله النساء كعهدهم في هذه المواقف يبكون ويصرخون، إرتكن بكتفه الأيمن على أحد جدران الغرفة، ليتهيأ له من الفراغ شيء لا يدري ماهيته، سد بطوله الأفك ما بين أرض وسقف الغرفة، أحمر كالدم، يغطه شعر غزير حتى أخمص قدميه إلا من رأسه التي تبدو للناظر حليقة، بمقدمها قرنان حمراوان، عيناه ضيقتان لا يناسب ضيقهم كبر حجمه، وشفاهه الغليظة، لا أنف له...

ارتجف رعبًا، وتكونت بعض قطرات عرق على جبينه، قلبه انتفض فزعًا وبعد طول نظر دام لحظات سقط مغشيًا عليه، استفاق بعد ساعة على الأرجح ليجد نفسه مستلقي بأول الممر الذي يقود إلى الغرفة المعتمة، سار كمسير عقله لاغ خلال الممر حتى عبره، وصولا للحجرة تلك، جلس أمامها، فتمثل من خلفه ذاك المخلوق المهيب، كاد قلبه يقف عندما شعر بيد شديدة تربط على كتفه الأيسر، إستدار إليه، فأخرسته بشاعته، ظل ينظر إليه، حتى تكلم الكيان، فكان صوته كالرعد أصم أذانه للحظات، صمت قليلا، ثم عاد التحدث بنبرة أضعف وعلى وجهه ارتسمت بسمة مريبة كشفت عن أنيابه قائلا:

أهلا بك بيننا، حانت ساعتك لتحمل الأمانة، ميراث عائلتك الآن لك، ولنسلك من بعدك، أنا القاهر،من أعتى ملوك الجان، منذ قرون وأنا أرصد هذا القصر، إلا أن أمري مختلف، فلم أعقد هاهنا بطلاسم، بل هي مهمتي الأبدية، لا يعنيك ماذا يوجد هنا، كل واجبك أن تقف لنا كالخادم المانع، تلبي طلباتنا، ترتل طلاسم القوة، وتمدنا ببعض دم نقتات بعهده

كل خامس عشر من مايو، إن لم تفعل، تصل أنيابنا لأحد أهلك، وتقف لنا مانعًا، تمنع البشر أن يعبروا أمام هذه الغرفة، وتغطي أمر جرائمنا التي قد تفضح سرنا كجثة والدك تلك.

كان يسمع كلماته فينصاع لها كأنه ليس أمرًا غريبًا عنه، كأنما ورثه من عائلته وأجداده وما هو بمورث.

_الآن رتل تلك الأحرف على باب الغرفة.

= لكن لم تكن هناك حروفاً من قبل.

_ ضحك قائلا :عزيزي هل تعتقد أني سأضع مفتاحي هكذا أمام المارة، لا يراهم غير الوريث، فرتل.

= باسم العهود الخمس، باسم القاهر راصد السر الخفي، أنا الوريث، فأعطني الأمان لأعبر، وأعطني القوة لأخدم، ثم التقط خنجرًا برز أسفل باب الحجرة فشق به كفه الأيسر، وخط بدمائه دائرة، تحوي داخلها شاهد قبر، وصليب، ففتح الباب على مصراعيه، فإذا بعيناه تريان بوضوح رغم شدة العتمة، بمنتصف الحجرة درج، نزل درجاته برويه، حتى وصل لتابوت بمنتصف القبو ذاك، كاد أن يفتحه إلا أنه عندما اقترب دفعته طاقة هائلة حتى ارتطم بالحائط بقوة.

ضحك القاهر من سذاجته، أعلم أن فضولك قوي لكن يلزمك تعويذة.

فارتفع صوته صارخًا، أنا الحارس، أنا الوريث، أنا المؤتمن، بكل عظم رم، وبكل لحم بلى، وكل مخ هاهنا باق، وكل عين حفظت وحنّطت، سأفدي سركم بدمائي، بقوة القاهر وبحبث النكرومانسر، وبضعف البشر، سمحوا لي بالاقتراب.

قهقـه النكرمانـسر منتـصرًا، مبتهجًـا، تقسـمون بخبـثي، ليفتـح التابـوت، وأقسـم أنـا بخبـثي وسـذاجتكم لأنتـصرنَّ ولـو بعـد حـين.

الفجـر أوشـك أن تـشرق شمسـه، يجـب أن أسرع أو عـليَّ الانتظـار عامًـا آخـر، خـرج مسرعًـا متوجهًـا إلى القـصر، وقـف أمـام الحجـرة دون أن ترتعـد أطرافـه فقـد علـم الـسر.

ظهـر القاهـر وأوشـك أن يمنعـه، إلا أنـه جثـا أرضًـا وأخـذ يرتـل التعويـذة.. (باسـم العهـود الخمـس، باسـم القاهـر.....) فتراجـع الرصـد وانفتـح البـاب، واصـل حـتى التابـوت، ثـم نـادى يـا قاهـر؛ النـصر لي اليـوم، فقـد وصلـت قبلـك للحـارس، قتلتـه وحصلـت عـلى أسرارك، اليـوم المعرفـة لي، والسـلطان لنسـلي وأتباعـي، رتـل تعويـذة التابـوت فانفتـح، تقـدم حـتى الجثـة المحنّطـة، الملـك التاسـع والأخـير، هـا هـي نهايتـك ونهايـة موروثاتـك، آخـر مـن ملـك الجـن وطوعـه، لـن تكـون الأخـيرة بعـد اليـوم، فـكل علمـك وتعاويـذك وطلاسـمك اليـوم لي، فقـط عـليَّ أكل مخـك هـذا، وعينيـك هاتـان، اقـترب مبتسـمًا منتـصرًا، حمـل عيناه، فـإذا همـا عينـان والـد ضحيتـه، ذاك الـذي قتـل عـلى سريـره وخفيـت عينـاه وجـزءًا مـن مخـه، اقـترب للمـخ، فلـم يجـد غـير معلومـات مكـررة، ضرب التابـوت بقدمـه حانقًـا، مـا هـذه السـخافة، أيـن.....

قطـع عبارتـه صـوت القاهر الضاحك، لسـنا بتلك السـذاجة لنضـع كل أسرارنا بقـصر كهـذا، وتحـت حراسـة بـسري، لكنك كنـت سـاذجًا بالقـدر الـكافي لتصدق.

تمت

مروة معتمد

لا تكمل وإلا !

«إن أكملت روايتي لنهايتها وأنا لا أنصحك بذلك فاعلم أنك المسؤول وحدك عما سيحدث بك ولك»

قرأ حازم تلك الجملة فابتسم نصف ابتسامة ثم همس لنفسه..

«إنهم الكُتاب والروائيون يعظمون لك الأمور ويهولونها حتى يثيرون بك التشويق لإكمال القراءة»

فبدأ بقراءة الرواية التي لا يعرف عنها سوى أنها كانت آخر ما قرأته والدته قبل مقتلها وكذلك والده، رواية لم يُكتب على غلافها اسمها ولم يبدِ كاتبها اسمه، رواية غامضة غريبة وجدها والده في مكتبة المنزل حينما أتوا إليه وسكنوا به منذ سنين طويلة، هي رواية طالما حذراه والداه قبل وفاتهما أن يقرأها لكن ربما كما يقولون «الممنوع مرغوب» أحيانا.

مر الوقت حتى صار الناس نياما في تلك القرية الصغيرة وما زال حازم منهمكًا في القراءة التي يجد فيها ملاذًا وهربًا بعيدًا عن الناس وثرثراتهم اللامتناهية..

«إذن لقد اخترت طريقا لا عودة منه، واعلم عزيزي القارئ أنني قد حذرتك من إنهاء الرواية قبل أن تبدأها»

كانت تلك آخر ما قرأ في ليلته وربما في حياته كلها، ولكنه لم يعر تلك الجملة اهتمامًا فليست تلك المرة الأولى التي يقرأ فيها روايات وقصص الرعب، إنه يعلم جيدًا حيل الكُتاب ليبثوا الشعور بالخوف في قلوب القارئين فيصلوا لمُرادهم ومبتغاهم من رواياتهم الخيالية.

قام من مكانه ليذهب إلى دورة المياه قبل نومه، لكنه توقف في طريقه عندما سمع صوتًا ما خلفه، استدار في تعجب فهو يسكن وحيدًا في منزله بعد مقتل والديه، لكنه لم يجد شيئًا فأكمل طريقه باستنكار ليسمع ذاك الصوت مرة أخرى (لقد كان صوت همهمات صغيرة كأن هناك أشخاصًا ما يتحدثون مع بعضهم البعض) فاستدار سريعًا لكنه لم يجد شيئًا أيضًا هذه المرة، فضحك ضحكةً خافتةً ثم قال في نفسه..

«يبدو أن الرواية قد أثرت فيك يا حازم حتى صار عقلك الباطن يتهيّأ أشياء غريبة»

مضى في طريقه ووقف أمام مرآة حوض دورة المياه ليرفع رأسه ويجد في المرآة أطيافًا من الضوء الأحمر متمثلة في هيئة بشر يقفون خلفه، استدار برقبته ببطء فلم يستطع جسده أن يستدير معه من شدة الخوف فوجد أن تلك الأطياف قد اختفت سريعًا، ولكنه شاهدها وهي تغرس نفسها في الجدران، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم في نفسه ثم التفت ليغسل وجهه، وما أن التفت ونظر في المرآة حتى وجد رقبةً ما تحمل وجهًا يشبه وجهه ملصقةً برقبة جسمه فذعر مما يراه وازدرد ريقه بصعوبة، ثم رفع يده ليتحسّس تلك الرقبة فوجدها بالفعل موجودة، فرَّ سريعًا نحو فراشه وهو لا يعي ولا يستوعب ما هذا الذي حدث له منذ قليل فأغمض عينيه وهو يناجي الله في سره حتى سمع صوتًا ما بجانب أذنيه، وكأن هناك أشخاصًا بجانبه يشهقون ويزفرون فأمسك قلبه ثم قال في نفسه :

«لا يا حازم، انهض ليس هناك شيءٌ ما فكل ما يحدث لك فهو من عقلك الباطن»

فهمّ بالنهوض، ولكنه لم يستطع وكأن هناك ثقلا ما يحمله على صدره فحاول مرارًا وتكرارًا، ولكنه لم يستطع ولا يعلم ما الذي يحدث له فاستسلم للنوم واكتفى مما حدث له في تلك الليلة.

إنه صوت الطيور المغرِّدة التي تأتي إليه صباحًا كي تحييه ففتح عينيه ليجد أن أشعة الشمس قد انبثقت لتتخلل أرجاء حجرته، جلس لينظر في المرآة أمام سريره ليجد رجلا جُلّ ملابسه كانت ذات لون أسود يجلس بجانبه فالتفت إليه ورفع الرجل يده إليه يصافحه، ولكن حازم وقف مذعورًا، ثم قال بصوت يملأه الحيرة وبعض الخوف :

«من أنت وكيف دخلت إلى هنا ؟»

حملق به الرجل طويلا بنظرات تثير الرعب في نفس حازم، ثم قال بصوت يشبه فحيح الأفاعي..

«كيف لم تعرفني يا حازم ؟»

ازدرد حازم ريقه، ثم قال بصوت متهدج : «ومن أين لي أن أعرف من أنت ؟»

اقترب الرجل منه وهو ما زال يحملق بتلك العينين التي تشبه أعين القطط، ثم قال : «ألم أخبرك بألا تكمل الرواية للنهاية، ولكن الفضول أثارك فأشبعت رغبتك بنهايتها إذاً فلتتحمل النتائج وحدك»

ثم أمسك برقبة حازم ليخنقه، حاول حازم أن يبعد يديه كثيرًا، ولكنه لم يستطع.

نهض حازم من نومه وهو يصرخ ويقول :

«اتركني أيها الوغد»

لينظر حوله ثم يقول : «حمدًا لله لقد كان حلمًا»

ثم نظر في ساعة يده ليجدها الثانية بعد منتصف الليل فقام ليقضي حاجته متذكرًا ما حدث له قبل أن ينام، وذاك الرجل الذي رآه في الحلم ثم قال :

«غدًا سوف أحرق تلك الرواية وكأنني ما قرأتها أبدًا»

حلّ الصباح وقبل أن يخرج من منزله للذهاب إلى عمله تذكر أمر حرق الرواية ولا يعرف لماذا سيفعل ذلك، رغم أنه لا يصدق ولا يؤمن بتخاريف الروايات تلك، لكن ربما ليطمئن قلبه فقط، فدخل حتى ينفذ خطته فلم يجد الرواية أينما تركها البارحة بعد قراءتها، فتش عنها كثيرا ومرارًا وتكرارًا في كل البيت فلم يجدها وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتها، فأطرق برأسه مفكرًا وقال : عندما أعود من العمل سأفتش عنها مرة أخرى فربما قد تركتها هنا أو هناك، ولن يهدأ لي بال حتى أنفذ ما نويته، فهمّ بالخروج من باب المنزل ليجد جملة ما قد كتبت عليه..

«لن تحرقها حتى وإن وجدتها»

اقترب أكثر ليجد حروف تلك الجملة تسيل على الباب فتفحص الباب بيده ليجد أن تلك الجملة قد كتبت بالدم، نعم فقد كان دمًا كيف له ألا يعرفه وهو يستقبل كل يوم عشرات الحالات في طوارئ مشفى المدينة.

خرج من منزله والذعر يملأ صدره، والأفكار تتسابق في عقله، والحيرة تملؤه، فاستقل سيارته الصغيرة متجهًا نحو مشفى المدينة، دخل المشفى

ليجـده فارغًـا إلا مـن بعـض العمـال والممرضـات والقليـل مـن الأطبـاء، صافحهـم بـشرود وأكمـل طريقـه نحـو مكتبـه الـذي يوجـد في آخـر ذلـك الممـر ومـا اسـتوقفه إلا أن سـمع..

«كيف حالك يا دكتور حازم»

التفت خلفه بضيق وشرود ثم قال : «أنا بخير، كيف حالك أنت يا....»

لـم يكـد يتـم جملتـه حـتى صعقـت عينـاه لمـا يريـا الآن، كاد قلبـه أن يتوقـف مـن الذعـر، وكاد أن يقسـم أنـه قـد جُـن إلا أنـه حـاول أن يتماسـك قليـلا، ثـم قـال بصـوت خائـف :

«ألم تمت منذ ثلاث سنوات يا عم كامل؟»

اقـترب العـم كامـل الـذي كان يعمـل بالمشـفى كعامـل نظافـة منـذ ثـلاث سـنوات قبـل أن تدركـه المنيـة، ثـم همـس بصـوت يشـبه فحيـح الأفعـى مثلمـا الصـوت الـذي سـمعه حـازم في حلمـه تلـك الليلـة وقـال :

«لقد عدت يا حازم، ولن أرحل حتى آخذك معي»

ازدرد حـازم ريقـه بصعوبـة بالغـة وكادت أنفاسـه أن تتوقـف حـتى أتتـه إحـدى الممرضـات وقاطعتـه قائلـة :

«دكتور حازم، هل أنت بخير، لم تُحدث نفسك؟»

«أنا لا أحدث نفسي ألا ترين أن العم كامل يقف معي!»

نظـرت إليـه الممرضـة نظـرة تحمـل الكثـير مـن المشـاعر، خـوف.. شـفقة.. حـزن.. فهـي تعلـم كـم كان دكتـور حـازم يحـب العـم كامـل ويقـدره، ثـم قالـت :

«يبدو أنك لم تنم جيدًا الليلة الماضية يا دكتور، فالعم كامل قد تُوفي منذ ثلاث سنوات»

«أنا أعلم ذلك لكن من هذا الذي يقف هناك؟!»

أشار بإصبعه إليه، ثم ضحك العم كامل ضحكة مخيفة ماكرة إلى أن نطقت الممرضة وقالت :

«دكتور حازم، أفضل أن تستأذن اليوم وتعود إلى منزلك لترتاح قليلا فالإرهاق يبدو حقًا عليك، فلا يوجد أحد ما يقف هناك»

قالت جملتها تلك ثم استأذنته بالمغادرة متمتمة بكلمات غير مسموعة، أعاد حازم نظره إلى العم كامل فلم يجده ثم أغمض عينيه بقوة قائلا لنفسه :

«اهدأ يا حازم إنه عقلك الباطن لا أكثر»

ومضى في طريقه عائدًا إلى المنزل، فلن يستطيع إكمال اليوم بهذا العقل المرهق والذهن المشوب.

دخل إلى منزله ولم ينتظر الباب أن يغلقه حازم خلفه، فقد أُغلق بطريقة مفاجئة فور دخوله، ولم يكترث حازم لهذا فقال لربما الهواء هو ما دفعه، واتجه إلى غرفته متذكرًا أمر الرواية، فهمّ بالبحث عنها، لكنه لم يجدها أيضًا فاتجه إلى سريره ليرتاح قليلا بعد كل ذاك الإرهاق النفسي الذي حدث له في فترة وجيزة.

وما إن أغمض عينيه حتى سمع صوتًا قريبًا جدًا منه يشبه بكاء الأطفال ففتح عينيه سريعًا ليجد على طرف سريره تلك الأم التي تجلس متربعة عليه تحاول أن تجعل طفلها ينام، فانكمش جسده، وضمه إلى بعضه بعضًا ليحتضن نفسه ثم قال :

«من أنتِ»

«حازم حبيبي ما الذي تهذي به، قل غير هذا»

كاد أن ينطق ثم اقتربت منه وقالت :

«لقد تعبت فطفلنا لا يريد أن ينام» ..

«طفلنا!!» ..

«ماذا بك يا حازم، إنه طفلنا كامل»

أخذت تقترب منه وجسد الطفل بيديها يتلاشى، فحاول الانكماش أكثر، ثم ربتت على كتفيه قائلة بصوت يشبه فحيح الأفعى ذاك الصوت الذي أصبح مألوفا لديه ثم نطقت : «عما كنت تبحث منذ قليل يا حازم؟»

«كنت أبحث عن الرواية هل رأيتِني»

«وكيف لا أراك وأنت في منزلي؟!»

«منزلك؟!»

«نعم أيها اللص لقد اقتحمت منزلي أنت وأسرتك منذ سنين»

رفع رأسه نحوها ثم همس قائلا : «من أنت؟»

«أنا مالكة هذا البيت، وأنا قاتلة والديك»

«ماذا تقولين!!؟»

«كما سمعت، أنا من قتلت والديك يا حازم وجئت إليك حتى آخذك إليهما»

همّ بالنهوض وأمسك برقبتها حتى كاد أن يخنقها ثم قال :

«وأنا سأصبح قاتلك»

بعدما قال ذلك وجد جسدها يتلاشى كأن لم يكن موجودًا أمامه منذ قليل.

فتح عينيه سريعًا فأدرك أنه كان حلمًا آخر قد حلم به ورأى فيه شخصًا غريبًا أيضًا، بل شخص ما اعترف بأنه قاتل والديه، استغفر الله كثيرًا، ثم همّ بالنهوض ليجد أن الساعة قد دقت الثامنة ليلا، فقد نام عشر ساعات دون أن يشعر بنفسه ولم يوقظه سوى ذلك الحلم، بل ذلك الكابوس.

سمع صوت همهمات ما قادم من الصالة فحمل نفسه ليتجه إليها فوجد أن التلفاز كان موقدا وجهاز التحكم يقف في الهواء ويقلب القنوات بالتلفاز، صُعق مما رآه ثم اقترب قليلا وحاول أن يمسك جهاز التحكم، ولكن فجأة انقطع التيار الكهربائي، ازدرد ريقه بصعوبة مما رآه ومما يحدث له منذ البارحة وقال :

«لا يعقل أن تفعل الرواية ذلك»

«ولم لا يا حازم ؟»

لقد كان صوتاً ما قادمًا من ركن الصالة، صوتًا يشبه فحيح الأفعى الذي سمعه في أحلامه، وسمعه صباحًا في المشفى عندما قابل المتوفي عم كامل، تجمّدت قدماه فلم تستطع أن تتقدم إلى مصدر الصوت، ولكنه سمع خطوات ما تقترب منه ثم سمع همسًا ما يقول له :

«سأقتلك يا حازم»

ولكن ما أن عاد التيار الكهربائي فجأة فنظر سريعًا لمصدر الصوت فوجد أن هناك طيفًا لونه أحمر يهرب مبتعدًا، ثم يغرس نفسه بالجدار.

هـمّ بالذهـاب لـكي يتوضـأ ويصـلي فروضـه الـتي فاتتـه، ومـا أن وقـف أمـام المـرآة حـتى وجـد تلـك الـرأس الـتي تحمـل وجهـا يشـبه وجهـه ملتصقـة برقبتـه فتحسسـها بيـده وجدهـا موجـودة بالفعـل لكنـه لـم يهـرب إلى سريـره مثلمـا فعـل في الليلـة الماضيـة بـل مـد يـده تحـت صنبـور المـاء ليأخـذ بعضـا منـه ويغسـل وجهـه فوجـد أن هنـاك يديـن أيضـا يغسـلان تلـك الـرأس الملتصقـة برقبتـه، ازدرد ريقـه بصعوبـة، ثـم فـر هاربًـا إلى فراشـه غـير مصـدق ولا واعٍ لمـا يحـدث لـه، فقـام وهـمّ بالبحـث عـن تلـك الروايـة مـرة أخـرى عازمًـا بأنـه لـن ينـام ولـن يفعـل شـيئا في حياتـه إلا أن يبحـث عنهـا ويحرقهـا.

مـرت السـاعات وهـو يبحـث بـكل أرجـاء المـنزل آلاف المـرات ولا يجدهـا، لقـد قلـب منزلـه رأسًـا عـلى عقـب، ولكنهـا ليسـت موجـودة كأن الأرض قـد انشـقت وابتلعتهـا.

إنهـا الآن الواحـدة بعـد منتصـف الليـل، الـكل نيـام في القريـة إلا حـازم وبعـض سـكارى الليـل الذيـن يتسـكعون في الشـوارع ليـلا، سـمع حـازم جـرس منزلـه يـرن وهنـاك دقـات خفيفـة عـلى بـاب المـنزل، اتجـه نحـوه مسـتغربًا فـلا يوجـد أحـد مـا في هـذه القريـة يمكـن أن يـأتي إليـه الآن، ولكنـه قبـل أن يفتـح البـاب وجـده مكتوبًـا عليـه مـن الداخـل..

«قلـت لـك يـا حـازم ألا تتعـب نفسـك في البحـث فلـن تجـد الروايـة وإن وجدتهـا سـتُحرق أنـت قبـل أن تحرقهـا»

ثـم بـدأ الدم الذي كُتبت به تلك الكلمات يسـيل شـيئًا فشـيئًا ويختفي تمامًا.

«حسنًا سأبيع المنزل»

جاءت إلى ذهنه تلك الفكرة قبل أن يغط في سبات عميق.

«حـازم إيـاك وبيـع المـنزل، إيـاك والرحيـل .. فالانتقـام سـيصيبك حتمًـا سـواء كنـت مالـك البيـت أم لا لأنـك قـرأت الروايـة»

كانـت تلـك الكلمـات آخـر مـا سـمعه حـازم مـن والـده قبـل أن يفيـق مـن نومـه، نفـض رأسـه بقـوة ثـم قـال :

«مـا هـذا بـرب السـماء، كيـف عـرف والـدي أنـني سـأهم ببيـع المـنزل.. ولمـاذا سـيصيبني الانتقـام، ليتـني مـت قبـل أن أقـرأ تلـك الروايـة الملعونـة»

«لا تتعجل يا حازم فإنك ميت لا محالة»

إنـه ذاك الصـوت مـرة أخـرى قـادم مـن الصالـة وهنـاك خطـوات مـا تقـترب مـن غرفتـه، ظـل محملقـا بالبـاب خائفـاً مـن القيـام وفتحـه إلى أن اقتربـت الخطـوات كثـيرا مـن البـاب وفتحتـه عـلى مصراعيـه ففـزع حـازم لينظـر أنـه لا يوجـد أحـد مـا ولكنـه فوجـئ عندمـا وجـد أن البـاب قـد أُغلـق مـرة أخـرى وصـوت الخطـوات يقـترب متجهـا نحـو سريـره الـذي يجلس عليـه منكمشًـا الآن، وصلـت الخطـوات نحـو مقصدهـا، ثـم تمثـل طيفـاً أحمـر عـلى شـكل إنسـي لـه عينـان مخيفتـين جـدًا ويبتسـم ابتسـامة ماكـرة، ولكـن مـا مـن لحظـات حـتى انغـرس ذاك الطيـف في جـدار الحجـرة.

مـرت ثلاثـة أيـام بلياليهـم ولـم تتغـير الأوضـاع بعـد، وكأنـه قـد أصبـح شـيئًا روتينيًـا لحـازم أن يسـتيقظ فزعًـا مـن أحلامـه، وأن يظهـر لـه الطيـف الأحمـر ليهـدده بالقتـل ثـم ينغـرس في الجـدار، وأن يسـير في ممـر مشـفى المدينـة ويـرى العـم كامـل، بـل ويسـلم عليـه ويحتضنـه، لا يعلـم حقـا مـاذا حـدث لـه لكنـه الاعتيـاد المـر الـذي نغصـب أنفسـنا عليـه أحيانـا رغـم أننـا لـم نحبـه منـذ البدايـة.

بينما كان جالسا في مكتبه ليرتاح قليلا قبل أن يعود إلى منزله وإذا بباب المكتب يُفتح ويدخل منه شخص ما يرتدي زي غرفة العمليات، نظر إليه ليتفحصه قليلا ولم يشعر بنفسه بعدها فقد وقع مغشيًا عليه.

«دكتور حازم حمدا لله على سلامتك لقد أخفتنا عليك يا رجل» قال أحد الأطباء.

فرد عليه حازم «من أنت وماذا حدث وأين أنا ؟»

فاقترب منه الطبيب قائلًا : «من أنا فهذا سؤالٌ سنؤجل إجابته، وماذا حدث فأنت تعرف جيدًا، أما أين أنت فسأدعك تستكشف المكان بنفسك».

حاول أن يتماسك قليلا ثم نهض من الفراش متفحصا المكان ثم قال: « أنا لا أتذكر شيئًا سوى ذاك الشخص الذي دخل على الغرفة وكانت عيناه قد اقتُلِعَتا من وجهه ومكانهما ثقب غائر، وكان يحمل قلبا بيده وصدره مفتوح بلا قلب داخله، ولكنني لم أستطع أن أتماسك أكثر حينما وجدته يسير إلى ويقول بصوت مخيف..

«تفضل القلب يا دكتور حازم»

«جيد أنك تتذكر هذا يا حازم» قال الدكتور

«من أنت إذا؟»

«أنا الذي قد رفضت أن تأخذ القلب الذي كان يحمله بيده»

«ماذا ؟!!»

«وأنا الطيف الأحمر الذي أظهر لك يوميا»

ازدرد حازم ريقه وكاد أن يتساقط على الأرض، ولكنه قاوم، ثم قال بصوت ضعيف يحمل بعض الخوف :

«وأنت قاتل والدي، أليس كذلك؟»

«لا لقد أخطأت، فأنا العم كامل الذي يظهر لك يوميًا»

«وماذا أيضًا»

«وأنا الرجل الذي كنت أرتدي أسود في أحلامك، وأنا من ظهرت لك بهيئة والدك كيلا تبيع المنزل»

«أنت لست إنسي؟»

«سؤال غريب من شخص ذكي مثلك يا حازم، أيستطيع الإنس فعل ذلك يا دكتور؟»

«وماذا تريد ؟ وهل جئت لتقتلني كما وعدت ؟»

«حسنًا، لقد بدأت تستعيد ذكاءك شيئاً فشيئًا»

«لكن أخبرني قبل هذا، هل أنت من كنت ممسكا بجهاز تحكم التلفاز؟»

«لا»

«ولا أنت من هددتني بالقتل عندما انقطع التيار الكهربائي تلك الليلة؟»

«أيضًا لا»

«ولا ذاك الشخص الذي كان يكتب لي رسائله بالدم»

«لا»

«ألم تكن ذاك الشخص الذي قال لي أنه من قتل والدي وكدت أن أقتله؟»

«لا يا حازم قلت لك لست أنا»

«إذن من؟»

«دعني أكمل إجاباتي على أسئلتك الثلاث الأولى، ثم أجيب على سؤالك هذا، لقد سألت ماذا حدث وأجبت بنفسك، وأهديتك أنا إجاباتي وقلت لك من أنا أفلا تريد الآن أن تعرف أين أنت؟»

«بلا»

«مرحبا بك في عالم الأموات يا حازم»

«ماذا!!!»

«لقد مت يا حازم فما كنت أحمله بيدي قد كان قلبك الذي اقتلعته منك»

«ماذا !!!، كيف ذلك!! لا أستطيع تصديقك، لكن أجبني قبل ذلك من قتل والداي ومن أخفى الرواية بعدما قرأتها»

«كاتبتها»

«لم يكن مكتوبا عليها من ألفها»

«نعم ، فلن تستطيع أن تُظهر لك اسمها ولن تستطيع أن تعرفها إلا لحظة وفاتك»

«لكنني لم أعرفها عند لحظة وفاتي»

«لأنك لم تمت بعد»

«ألم تقل أنني الآن في عالم الأموات»

«بلا، لكنك أصبحت في عالم الأموات عند البشر، لكن عندنا نحن فلم يحن وقت موتك»

«لا أفهمك»

«كلامي ليس مبهمًا، فلم تمت بعد في عالم الجن»

«ثم ماذا؟» سأل باستنكار وتعجب

«ثم إن موعد رحيلك من هنا قد حان الآن ولكن يجب أن تدرك الحقيقة كلها قبل ذلك»

«أتمنى هذا»

«كاتبة الرواية ستدخل الآن وتقص لك كل شيء»

ازدرد حازم ريقه وهو يحمل داخله كما من المشاعر اللامتناهية من تشويق.. وخوف.. واستنكار.. واستغراب.. وتعجب.. ودهشة.. وانتقام، حتى قطع تفكيره ذلك..

«مرحبا بك في عالمنا يا حازم»

إنه صوت فحيح الأفعى لكن صاحبة الصوت ظهرت له بهيئتها ولم تتمثل في أي هيأة أخرى مثلما الشخص الذي تمثل في هيأة الطبيب.

حسنا، لقد كانت امرأة، وعَرف ذلك من شعرها الذي يشبه الغمامة البيضاء تحملها فوق رأسها، شعرا مجعدا جدا، ولم تكن لديها عينان بل كانا شبحين انغرسا مكان عينيها، فقد كانتا شديدتي البياض لا توجد فيهما مقلتاهما السوداء، ومشقوقتين بعرض الوجه ليصلا إلى أذنيها، هذا إن كانتا أذنين أصلا فقد كانتا تشبهان القرنين الصغيرين، وكانت بشرتها متفحمة جدا شديدة السواد ولم يكن لديها أنف وكان فمها كبيرا مشقوقا

مثل عينيها إلى أذنيها أو قرنيها، لقد كان منظرها بشعا جدا، من أبشع المناظر التي رآها حازم ولن يراها أبدا بعد ذلك.

ازدرد حازم ريقه وقد كان عازما على قتلها قبل أن يراها خصيصا بعدما عرف أنها من قتلت والديه، لكن قدميه قد أبت أن تتحرك بعدما رأى ذاك الشبح وما قطع ذلك الصمت والتفكير سوى صوتها المخيف قائلا..

«لن تقتلني ولن تستطيع، وكما استطعتُ أن أُخفي الرواية عنك حتى لا تحرقها سأستطيع أن أفعل أي شيء آخر حتى أحمي نفسي، والآن قبل أن ترحل سأخبرك عن تساؤلاتك كما أخبرتُ والديك من قبل»

نظر إليها ولم يستطع أن يمنع الدمع من السيل متدفقا على خديه، ولم يستطع كذلك النطق بأي كلمة.

«ولن تستطيع النطق بعد الآن يا حازم، فدعني أخبرك بالحقيقة.. لقد امتلكت هذا المنزل أنا وعائلتي قبل سنين طويلة إلى أن أعلنت الحرب أنها ستُقام فما استيقظت من نومي إلا على صوت ذلك الانفجار فنهضت سريعا من فراشي ونظرت من نافذة الحجرة فوجدت أن عائلتي الصغيرة التي كانت تجلس في حديقة المنزل قد احتُرقت أجسادهم وتفحمت.

فأسرعتُ سريعًا نحوهم ولم أستطع أن أنقذ أحدًا منهم ومرت الأيام حتى عزمت ألا أرحل من ذلك المكان الذي صنعت فيه الكثير من الذكريات مع عائلتي وفي نفس الوقت لن أترك المكان ليأخذه أحدٌ ما بعدنا، وبدأتُ الاستعانة ببعض الكتب حتى حضّرتُ روحي لكي تسكن المكان بعد وفاتي، آمرةً إياها أن تقتل أي شخص يسكن المنزل بعدنا، ولكن روحي لن تستطيعَ إيذاء الأشخاص هكذا دون أن يأمرونها بذلك، فألفت تلك الرواية ووضعتها في المنزل وتعمدتُ وضع كلماتٍ تثير تشويق القارئ في

بدايتها حتى يقرأها، ودسستُ بها بعض الكلمات لاستدعاء روحي فحتى إذا ما قرأها أحدٌ ما استدعى روحي وأمرها بقتله بل بتعذيبه حتى قبل أن تقتله وهذا ما فعلته بك أنا، أما عن مساعدي ذلك فهو جانٌّ تحت إمرتي جعلته يهيئ لك بعض الأمور حتى لا تموت مفزوعًا فجأة دون أن تعرف حقيقة المنزل وحقيقة الأحداث التي تحدث كاملة».

أتمت كلماتها تلك وأصبح حازم الآن في عالم الأموات بين البشر والجن بعدما عرف الحقيقة كاملة، فليرحمه الله هو ووالديه.

أصدرت المحكمة قرارًا بإغلاق البيت حتى يأتيه سكان يريدونه.. وبعد مرور بضع سنوات أتت أسرة أحمد وأروى ليسكنوا به..

«انظري يا أروى لقد وجدت تلك الرواية في مكتبة المنزل»

«تبدو غريبة وغامضة سأحتفظ بها لأقرأها»

«سنقرأها سويًا الليلة»

بمجرد الانتهاء منها حتى بدأت أطياف من الضوء الأحمر تظهر لهما، ثم تنغرس سريعًا بالجدران، لم يعلموا ما هذا، ولكنك عزيزي القارئ تعلم، بل تعلمُ جيدًا..!

ملحوظة «عزيزي القارئ، لقد حذرتك في بداية القصة بطريقة غامضة ألا تكملها، ولكنك فعلت، فلتتحمل النتائج وحدك إن حدث لك مثل بطلها»

تمت.

ظلال شبح

الفن...السحر...الجمال

عوالـم رائعـة دائمـاً مـا تجعلـني أنجـذب إليهـا وانتبـه لهـا، فبرغـم أني لا أملـك ثـروة طائلـة تجعـل كل تلـك الروائـع بقبضـة يـدي، وقتمـا أرديهـا أسـتطيع الحصـول عليهـا، إلا أن حالـتي الاجتماعيـة المتواضعـة إلى حـد الفقـر الشـديد،لم تمنعـني مـن التأمـل بتلـك العوالـم المُذهلـة حـتى وإن كانـت مجـرد نظـرات عابرة،فأنـا رجـل حـالي كحـال معظـم الرجـال ننتبـه دائمـاً للجمـال البـصرى الـذى تلتقطـه عدسـات أعيننـا ونتعمـق بداخلـه إلى درجـة الفقـر، ولأن الحيـاة لـم تعطيـني نصيـبي مـن الجاذبيـة والوسـامة اللـذان يعتـبران سـبباً رئيسـاً وأساسـيًا فى جـذب الإناث،وهـذا أيضـاً لـم يقـف حاجـزاً أمـام تمتـع حدقـتي عيـني الضيقتـان فى سرقـة ولـو لحظـات قليلـة فى رؤيـة الجمـال الأنثـوي السـاحر،من حـولي يظهـر وينتـشر أمامـي مـن كل اتجاه،الـكل يمتلـك خيـالاً شاسـعًا وأنـا أشـبع خيـالي بالنظـر إلى هـذا السـحر الفاتن،حـين تقـع عيـني عـلى إحداهـن أمـلأ تلـك الطاقـة الجامحـة بداخلي،فقـط بلحظـات عابـرة بخيـالي المريـض أمتلـك تلـك الحسـناء المـارة مـن أمامـى ولـو ثـواني معدودة،حـتى تقـع عيـني عـلى أخـرى أكـثر منهـا جمـالاً وحُسـنًا وهكـذا تسـتمر الحكايـة، أعلـم بـأن نظـراتي الوقحـة والخادشـة لحيائهـن وخصوصيتهـن تفضـح مـا بداخـلي مـن أمـاني لقضـاء ولـو سـاعة واحـدة مـع إحداهن،لكـن أيضـاً هـذا

لـن يمنعـني مـن ممارسـة هوايـتي المفضلـة، فأنـا أرى بداخـل أعينهـم نظـرات الاحتقـار والاشـمئزاز وهـذا مـا يجعـل نظـراتي إليهـن أكـثر جـرأة ووقاحـة، بنظرهـن وبنظـر الجميـع مجـرد كائـن دميـم قـذر بقامـتي القصـيرة وجسـدي السـمين العفـن المُترهـل، ودمامـة قسـمات وجهـي الأسـود اللـون لدرجـة الاخـتراق، ضخمـة ملامحـي بأنفـي المكـور البغيـض والـذى يشـبه بشـدة أنـف مُهـرج سـيرك تعس،الاختـلاف الوحيـد هـو اللـون الأحمر،أمـا عـن شـفتاي الغليظتـان بلونهمـا الداكن،تُكمـل مـن دمامـة وجهـي أكـثر وأكـثر، ولـم أجـد رغـم كل هـذا حاجـزاً وإن كان إسـمنتي يمنـع اسـتمرار مـا أعشـق ومـا أريـد، حـتى أتى اليـوم الـذى وقعـت عينـاي فيـه عـلى أجمـل وأروع مـا رأيـت مـن فتنـة وسـحر وجاذبيـة قويـة جامحـة، كُنـت فى ذاك اليـوم أُمـارس هوايـتي المُحببـة لقلـبي، أتأمـل بتمعُـن شـديد وتفـنن عـالي الدرجـة بـين النسـاء السـاحرات مـن حـولي، حـتى أنسـخ بذاكـرة عقـلي ملامـح كل واحـدة منهـن عـلى حـدة بمُنحيـات جسـدها النابـض المُثـير وتفاصيلهـا الصارخـة بالأنوثـة، حـتى أحصـل عـلى حصيلـة مُرضيـة لي كي أعـوض فى بحـر مُخيلـتي الرائعـة الـتى تجعلـني شـهريار عـصري جالسـاً بـين دلال وجمـال نسـاءه الفاتنـات، كُنـت هائمـاً فى دنيـا الخيـال حـتى التقيـت عيـني بأعينهـا السـاحرة الخلابـة، قادتـني قدمـاي إليهـا بلاواعـى، لأجـد نفـسي واقفـاً بداخـل دكان صغـير قديـم مُتهالـك مـر عليـه الزمـن بعـزم مـا فيـه مـن قـوة، إضاءتـه الخافتـة المُسـلطة عليهـا فقـط وحدهـا، اقتربـت منهـا أكـثر حـتى تلاشـت المسـافة بيننـا، كانـت حدقـتي تـدور بـلا توقـف بـين قسـماتها السـاحرة، نظـراتي المُتلهفـة للحصـول عـلى كل هـذا الجمـال الفاتـن للأعـين، أنفـاسي المُضطربـة، كلُ مـا فيَّ يـصرخ إلى حـد الجنـون، هممـت برفـع يـدي كي أشـعر بملمسـها الناعـم بـين يدي،لكـن اسـتوقفني صـوت صاحـب الـدكان العجـوز الـذى جعلـني أتمتـم بأبشـع السُـباب عليـه لمقاطعتـه الغريبـة للقاءنـا الأول معاً،قائـلاً بنـبرة متشـكرة تبعـث مـن خلالهـا أنفـاس فمـه الكريـه:

-هل أعجبتك يا سيدى؟

أومأت له برأسي بالإيجاب فقط ولم أهتم بالرد عليه، من كنتُ أرجو على أسناني حنقاً منه حتى لا أرتكب جريمة معه، فتابع هو ببشاشة وجهه المُجعد البشع،وقرأت ريقه المُقزز تتطاير أمام وجهي بسبب فقدانه لمعظم أسنان فمه:

-إن أعجبتك فثمنها بخس يمكنك شراءها الآن

ارتسمت علامات الذهول والسعادة على وجهي وأنا أجيبه بحماسة شديدة جعلته يستغرب تغير حالتي بسرعة من ممل هادئ إلى متحمس غبي:

-حسنا كم ثمنها يا عم؟

-خمسة وعشرون جنيه فقط

لم أناقش فى شئ، بل أعطيته ما طلب وزيادة عليه خمس جنيهات بقشيش،لم أنتظره وهو يقوم بعد النقود ليتأكد، قمت بحملها بين ذراعي بسرعة، واتجهتُ بها إلى مكان المسكن الذى أعيش به ولم أهتم حتى بنباح كلاب الشارع وكأنها كانت تُحذرني، مهرولاً فرحاً كطفلٍ صغيرٍ تمكن من الحصول على جائزته الثمينة هذا ما كنتُ عليه وقتها، وما إن وصلت حتى أغلقت باب غرفتي خلفي فأصبحنا أنا وهى وحدنا فقط، أسندتها على الحائط برفق و أضأت الضوء وسلطته عليها هى فقط حتى أستطيع تأمل جمالها بتريث وعلى مهل شديد،جمالها كان يشع خارج الإطار الخشبي الذى يحوز لوحاتها البديعة، نعم لوحاتها لا تستغربون فهي ليست مجرد خليط بين ألوان مُتشابكة أو امتزاج مُتداخل بين خطوط مرسومة ببراعة، بل هى بالنسبة لي أنثي حية متكاملة الأنوثة والجمال، لها

روح تفيض بالحياة ولها نبض ينبض بتناغم مع خفقات قلبي المتسارعة، سأوصفها بكل تفاصيلها الفاتنة لحضراتكم ولكم أن تتخيلوا، إنها امرأة استحوزت على جمال نساء العالم كله دفعة واحدة، كانت تقف بدلال أنثوي مُثير ترتدى ثوبًا مخمليًا أسود اللون مُنساباً على جسدها الخمرى الحي يكشف محاسن منحنياتها متجنساً مع جسدها،إلى حد الإلتزاق بها كم تمنيتُ أن أكون ذاك الثوب المحظور والذى ينعكس عليه دفئ بشرتها وسحر مفاتنها الجاذبة،شعرها الأسود المُموج المُنسدل على كتفها الأيمن بسلاسة وعفوية بلمعانه الشديد كأنه يؤكد لي أنها بالفعل حية،لها نظرة قوية قادرة على جذب الانتباه يحيطها الكحل الأسود كسواد الليل يبرز جمال لون عينيها الكهرمانية اللون،أما عن أنفها المُنمق الصغير زاد من روعة سحرها أكثر شمتها الرقيقة بالجانب الأيسر من شفتيها اللامعتان باللون الأحمر الثاني، النبيذ المُعتق الذى نجح فى سكري بمنتهي السهولة،كل هذا الجمال والسحر تجعلني أهيم عشقاً بها وشوقاً لها،خلفها مرآه كبيرة الحجم، تعكس لي صورتها من الخلف والتى لا تقل جمالاً و روعة، مكتملة أمامي أتفرس بها على راحتي، ولكن ما يعكر صفو مزاجي هو ظل ذاك الشبح الرمادي الذى يقف بالجانب الأيسر من اللوحة، إنه ظل رجل لم أستطع تحديد ملامحه فهو مجرد ظلٍ رمادى يكاد أن يختفى، أوه أتمنى أن يتلاشى من اللوحة بكاملها وأخذ أن مكانه،لتتمتع حواسي بها عن قرب،لكن ما كان يُريحني هو نظراتها الثاقبة عليَّ فقط،فى بادئ الأمر ظننتُ انعكاس الضوء عليها هو السبب فتحركت ناحية اليمين تارة وناحية اليسار تارة أخرى، وهى مازالت مُثبتة عليَّ.

بقيت على تلك الحالة أتمعن فى رؤيتها حتى شعرت بنعاس شديد جعل جفاني يثقلن كالصخرة،فاستسلمت وغوطتُ بالنوم ولأول مرة أشعر بشعور الونس والدفء،مرت ساعات الليل عليَّ بسرعة غريبة وأنا مازلت

غارقاً بالنوم ،حتى رنّ بالغرفة صوت ضحكات وهمهمات أنثوية عالية رنّانة، استيقظت من ثُباتي العميق، أدور بعدستي في عتمة الغرفة،لكني لم أسمع تلك الضحكات والهمهمات العالية المجلجلة مرة أخرى،اعتبرتها مجرد تخيلات.

هممت بالرجوع للنوم مرة ثانية،فصعد صدى تلك الضحكات مرة أخرى، لكنها هذه المرة كانت قريبة جدًا مني، ظننت أنها تأتي من إحدى الغرف المهجورة،أحد ما يشاهد التلفاز أو يستمع للراديو،لكن لا يوجد أحد غيري يسكن بهذا السكن المشترك،فهو مبنى قديم متهالك آيل للسقوط في أي لحظة،فما من غبي غيري يضحي بحياته بذلك القبر من أجل إجارة شهرية بسيطة،زادت تلك الضحكات وتعالت أكثر،أصابني الخوف، ورشة قوية تكومت على نفسي وأغمضت عيني أختبي من الخوف الذى بالجانب،فجأة شعرت بأنفاس دافئة رقيقة الفرح تجاهي،فتحتهما بحذر، فما رأيته كان كالصاعقة بالنسبة لي،وقعت على أثرها من أعلى سريري، مُبتعداً للخلف حتى التصقت بالحائط خلفي،إنها هي، نعم هي تجلس بوضعية ساحرة رقيقة على حافة سريري، انعكس ضوء القمرالخافت عليها الذى ظهر فجأة مثل ظهورها، جعلها تتلألأ أمامي،تنظر نحوي نظراتها الجاذبة كما اللوحة،ترسم على شفتيها ابتسامة هادئة رقيقة، كنتُ أنتفض فزعاً وكل ما فيّ يرتجف بقوة،أنتني صورتها بتجربتها المُغرية تسألني بحزن:

- هل أنت خائف لهذه الدرجة مني؟

لم أجبها وبقيت صامتاً تتخبط أسناني ببعضها بشدة، تابعت وقد تبدلت قسماتها المشرقة الحزينة:

- حسنا لا تخف سأعود إلى مكاني باللوحة ولن أخرج منها مرة ثانية حتى لا تخف هكذا،

لم أستطع لحم لساني وأنا أراها تبتعد عني باتجاه اللوحة

فصحت بصوت عالٍ :

-لا تذهبي بل ابقي ...ابقي معي ولو لليلة واحدة

فابتسمت بهدوء واقتربت نحوي بخطوات متأنية بدلال يخطف الأنفاس، حتى أصبحت قريبة مني، ملامحها أمامي حية إلى حد الجنون، مددت يدي أتحسس دفء بشرتها فغمضت عينيها مستسلمة، رغم ارتعاشة جسدي كله إلا أنني استطعت الإحساس بنعومة بشرتها فهذه كانت المرة الأولى، التى ألمس فيها وجه امرأة، كنتُ غارقاً في بحر النعيم وحدى أمتلك كل هذا الجمال

-أنتِ جميلة جدًا، بل ساحرة أيضًا

ابتسمتْ ونظرت إليَّ، عيناها تلمعان لمعةً قوية ومشرقةً، فتابعت مسترسلا، وكأن ما يحدث بيننا الآن قد اعتدت عليه وأصبح طبيعياً

-ولكن أنتِ وحدك من خرج من اللوحة أم معكِ ذاك الشبح المُتلاشي البغيط ؟!

-أنا لوحدي من يستطيع الخروج ...أنا وحدي فقط

سألتها بغضب وقد برزت عروق رقبتي والغيرة تعبث بداخلي:

-ومن يكون ذاك المُتلصص؟

أجابتني بدلال وبنبرة دافئة ساحرة:

-إنه خيال الرسام الذى قام برسم هذا اللوحة، قال إنني جميلة جدًا وساحرة مثلما قولت لي، وطلب مني أن أوفق على أني ياسمين فوافقت

صحت بحدة بوجهها:

-لكن أنا غيره هو شبح أنا....

-أنت جسد حي ينبض بالحياة تتدفق الدماء بداخلك، مازال قلبك يصدر خفقاته أنت غيره، هو مجرد شبح وقد تلاشي، أما أنت روح حقيقية مازالت موجودة على وجه الأرض

وكأني بكلماتها سُحرت وقد ألقت عليَّ تعويذة ما، تلجم لساني وجحظت عيناي حتى كادت أن تخرج من مكانهما وتيبس جسدى، أحتاج نظراتها وأصبحت أكثر قوة وارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة تصل إلى أذنيها من الاتساع، مرة واحدة وجدت نفسي محمولاً على كتفها بوزني الثقيل الذى يصل إلى وزن خرتيت صغير، أُحمل بتلك السهولة، داخلي يصرخ من الفزع والرعب، كانت تحملني على كتفها وتقفز بي فى جميع أرجاء الغرفة، بخطوات واسعة تشبه القرود العائدة فى قفزاتها عده مرات، توقفت فجأة عن القفز لأجد يديها تحوز خصري كله كالمطاط، الرهبة والخوف تملكا مني حتى الموت، صدعت ضحكتها الهستيرية العالية، بطريقة مفزعة تشبه الصراخ، ثم قالت بصوتٍ عالٍ حسن كتيرة الرجال:

-أنت وأمثالهم تستحقون ما سيحدث، لكن فضولك العفن مثلك هو السبب الرئيسي بنهايتك تلك

مرة واحدة قذفتني بقوة نحو اللوحة المسنودة على الحائط، كأنني أسقط من سفح جبل عالٍ، لأجد نفسي مكبلاً، ولكن أجد من يكبلني واقفاً بنفس وضعية الشبح الرمادى،أراها حرة أمامي تتراقص حول جثتي الملقاة على الأرض، تمزق في لحمي بكلتا يديها بوحشية، تكتشف يتلذذ دمائي المتطايرة كراش الميتة، رفعت عينيها باتجاهي اللوحة، وارتسمت ابتسامة مستفيضة ودمائي تلطخ وجهها المرعب، قائلة بنبرة منتصرة حاقدة:

-بالآخرين للأسف سيكون مصيرك كمن سبقوك فالرسام هو من كان أول ضحاياي مضغني بين أنيابه دون رحمة أو شفقة سرق مني براءتي وطاهرتي... ولكي يخفي جريمته الشنيعة بي...قام بقتلي بقلبٍ باردٍ وألقى جسدي الضعيف المتهالك من شرفة منزله الخلفية...وارتطمت جثتي بصخرةٍ قويةٍ وتركتُ هكذا....في العراء دون ستر وتكريم لدفن جثماني...أقسمت روحي أن تنتقم من أمثالك...إذا تخلصت منهم كما تخلصت منك....وسيبقي ظلك هكذا يتلاشى رويدا رويدا عن العالم ويختفي ....إن من يجرؤ على سرقة ماليس من حقه، سيكون مصيره هكذا، احذروا مني يا سارقي المتعة

تمت

فاطيما أبو زيد

الفاتنة الشبح

(عمرو) أنا في موقف صعب لم أتعرض له من قبل ؟؟!

لا أحد يمكنه تقديم يد العون سواك .

نطق (رامى) العبارة السابقة وهو يرتجف من الخوف، محدثاً صديقه (عمرو) الصحفى، فى الهاتف المحمول والمهتم بعالم ماوراء الطبيعة .

الذي بادره بقوله :

اهدي وقصي عليَّ ما حدث .

تنهد (رامى) في خوف :

بدأت الأحداث عندما انتقلت للشقة الجديدة !!

بعد يوم عمل شاق وطويل، آويت إلى فراشى، داهمني النعاس، لم أشعر بنفسى نمت نومًا عميقاً، لم يمر أكثر من ساعتين ..

وجدت من يضع يده على شعرى ..

لم أحرك ساكنًا، بقيت على هذا الوضع مدة طويلة ... لا أستطيع النوم، ولا أستطيع الاستغاثة .. فقد كنت أخشى أن يهاجمنى .. أو يقتلنى

... بعد مرور وقت لا يعلمه إلا الله، استجمعت شجاعتى وقررت مغادرة السرير، بالفعل غادرته وجلست فى غرفة المعيشة .

أفكر ..

وأفكر ..

أخيرًا اهتديت إلى فكرة .. قد تساعدنى على تجاوز هذا المأزق الرهيب ...

سوف أضع كاميرا، لتقوم بتصوير من يأتي إلى غرفتي ...

سأتظاهر بالنوم ولكنني لن أنام ..

القلق والتوتر والرعب، يسيطر على تفكيرى، ويمنعنى من النوم ..

لم أستطع النوم ثانيًا، ذهبت إلى عملى وحينما حضرت، كنت قد أحضرت كاميرا، و أخفيتها فى مكان لا يعلمه سواي ...

كل شيء في مكانه ومعد للعمل، الكاميرا تعمل وتصور، وأنا أمثل النوم .. مر الوقت ببطئ شديد، اقتربت الساعة من الثالثة فجرًا .

فجأة ..

انطفأت أنوار الغرفة، شعرت بهواء يدخل الغرفة، هواء بارد للغاية ..

شيء ما دخل للغرفة !!!

لا أدرى كنهه ..

هل هو جان ؟!

أم شبح ؟!

لا أدرى .. شعرت بجفاف حلقى وشعرت بأوصالي ترتعش .. جسدي ينتفض كأنني في ثلاجة متجمدة، داهمني إحساس بأن قلبي سيتوقف في أي لحظة، حاولت جاهدًا السيطرة على انفعالى، حتى لا ألفت انتباهه، وتكون العواقب وخيمة ..

فجأة ..

حدث ما كنت أتوقعه ..

شيء ما بارد لامس يدي الممدودة .. شيء ما غريب .. انتفضت .. شعرت بأن هذا الشيء الغريب شعر بانتفاضتي .. فأحسست بلفحة هواء.. كأن الشيء قد هرب من الغرفة .. انتظرت .. وانتظرت .. لم أحرك ساكنًا .. مر وقتًا طويلاً، شعرت بأن الشمس أشرقت و نورها بدأ يتسلل للغرفة .

كم من الوقت مر وأنا على هذه الوضعية ؟؟!

لا أدرى، لم أشعر بمرور الوقت، تصلبت أطرافي، شعرت بأنني سأموت متيبسًا، ثم نفضت الخوف عني .. نظرت حولي

لا يوجد أحد، قفزت من السرير وقلبي لا يدق بعنف كطبول الحرب ..

ثم أخرجت هاتفي طلبتك حتى تحضر لنشاهد ما تحويه الكاميرا.. والآن احضر فورًا، ثم أغلق الهاتف المحمول .

مرت نصف ساعة منذ أغلق (رامى) الهاتف، وجلس فى غرفة المعيشة، ينتظر صديقه، لم يجرؤا على الولوج إلى غرفة النوم وحده ..

لحظات ثم دخل (عمرو) وهو يمنى نفسه بموضوع شديد الأهمية .. موضوع سيقفز به إلى مصاف الكُتاب الكبار..

بادره بالسؤال في لهفة :

_ أين الكاميرا ؟! . هيا قم بتشغيل الكاميرا، دعنى أدخل باب الشهرة والنجومية .

كان يقوم بالتأكد من توصيل الكابل وما أن انتهى حتى بدأت الكاميرا تعرض الفيديو .

بدأت الكاميرا تعرض، الكاميرا مسلطة على جسد (رامى) و هو نائم، ضغط على الزر حتى يقوم بتسريع المشاهد ..

انتقل إلى النصف ساعة الأخيرة .. ماتزال الكاميرا مُسلطة على جسده ..

فجأة انطفأت أنوار غرفة النوم ..

لحسن الحظ أن الكاميرا، يمكنها التصوير برغم ضعف الإضاءة ..

ثم ظهر دخان كثيف أسود !!

تشكّل الدخان على هيئة شبح .. يتشح بالسواد .. الكاميرا لا تظهر وجهه .. يقترب من سريره .. بدأ في مداعبته .. مرر أظافره على شعره .. ثم قبّله واستدار لينصرف .. ظهرت ملامحه .. وجه فتاة جميلة جدًا .. لكن جانب وجهها محروق أو مشوه، وقفت بجانب السرير تنظر إلى وجهه، نظرة كلها حب وغرام !!

ثم انصرفت مثلما دخلت الغرفة .

أوقف (رامى) اللاب توب، وهو يرتجف من هول الموقف !!

هتف (عمرو) في لهجة تحمل كل معانى السعادة :

_ صديقى العزيز كيف يمكن أن أشكرك،

الآن يمكن أن تطلق على صديقك أول صحفى ينشر فيلمًا عن الأشباح ..

فجأة انطفأت أنوار الغرفة ..

بالرغم من ضعف الإضاءة تمكن (رامى) من رؤية، دخان كثيف، وهو يتشكل على هيئة، فتاة جميلة !!

تسمر (عمرو) مكانه !!

اقتربت الفتاة منه وهى تقول بصوت رهيب :

_ إياك أن تُقدم على نشر هذا الفيديو، لن أسمح لك بنشره، لن تنال جائزة على العكس تمامًا، ستندم أشد الندم .. إذا تمسكت بموقفك وأردت نشره ستصبح عدوي اللدود .. هل استوعبت الأمر ؟!

ألجمته المفاجأة !! لم يتمالك نفسه، لقد فقد الوعى !!

التفتت تجاه (رامى) ياللهول ماذا ستفعل ؟! ..

اقتربت ببطء حتى أصبحت فى مواجهته .. ارتسمت على شفتيها ابتسامة، شعر بحديثها يتسلل إلى رأسه، على الرغم من أنها لم تفتح فمها !!!

_ اقترب لا تخشى شيئًا، أنا أحبك بل أعشقك بجنون، لم يسبق لى أن عشقت إنساناً بهذا القدر ..

اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يسأل بصوت مبحوح مختنق :

_ من أنت ؟!

قبل أن يحصل على جواب، عاد يشيح بوجهه فى سرعة، وهو يهتف بكل انفعاله :

_ مؤكد أن هذا كابوس مخيف !!

هتفت بكل حب :

_ لا يا حبيبي هذا واقعنا الحالي .. أنا وأنت معًا للأبد .

اتسعت عيناه عن آخرهما، و راح يهز رأسه فى قوة، مغمغماً بكل توتر الدنيا :

_ هذا جنون .. مؤكد أنه كابوس .. حتمًا هو كابوس مخيف يطاردنى .. سأستيقظ حتمًا بعد قليل ..

قاطعته وهى تقترب منه، ثم مالت عليه وهمست فى أذنه :

_ أحبك .

جعلته يصرخ فى غضب :

_ ابتعدى .. لا تقتربى منى .

تجاهلته تمامًا، وهى تقول فى سعادة :

_ سأقترب أكثر، وأكثر .

ثم اكتسى صوتها بفحيح مخيف .. وهى تكمل :

_ إلا إذا أردت أن تجعلنى أغضب منك ..

ثم تلاشت كما لو كانت صورة هولوجرافية ..

وهنا انتفض جسده انتفاضة أكثر قوة وعنفًا ..

كان هذا بمثابة صدمة جديدة ..

وعنيفة ..

إلى أقصى حد .

بعد مرور خمس دقائق، تمكن من استعادة رباطة جأشه، ثم تذكر أن صديقه مازال فاقدًا للوعى، حاول إفاقته وبالفعل أفاق وجلس بجانبه على الأرض، وهو يقول فى توتر شديد :

_ هل استعدت وعيك تمامًا ؟!

أوما برأسه، وهو يقول فيما يشبه الهمس :

_ نعم لكن اخفض صوتك، أخشى أن تهاجمنا مرة أخرى .

ثم أمسك ورقة وقلمًا، وخط بسرعة اسم دواء، ثم ناوله الورقة وهو يهتف بصوت منخفض مبحوح :

_ أرجوك احضر هذا الدواء فورًا .. أشعر أنى أعانى أزمة قلبية .

ثم أمسك صدره وبدا كأنه يترنح ...

التقط الورقة بسرعة ثم انطلق ليحضر الدواء .

بمجرد أن سمع صوت إغلاق الباب، استعاد نشاطه وأخرج من جيبه فلاشة، ووضعها داخل اللاب توب، ثم بدأ نقل الملفات وحينما انتهى وضعها فى جيبه، واستلقى على الأرض مرة أخرى ..

دخل (رامى) وعلى وجهه علامات الفزع والخوف على صديقه، وهو ممسك علبة الدواء وكوب ماء، ثم أخرج قرصًا من العلبة وناوله له مع كوب الماء .

مر نصف ساعة على هذه الواقعة، وأوهمه أنه استعاد نشاطه .

هتف (رامى) بصوت متحشرج قائلاً :

_ لقد اتخذت قرارًا نهائيًا، بتدمير هذا الفيديو ...

مط شفتيه، وهو يقول مستنكرًا :

_ لماذا تدمره ؟! .. يمكننا جنى ثروة هائلة بالإضافة إلى الشهرة التى سننالها ..

قاطعه بلهجة حادة :

_ أرجوك انصرف وأغلق هذا الموضوع تمامًا .

اندفع يغادر المنزل، ما إن هبط وركب سيارته، حتى أخرج هاتفه المحمول، وطلب مديره (مخلص)، أجابه بنبرة متكاسلة :

_ ماذا حدث يا مزعج ؟!

ضحك وباغته بقوله :

_ ما سأخبرك به سيقفز بتوزيع الجريدة إلى أرقام فلكية، أما أنا فسيقفز بى إلى مصاف الكُتاب العظماء .

فرك عينيه كثيرًا، وذهب النوم من عينه، وهو يهتف فى لهفة مضاعفة :

_ قُص على ما حدث سريعًا، كلى آذان مصغية .

حكى له ما حدث، فى كلمات موجزة .

أجابه قائلاً فى إعجاب :

_ حسنًا فعلت أيها التلميذ النجيب، بالرغم من صغر سنك، إلا أن إعجابى بك يتضاعف يومًا بعد يوم، ما هى خطواتك القادمة ؟!

هتف فى حماس :

_ سأقوم بنشر الموضوع فى الجريدة مع إرفاق بعض الصور من الفيديو، أيضا سأقوم بنشر الفيديو كاملاً على موقع الجريدة على الإنترنت، لن أدخر جهدًا إلا وبذلته من أجل الفوز بهذا السبق الصحفى .

صمت (مخلص) لحظات، قبل أن يتفاعل معه، فى حماس مضاعف :

_ أوافقك الرأى لابد من التحرك سريعًا، والاستفادة القصوى من هذا الموضوع، يمكنك الذهاب إلى منزلك، لكن لا تطلع أحدًا على ما حدث، سأنتظرك غدًا فى مكتبى .

ثم أغلق الهاتف، وانطلق بسيارته، بمجرد أن دخل شقته، حتى أخرج الفلاشة ثم وضعها فى اللاب توب، جلس يشاهدها قبل أن يقوم بنشرها على موقع الجريدة الإليكتروني، شاهد المشهد الأول .

فجأة..

انطفأت أنوار الغرفة ..

ثم سمع صوتاً، يهتف فى حزم :

_ مازلت عنيدًا وترفض الرضوخ لأوامرى .. أليس كذلك ؟!

فغر فاه وهو يرتجف من الخوف .. ثم استجمع شجاعته، وهو يقول بصوت متحشرج :

_ من يتحدث ؟! .. ماذا تريدين ؟!

جاوبتـه بضحكـة سـاخرة، ثـم عـادت الإضـاءة، وشـاهدها وعلم مـن هى ..

هتفت بصوت يشبه الهمس :

_ لقـد أخبرتـك مسـبقًا، نـشر هـذا الفيديـو سـوف يجلـب عليـك الوبـال، والخـراب ..

لم تنتظر إجابته، لقد اختفت بسرعة، كما ظهرت .

ارتمى جالسًا على الأريكة التى بجواره،

غير مصدق نجاته ..

جلـس يفكـر وهـو يمسـك الفلاشـة فى يـده، ثـم لـم يلبـث أن غلبـه النعـاس ونـام .

فجأة استيقض مفزوعًا يرتجف ..

التفـت يمينًـا ويسـارًا يبحـث عنهـا، لقـد خُيـل إليـه أنـه تـزوج، أول يـوم زواج، بجـواره زوجتـه فى حجـرة نومـه، مـا إن هـمّ يقبلهـا حـتى تحوّلـت إلى مسـخ شـيطانى مخيـف ..

ثم هجمت عليه .. وشاهد ملامح وجهها

كانت هى ..

بعد ذلك استيقظ، كان كابوسًا رهيبًا ..

اطمأن أن الفلاشة مازالت بحوزته، قبض عليها فى قوة،

أمسـك هاتفـه المحمـول، بيـد مرتعشـة .. ثـم طلـب (دينـا) خطيبتـه، أجابتـه وهـى تهتـف بـكل حنـق وغضـب :

_ ثلاثة أيام لم تجب عن مكالماتى .. أين كنت كل هذا الوقت ؟! ..

ابتسم ابتسامة خفيفة، قبل أن يقول فى سعادة :

_ معذرة يا حبيبتى، هناك قضية مهمة للغاية، سوف تضعنى فى مصاف الكُتاب الكبار، سوف أشرح لك الأمر، هل يمكن أن نلتقى بعد نصف ساعة فى مبنى الجريدة ؟! ..

ثم أغلق الهاتف .

غادرت الفراش سريعًا، وارتدت ملابسها، ثم انصرفت .

أما هو فقد انطلق إلى الجريدة، دخل إلى مكتب (هديل) وبعد تبادل التحية، جلس وهو يقول :

_ أريد التنويه عن هذا الخبر، على موقع الجريدة الإلكترونية .

ثم ناولها ورقة مطوية، ما إن قرأتها حتى ارتدت رأسها للخلف .. حتى أنها ارتطمت بالمقعد فى عنف .. تلعثمت الكلمات فى حلقها، قبل أن تستعيد السيطرة على أعصابها، و تقول فى فزع :

_ مؤكد أن هذه دعابة .. أليس كذلك ؟!

ضحك ضحكة عالية، قبل أن يهتف فى ثقة :

_ بالطبع لا، هذا الموضوع لا يحتمل الدعابات، هذا الموضوع حقيقة .

انتفض جسدها فى عنف، وهى تتراجع إلى الخلف .. ثم هتفت بصوت مبحوح :

_ شبح .. لكن الأشباح لا وجود لها ..

ثم اكتسب صوته بعض الصرامة :

_ سوف تشاهده غدًا، لكن الآن أرجو أن يتم التنويه سريعًا .

انتفض جسدها مرة أخرى فى عنف .. لكنه لم يبالى وانصرف على الفور .

بعد لحظات كان الخبر موجود على موقع الجريدة، كما يلى :

هل سبق أن شاهدت شبحًا ؟!

هل تعلم ما شكل الأشباح ؟!

ماذا ستفعل لو قابلت الشبح وجهًا لوجه ؟!

كل هذه الأسئلة سوف يتم الإجابة عليها، فى بث مباشر غدًا، فى السابعة مساءً بتوقيت القاهرة، سوف يتم بث أول فيديو لشبح .. و إجراء مقابلة حصرية مع الصحفى (عمرو فوزى) .

تراوحت ردود الأفعال، بين التكذيب والإنكار، وعدم التصديق .. لكن القلة القليلة هي من آمنت بوجود الأشباح، وبين هذا وذاك، انتظر الجميع على أحر من الجمر البث المباشر .

بعد قليل صعدت (داليا) إلى مكتب (عمرو)، وما أن شاهدها حتى هب واقفاً فى اهتمام، جلسا سويًا، وبعد بضع كلمات عتاب، لانت ملامحها بعد أن قبّل أناملها، ثم حكى لها ما حدث، و بعد الانتهاء، التفت إليها وهو يقول :

_ ما رأيك فى هذا السبق الصحفى ؟!

فغرت (داليا) فاهها .. قبل أن تهتف فى فزع :

_ أرجوك لا تقدم على نشر هذا الموضوع .. سوف ترتكب خطأً فادحًا.. لن تكتسب شهرة، سوف تقوم بفتح باب من أبواب الجحيم ..

اقترب منها، ثم أمسك كتفيها، وهو يهمس فى ثقة :

_ لن يكون هناك بابًا من الجحيم، بل سيكون بابًا من أبواب المجد والخلود، لا تشغل بالك لن يحدث شيئاً، انتظر حتى أقوم ببعض الإرشادات، ثم ننصرف سويًا .

قام ببعض المكالمات الهاتفية، اطمأن من خلالها على نشر التنويه، أن هناك إقبالاً متزايدًا، وضع يده داخل الجاكيت، ليطمئن على وجود الفلاشة، وقبض عليها فى قوة، ثم أمسك بيد خطيبته وانصرف، بعد أن قام بتوصيل خطيبته، ثم ذهب إلى منزله، ثم أخرج الفلاشة ليشاهدها مرة أخرى، و بعد ذلك خلد إلى النوم .

استيقظ مبكرًا، لم يتوقف لحظة واحدة عن التفكير، عما سيحدث اليوم، كان يحلم بالشهرة والسبق الصحفى العالمى، ارتدى ملابسه وانطلق إلى الجريدة ليتابع الاستعدادات النهائية للبث المباشر .

مرت الساعات سريعًا وحان وقت إذاعة الفيديو، التوتر والقلق والضغط النفسى وصل إلى أقصى حد .. كان يفرك أصابعه .. بقيت دقيقة واحدة على بث الفيديو، بمجرد أن دقت الساعة السابعة حتى بدأ البث، كانت الكاميرا مسلطة على صديقه (رامى) وهو نائم، فجأة انقطعت الكهرباء عن مبنى الجريدة .. وكل من يشاهد التلفاز .. انقطعت الكهرباء عنه الغريب أن أجهزة التلفاز كانت مضاءة .. توقف الإرسال .. كانت صورة (رامى) مثبتة على الشاشات جميعها .. فجأة سمع الجميع صوت فحيح رهيب .. ساد الهرج والمرج .. فجأة انفجرت أجهزة التلفاز فى كل مكان

يشاهد البث .. بعض النساء فقدن الوعى .. و البعض الآخر صرخ باكيًا .. لحسن الحظ لم يكن هناك أطفالاً تشاهد، وإلا كانت العواقب وخيمة .. معظم الناس أشعل كشاف الهاتف المحمول، ليشاهد أشباح عديدة تخرج من التلفاز .. كانت تصرخ بصوت يصم الأذان .. ثم انقضت على الجميع فى عنف .. فى مشهد لن يمحى من ذاكرة الجميع ..

بمجرد أن توقف البث المباشر، فى مبنى الجريدة، حتى هرول الجميع يحاولون الهرب و النجاة ..

حاول (عمرو) أن يجرى .. يهرب .. إلا أنه تسمّر فى مكانه، لم يستطع تحريك قدميه ..

فجأة اشتعلت النيران فى المبنى .. ساد الهرج والمرج والجميع يحاول الفرار من المصير المحتوم ..

فجأة سمع صوت ضحكات هيستيرية .. التفت يمينًا و يسارًا، لم يجد أحدًا .. على أضواء النيران شاهدها وهى تقترب منه، وقفت أمامه إلا أنه حاول التراجع للخلف كان الشلل يكتنف جسده بأكمله .. اقتربت منه وهى تواصل الضحكات، قبل أن تهتف فى صرامة :

_ أخبرتك مرارًا وتكرارًا، أن هذا الموضوع سوف يجلب عليك الوبال .. لم تستمع إلى تحذيراتى .. هل كنت تعتقد أنك ستجنى الشهرة العالمية بنشر هذا الموضوع .. أليس كذلك ؟! ..

ارتسمت على وجهه أقصى علامات الرعب والفزع .. حاول أن يتمالك نفسه إلا أنه فشل، خرجت الكلمات من فمه مهتزة متقطعة .. و هو يقول بلهجة أقرب إلى التوسل :

_ اغفر لى خطيئتى، لن أكرر هذا الأمر مرة أخرى .. بل لن أتحدث عنه أبدًا ما حييت ..

ضحكت بصوت عالٍ، وهى تقول فى شىء من السخرية :

_ المكان الذى ستذهب إليه مع خطيبتك، سيكون أمامك متسع من الوقت للحديث عنه ..

انعقد حاجبيه، وارتفعت دقات قلبه حتى خُيل إليه أنه سيقفز من صدره من فرط الانفعال .. حاول التراجع مجددًا، لكن لم يتحرك قيد أنملة ..

انقضت عليه فى عنف .. أحس أن جسده مقيد بالسلاسل الحديدية .. سلاسل من نار .. كان جسده يحترق بالفعل ..

قبل أن يستوعب ما حدث، سمعها تقول فى صرامة :

_ إنك لم تترك لى خيارًا آخر .. إلى اللقاء قريبًا ..

اشتعلت النيران فى جسده .. حتى أنه تحوّل إلى كتلة من اللهب تتصاعد تدريجيًا حتى امتلأ المكان برائحة الشواء المقززة .. شواء الصحفى (عمرو فوزى) .. حتى أنه لم يبقى إلا النيران فقط بعد أن امتزجت بالنيران التى تحرق المبنى ..

بعد لحظات أصبح مبنى الجريدة، أثرًا بعد عين .. كانت ألسنة اللهب تتصاعد .. وسمع الجميع صوت فرقعة عالية، ثم انهار المبنى .

بعد فترة وجيزة استيقظ، ليجد نفسه فى مكان مغلق، به رائحة تسد الأنوف .. كان مقيد القدمين .. التفت يمينًا ليجد جسدًا مسجى، زحف على الأرض حتى اقترب منه، كانت (داليا) خطيبته .. حاول إفاقتها وبعد

لحظـات مرعبـه هـزت رأسـها واعتدلـت جالسـة، ليشـاهد ملامحهـا نفـس المسـخ الشـيطانى ..

ثم سمع صوتها الساخر، وهى تقول :

_ مبارك عليكم الزواج .

ثم انطلقت ضحكاتها الهيستيرية فى أرجاء المكان .

تمت

وائل عبد المجيد

الفهرس

الكابــوس..... ٥
جميلــة..... ١٨
الجن العاشــق..... ٣٠
رفات مظلــوم..... ٤٥
غابات إيبنج..... ٥٨
العاشـــق..... ٦٩
الاسم..... ٨٣
هلاوس بن جـادو..... ٩٥
أســموديوس..... ١١٢
آير يــس..... ١٢٦
لعنة روزنيا..... ١٣٨
نكرومانــسر..... ١٥٢
لا تكمل وإلا !..... ١٦٣
ظلال شــبح..... ١٧٩
الفاتنة الشــبح..... ١٨٧

الكنزي
ALKANZY